

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القري
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
(فرع اللغة)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة .

لعداد

الطالبة : هيفاء عبد الحميد طنن

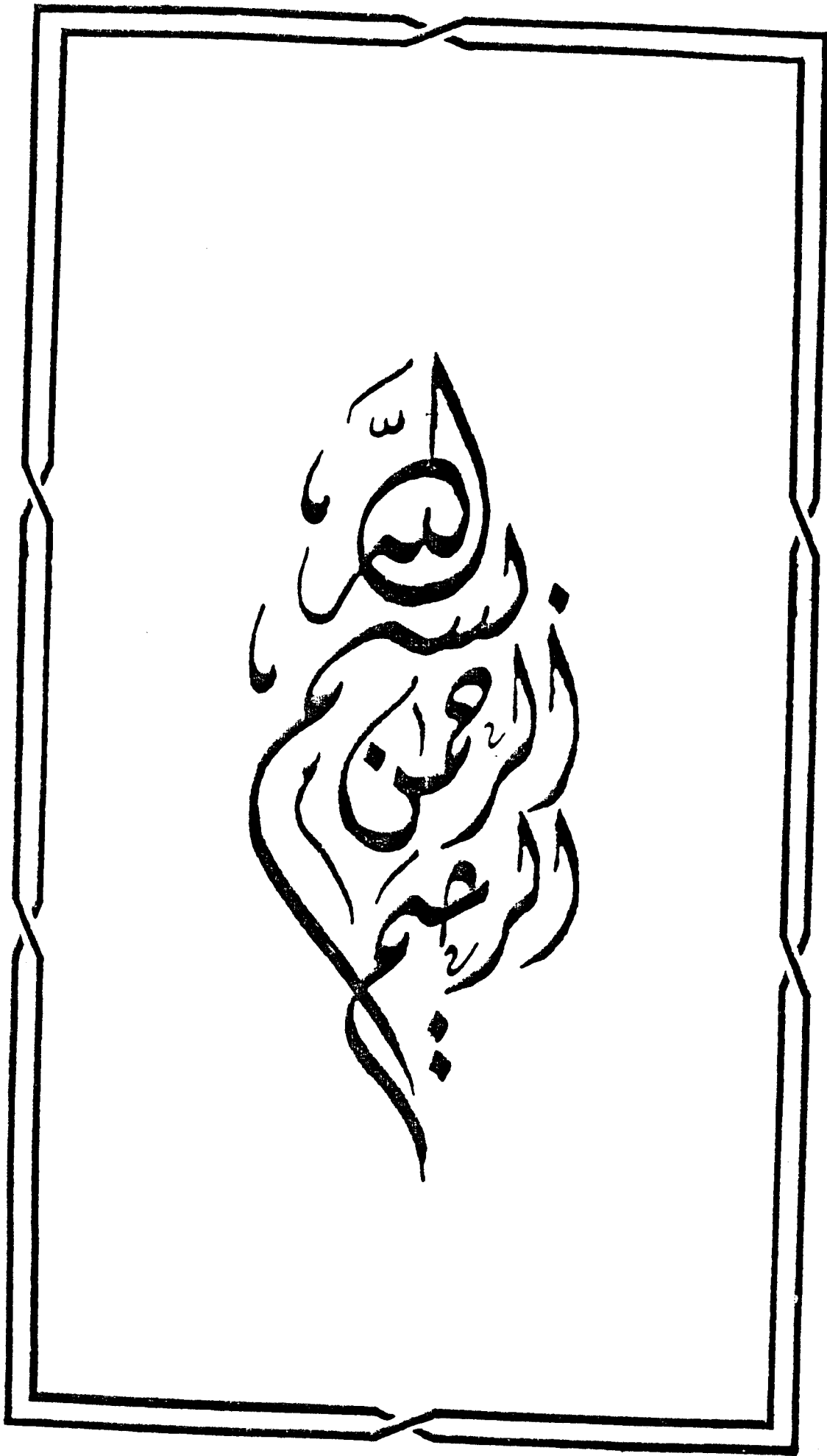
إشراف

الأستاذ الدكتور : محمد حسن جميل

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com





المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أ)

المقدمة

باسم الله خير ما يفتح به كل أمر . والصلاة والسلام على أكمل
البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد :

فلا شك أن الجاحظ من أقدان العلماء بالعربية والمتذوقين
لها فهورائد من رواد البيان والأدب العربي المعروفين بدقتهم
وبلاغتهم وهو يتميز بفرارة نتاجه ، حيث أثنى المكتبة العربية
بمؤلفاته التي تتميز بالإبداع والابتكار الذي يجمع الطرافة والعمق
، مما أكسبه ميول القارئ في شتى عصور الأدب العربي .

وقد لوحظ تعرضه في كتبه وبخاصة البيان والتبيين والحيوان
لمسائل كثيرة تدخل في علم الأصوات ، وأن تناوله لتلك المسائل يتميز
بالجدة ويحتوى على إضافات مهمة في علم الأصوات .

كما أن له منهجا في الوصول إلى الحقائق والمعلومات في مجال
الأصوات والعيوب يقوم على سعة الاطلاع ودقة الملاحظة .

فهو يتناول بالملاحظة أدق الأمور وعظائمها ، حيث أنه يخترق
ظواهر الأشياء إلى بواطنها ليقارن ويربط ويستنبط حتى تتبلور لديه
الفكرة ويتضح الموضوع .

ومنهجه في تقصي الحقائق الخاصة بالأصوات والعيوب يعتمد

على ثلاثة روافد وهي :

(ب)

- (١) ملاحظات خاصة في مجال الأصوات اللغوية وعيوب النطق .
- (٢) ملاحظات الآخرين التي رويت له وبالتالي رواها هو عنهم .
- (٣) ما قرأه من ملاحظات للقدماء عن الأصوات وخاصة أصوات الحيوانات بشتى أجناسها وأنواعها .

والقارئ لكتابه البيان والتبيين والحيوان يلاحظ إضافات مهمة في مجال الأصوات وعيوب النطق .

والمجهود الذي قام به الجاحظ في إثراء المكتبة العربية جدل من حق العلم بعامة والدراسات اللغوية بصفة خاصة أن تبرز جهود الجاحظ وينوه بها ، وذلك للاستفادة منها من ناحية ولوضعها في موضعها الصحيح كحلقة في تاريخ البحث اللغوي العربي في الأصوات من ناحية أخرى .

لذا أخذت على عاتقي أن أقوم بهذا الحق في صورة بحث أنال به درجة الماجستير إن شاء الله تعالى في موضوع (دراسة الأصوات وعيوب النطق عند الجاحظ) .

ونظرا للحرص على إبراز ما أضافه الجاحظ وتمييزه عما سبق إليه فقد جعلت الدراسة على صورة شبيهة بالموازنة ، حيث أذكر أولا ما كان قبل الجاحظ ، ثم أذكر ما جاء به الجاحظ ، ثم أفرد ما أضافه الجاحظ .

وقد بنيت البحث على ثلاثة أبواب :

الباب الأول : في الكلام عن أعضاء الجهاز الصوتي قبل الجاحظ وعنده .

ويتضمن هذا الباب فصلين :

(ج)

الفصل الأول : في الكلام عن أعضاء الجهاز الصوتي الإنساني
قبل الجاحظ .

وفيه ذكرت أعضاء الجهاز الصوتي التي تحدث عنها
الأصمعي وثابت ، وذلك في كتابيهما (خلق الإنسان) باعتبار أن ما فيهما
يمثل ما كان معلوما لدى العرب عن أعضاء البدن الإنساني ، لذا اعتبرت
ما في كتابي الأصمعي وثابت - وهما أقدم ما وصلنا من تلك الكتب -
هو ما كان معروفا عند العرب قبل الخليل وسيبويه عن جهاز النطق وهي
الفلسفة ، والحنجرة ، والحلق ، والفم وما فيه ، والخياشيم .

كما تعرضت لأعضاء الجهاز الصوتي عند الخليل وسيبويه
باعتبارهما من العلماء الذين سبقوا الجاحظ في هذا المجال .

وفي الفصل الثاني : تكلمت عن أعضاء الجهاز الصوتي عند الجاحظ ،
والذي يشمل ما ذكره الجاحظ عن أعضاء الجهاز الصوتي ، وأيضاً ما أضافه
في هذا المجال .

أما الباب الثاني : فكان في الكلام عن الأصوات اللغوية قبل الجاحظ وعنده .
ويتضمن هذا الباب ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في الكلام عن الأصوات اللغوية قبل الجاحظ ،
وشمل ذلك المنهج الذي وضعه الخليل لتذوق نطق الأصوات ، أي
تجربة نطقها . كما شمل دراسة الأصوات اللغوية مفردة ، وذلك بالنسبة
للمخارج والصفات عند الخليل وسيبويه والفراء وقطرب والأخفش والجرمي .
وما ذكره سيبويه عن الأصوات الفرعية ، إلى جانب ما ذكره الخليل عن اختصاص

العربية ببعض الأُصوات اللغوية . وأيضاً ما ذكره عن الدراسة التركيبية (الفونولوجية) للأُصوات ، وعن تنافر الحروف .

الفصل الثاني : في الكلام عن الأُصوات اللغوية عند الجاحظ .
وفيها تعرضت لمنهج الجاحظ في الوصول إلى الحقائق والمعلومات في مجال الأُصوات ، وما ذكره عن المخارج والصفات ، والأُصوات الفرعية ، وما تختص به العربية من الأُصوات اللغوية ، إلى جانب الدراسة التركيبية للأُصوات وما تحدث به عن تنافر الحروف والكلمات .

الفصل الثالث : وفيه بيان إضافات الجاحظ في مجال دراسة الأُصوات اللغوية .

وقد تضمنت هذه الإضافات كلمته عن "الضاد" ، وما تختص به العربية من الأُصوات وتنافر الكلمات ، وإمكانات الجهاز الصوتي الإنساني ، والحروف الأُكثر دورانا في اللغة ومنهج إحصاء هذه الحروف ، والامتحانات الصوتية ، وبعض الدراسات المقارنة في الأُصوات ، وإيحاءات الأُصوات ، وتعليل تنوع الأُصوات اللغوية وكثرة الألفاظ ، والعلة في صعوبة بعض اللغات وسهولتها ، وأثر التدريب في تعلم اللغة ، واهتمام الجاحظ بأُصوات الحيوانات ، ودراسة الجاحظ للصوت دراسة طبيعية ، وأخيراً وضعه لأسس علم الأُداء الصوتي .

الباب الثالث : في الكلام عن عيوب النطق قبل الجاحظ ومعه .

ويتضمن هذا الباب أربعة فصول :

الفصل الأول : في الكلام عن عيوب النطق قبل الجاحظ.

وفيها ذكرت ما قاله الأَصمعي وثابت عن العيوب النطقية.

وفي الفصل الثاني : تحدثت عن العيوب التي ذكرها الجاحظ.

وتشمل :

أولا : عيوب النطق العضوية.

ثانيا : عيوب النطق الوظيفية .

ثالثا : عيوب الأُداء .

كلام الجاحظ عن أسباب عيوب النطق وعلاجها .

وفي الفصل الثالث : تحدثت عن إضافات الجاحظ في كلامه

عن عيوب النطق .

أما الفصل الرابع : ففيه تقويم لكلام الجاحظ عن عيوب النطق .

وذلك بمقارنته :

أولا : بكلام الرئيس ابن سينا عن عيوب النطق .

ثانيا : بكلام علماء النفس المحدثين عن عيوب النطق أيضا ويشمل ذلك :

أ - العيوب التي اتفق فيها الجاحظ والمحدثون .

ب - العيوب التي انفرد بها الجاحظ .

ج - العيوب التي انفرد بها المحدثون .

وهذه المقارنة والتقويم لكلام الجاحظ يفيدنا في بيان ما تضمنه

كلامه من إضافات تتمثل في سبقه وريادته ببعض الأفكار الناجحة فسي

مجال عيوب النطق وعلاجها .

وأخيرا الخاتمة : وفيها لخصت نتائج البحث وخلصت فيها إلى أن الجاحظ قد أتى بإضافات لم يسبقه إليها أحد من علماء العربية ، حيث سبق عصره بأفكار رائدة في مجال الأصوات وعيوب النطق وعلاجها .

*

وختاما أحمد الله تعالى على فضله وعودته لي على إتمام هذا البحث الذي أرجو أن يكون في المستوى اللائق بمن بذلوا معي الجهود المضنية في سبيل إخراجه بصورة جيدة تستحق أن أنال بها درجة الماجستير إن شاء الله .

وأخص بالشكر الجزيل منار العلم وصرحه الشامخ الذي نهلنا من نبعه وما زلنا نطمع في المزيد ، وأعني بها جامعتنا الحبيبة جامعة أم القرى .

كما أخص بالشكر سعادة عميد كلية اللغة العربية ، وعميد معهد اللغة العربية ورئيسي قسم الدراسات العليا وقسم اللغة العربية .

ولا يفوتني أن أشكر أصحاب السعادة أعضاء لجنة المناقشة :

سعادة الأستاذ الدكتور / عبد الفتاح عبد العليم البركاوي

وسعادة الأستاذ الدكتور / مصطفى عبد الحفيظ سالم

الذين سيكون لكرام ملاحظاتهم وتوجيهاتهم الأثر الكبير في مستقبل خطواتي العلمية القادمة .

(ز)

وختاماً لا يسعني إلا أن أرفع أسمى آيات الشكر والتقدير
والعرفان لسعادة الأستاذ الدكتور محمد حسن حسن جبل المشرف على
الرسالة ، الذي كان يمثل مشعلاً من مشاعل العلم استضاءت به في مشوار
بحثي العلمي ، والذي بسعة علمه وصبره الأبوي ساعدني على إخراج
هذا البحث بالصورة الماثلة بين أيديكم .

ولا يفوتني في هذا المقام الكريم أن أشكر سعادة الأستاذ الدكتور
عياد بن عيد الثبتي المشرف بالإجابة ، الذي كرمني بقبوله الإشراف على
رسالتي لإكمال مشواري العلمي ، وقد كان لهذا الأمر أكبر الأثر في
نفسي حيث أسبل علي ثوباً من الشرف والدافع المعنوي لمواصلة الجهد ،
وذلك لما يتمتع به سعادته من مكانة علمية رفيعة هي مطمح كل طالب
علم .

وأبلغ الشكر أقدمه لمن كانت الدافع لي لإكمال مشواري العلمي
والعلمي ، والدتي الحبيبة ، أطال الله بقاءها .

لكل هؤلاء الأفاضل ، ولكل من ساعدني في بحثي ذكرت أم لم
أذكره لا أجد أبلغ ولا أفضل من أن أقول لهم : جزاكم الله خيراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

هيفاء عبد الحميد كلنتن .

مكة المكرمة في ١٥ / ١١ / ١٤٠٨ هـ

الجاحظ

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، المعروف بالجاحظ .
وإنما قيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين .

وهو من أهل البصرة ، وأحد شيوخ المعتزلة . (١)

له مؤلفات عديدة في شتى ألوان المعرفة ، قال عنه المسعودي :
" ولا يعلم أحد من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه " . (٢)

ومن مؤلفاته : الحيوان ، والبيان والتبيين ، والمرجان
والبرصان ، والفرق بين النبي والمتنبي ، والبخلاء ، والزرع والنخل
والزيتون والأغراب ، والعرب والموالي ، والأصنام والمعادن . . وغيرها . (٣)
أجمعت أكثر التراجم على أنه قد توفي في عام ٢٥٥ هـ . (٤)

(١) استيفاء لترجمة الجاحظ يمكن الرجوع إلى مواضع ترجمته في
الكذب القديمة وهي : (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) للخطيب
البغدادي جز ١٢ ص ٢١٢ . دار الكتاب العربي ، بيروت -
لبنان . (وفيات الأعيان وآباء أبناء الزمان) لابن خلكان
٤٧/٣ ، تحقيق د . احسان عباس ، دار صادر بيروت - لبنان .
(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) للسيوطي ٢/٢٢٨ ،
تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط ٢ عام ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م
دار الفكر ، وانظر (معجم الأدباء) لياقوت جز ١٦ ص
٧٤ ، الطبعة الأخيرة ، مطبوعات دار المأمون .
ومن أوسع ترجماته الحديثة ما كتبه العلامة عبد السلام هارون
في مقدمة تحقيقه لكتاب الحيوان .

(٢) انظر مروج الذهب للمسعودي ٤/١٣٥ .

(ط)

.....

===

(٣) انظر (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) ٢ / ٢٢٨ .

وانظر أيضا :

(مقدمة الجاحظ) في كتابه الحيوان ، الجزء الاول ، تحقيق

د / عبد السلام هارون . المجمع العلمي العربي الإسلامي ،

بيروت لبنان .

(٤) انظر (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) للخطيب البغدادي

جزء ١٢ ص ٢١٩ .

وانظر (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان ٣ / ٤٧٤ .

وانظر (بغية الوعاة) ٢ / ٢٢٨ .

وانظر (معجم الأرباب) لياقوت جزء ١٦ ص ٧٤ - ١١٤ .

الباب المذكور

الكلام عن أعضاء الجهاز الصوفي قبل الجامع وعنده
ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : الكلام عن أعضاء الجهاز الصوفي
قبل الجامع .

الفصل الثاني : الكلام عن أعضاء الجهاز الصوفي
عند الجامع .
وإضافاته في هذا المجال .

الفصل الأول : الكلام عن أعضاء الجهاز الصرفي
قبل الجاهل .

الفصل الأول

الكلام عن أعضاء الجهاز الصوتي قبل الجاحظ

سأتحدث في هذا الفصل عن العلماء الذين سبقوا الجاحظ في مجال دراسة أعضاء الجهاز الصوتي حتى أستطيع بذلك أن أحدد إضافات الجاحظ في مجال الدراسات الصوتية .

وأول من تناول الأصوات اللغوية تناوواعلميا قبل الجاحظ حسب ما وصل إليه علمنا هو الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي وذلك في مقدمة كتابه " العين " (١) ، ثم تلميذه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (٢) ، وذلك في باب الإدغام من كتابه المشهور " الكتاب " .

وأرى من الطبيعي أن أعرض لما كان معروفا للقديما - الخليل وسيبويه ومن قبلهما - عن جهاز النطق الإنساني ، ونظرا إلى أن القديما كانوا يتناولون ذلك الجانب ضمن كلامهم عن أعضاء البدن الإنساني في كتب خلق الإنسان ،

(١) الخلاف في نسبة " العين " للخليل بن أحمد معروف . انظر مقدمة العين جزء (١) ، تحقيق د. عبدالله درويش . فهناك إجماع على أن المقدمة الصوتية التي في أول العين هي للخليل ، ودراستنا تنصب على هذا الجانب الصوتي .

والخليل بن أحمد هو صاحب العربية والعروض وهو أستاذان سيبويه وعمامة الحكاية في كتابه عنه . قال عنه ابن المقفع : إن عقله كان أكثر من علمه . انظر الفهرست لابن النديم ص ٦٣ ، حيث ذكر أنه توفي عام ١٢٠ وانظر بغية الوعاة للسيوطي ١/٥٥٧ ، حيث ذكر أن الخليل توفي عام ١٦٠ أو ١٧٥ .

(٢) وهو فارسي الأصل ، نشأ بالبصرة ، وكان علامة ، حسن التصنيف جالس الخليل وأخذ عنه . وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله

لذلك نجد أن كتب خلق الإنسان هذه تمثل في محتوياتها ما كان معلوما لدى العرب عن أعضاء البدن الإنساني . لهذا سوف نعد ما في كتابي الأُصمعي وثابت- وهما من أقدم ما وصلنا من تلك الكتب- هو ما كان يعرفه العرب قبل الخليل وسيبويه عن جهاز النطق لأن الأُصمعي الذي عاصر الخليل شطرا من حياته أخذ علمه في " خلق الإنسان " عن العرب سمعا أو دراية ، وأخذ ثابت عن الأُصمعي وغيره كما ذكر في مقدمة كتابه .

أه أعضاء الجهاز الصوتي عند الأُصمعي (١) وثابت بن أبي ثابت : (٢)

لقد تعرض الأُصمعي وثابت بن أبي ثابت لجهاز النطق فسي كتابيهما " خلق الإنسان " وذلك في أثناء عرضهما للأعضاء الموجودة في جسم الإنسان . ومن خلال تقصينا لما ذكره استطعنا أن نستخلص الصورة التي كانت شائعة عن أعضاء جهاز النطق عند القدماء في ذلك الوقت .

- ====
- أحد قبله ، وكان المازني يقول : من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستج . اختلف في تاريخ وفاته فمنهم من قال سنة ١٦١ أو ١٧٧ وقيل سنة ١٨٠ أو ١٨٨ أو ١٩٤ . انظر الفهرست لابن النديم ص ٧٦ دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان . وبغية الوعاة ٢/٢٢٩ . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ، دار الفكر .
- (١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصح أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر والنحو . وكان من أهل السنة ، لا يفتي إلا فيما أجمع عليه علماء اللغة ، ولا يجيز إلا أفصح اللغات . له مؤلفات عديدة ، ولقد اختلف في تاريخ وفاته فقيل توفي عام ٢١٣ أو ٢١٥ أو ٢١٦ ، ٢١٧ رحمه الله . انظر الفهرست ص ٨٢ ، وبغية الوعاة ٢/١١٢ .
- (٢) هو أبو محمد ثابت بن أبي ثابت ، قيل أن اسم أبيه سعيد ، وقيل محمد كان نحويا ولغويا ، لقي فصحاء الأعراب ، وهومن كبار الكوفيين . له عدّة مؤلفات منها خلق الإنسان ، ومختصر العربية . وكان تلميذا لأبي عبيد القحطاني ٢٢٤ هـ . انظر الفهرست ص ١٠٣ ، وبغية الوعاة ١/٤٨١ .

فأعضاء الجهاز النطقي عندهم تشتمل على : الفلصمة ، والحنجرة ،
والحلق بجميع أقسامه ، والفم بمحتوياته : الحنك ، واللسان بأقسامهما ،
والأسنان والشفيتين ، والخياشيم .

وفيا يلي عرض شامل لهذه الأعضاء النطقية وما ذكرناه عنها
موضحة بالرسم وهي كما يلي :

(١) الفلصمة والحلقوم .

تقارب الأُصمعي وثابت في تعريفهما للفلصمة ، وبيان موضعها ، فقد
قال الأُصمعي : " الفلصمةُ وهي العُجْرَةُ التي على مُلتَقَى اللِّهَاءِ
والمرىءِ ، إذا ازْدَرَدَ الآكِلُ اللُّقْمَةَ فَزَلَّتْ عن الحَلْقِ دَخَلَتْ فَمَ الفلصمةِ " .
(١)

وقال ثابت بن أبي ثابت : " الفلصمةُ من الإنسانِ مُتَّصِلُ
الحلْقومِ بالحَلْقِ ، إذا ازْدَرَدَ الآكِلُ لُقْمَتَهُ فَزَلَّتْ عن الحَلْقِ دَخَلَتْ فَمَ
الفلصمةِ " .
(٢)

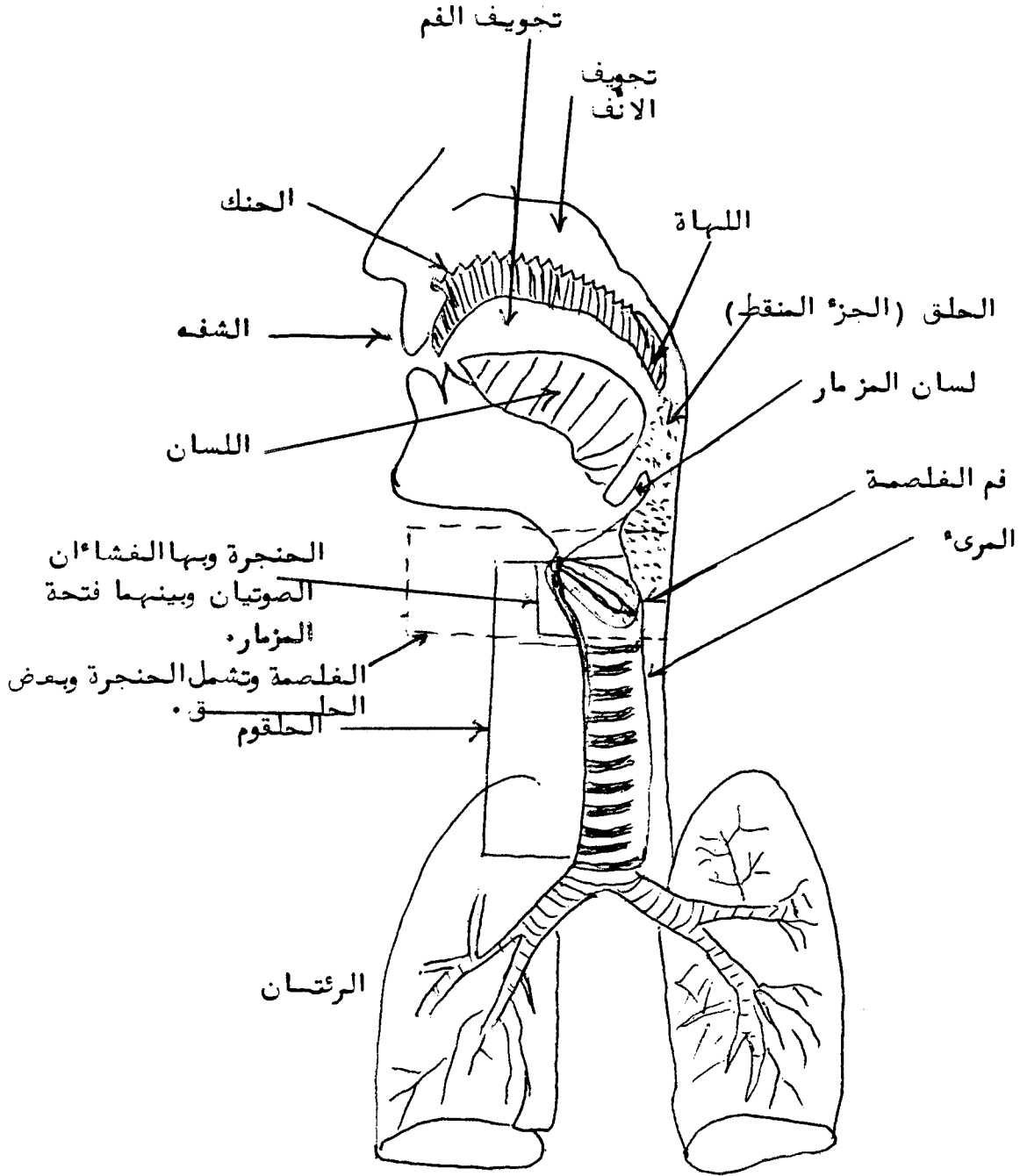
فالعُجْرَةُ التي ذكرها الأُصمعي تعني " الموضع الناتج " في
مقدم الحلق " (٣) ، وقوله : " الفلصمة هي العجرة التي على ملتقى
الليهاء والمرىء " معناه أن ذلك النتوء هونتوء جسم الفلصمة ، وأنها
في الوسط بين اللهاة التي تتدلى في أعلى الحلق ، والمرىء الذي يبدأ
في أسفل الجزء الخلفي من الفلصمة . والمرىء هو مجرى الطعام والشراب ،
فإذا ابتلع الآكل اللقمة فزلت عن الحلق دخلت فم الفلصمة الذي هو كالمدخل
إلى فم المرىء .

(١) " خلق الإنسان " للأُصمعي ص ١٩٧ ، نشره وعلق عليه د . أوجست

هفتر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .

(٢) كتاب " خلق الإنسان " لثابت بن أبي ثابت ص ١٩١ .

(٣) انظر لسان العرب مادة " عجر " ٤ / ٥٤٢ .



المرجع : انظر في تخطيط هذا الرسم :

١ - أصوات اللفظة العربية د . محمد حسن حسن جبل ٤٠ - ٤٥ .

٢ - The Human Body in Relife,
Relife Tables (Nova, Rico, Florace),
Chart 036.

٣ - اكلت البيانات في ضوء ما ذكره الأصمعي وثابت - ثم سائر اللغويين - عن أعضاء النطق .

وهذا التعريف يوافق في معناه ما قاله ثابت : من أن الفلصمة من الإنسان متصل بالحلقوم بالحلق أى أنها في الوسط تصل الحلق بالحلقوم .

والحلقوم هو : " مجرى النفس والسُّعال من الجوف ، وهو أطباق غراضيف ليس من دونه من ظاهر باطن العنق إلا جلده وطرفه الأسفل في الرئة ، وطرفه الأعلى في أصل عكدة اللسان ، ومنه مخرج النفس والريح والبصاق والصوت " . (١)

وفي التهذيب : " والحلقوم وهو الحنجور وهو مخرج النفس لا يجرى فيه الطعام والشراب (والذي يجرى فيه الطعام والشراب) يقال له المري " . (٢) فالحلقوم هو ما يسمى في عصرنا هذا القصبة الهوائية ، ورأسه هو ما يسمى الحنجرة . والفلصمة تشمل رأس الحلقوم (الحنجرة) ، وما حولها ، والمدخل إلى فم المري ، وهذا المدخل وراء الحنجرة وهو الذى يسمى فم الفلصمة . فالعبارة التي وردت في تعريفى الأصمعي وثابت " إذا ازدر الآكل اللقمة فزلت عن الحلق دخلت فم الفلصمة " يؤخذ منها أن فم الفلصمة هو كالمدخل إلى فم المري ، لأن اللقمة تعبر الحلق - وهو التجويف الذى يعلو الحنجرة - أولاً ، ثم تدخل فم الفلصمة ، ومنه إلى فم المري ضرورة .

وهناك من تعريفات الفلصمة ما يجعل الحلق جزءاً منها .

الحنجرة : لقد اتفق الأصمعي وثابت على أن الحنجرة هي رأس الفلصمة ، ومن

المعروف قديماً وحديثاً أن الحنجرة هي العضو الأساسى لصوت الإنسان ، وذلك لأن الحنجرة تشتمل على الوترين الصوتيين الممتدين أفقياً من الخلف إلى الأمام حيث يلتقيان عند البروز المعروف بتفاحة آدم .

(١) انظر لسان العرب مادة (حلقم) ١٢ / ١٥٠ .

(٢) انظر التهذيب ٥ / ٣٠١ وانظر اللسان ١٢ / ١٥٠ .

(٣) انظر لسان العرب ، وتاج العروس (غلصم) .

قال ثابت : " الحنجرة رأس الفلصة حيث تحدّد ،
وحدّته أنه طرف الحلقوم " . (٢)

فالموضح من هذا أن الأُصمعي وثابتاً قد اتفقا في

تعريف الحنجرة ، التي هي رأس الفلصة . ثم إنه كان من المعروف
لأهل القرن الأول وما بعده أن الحنجرة هي التي تولد الصوت .

جاء في لسان العرب (حنجر) " أن القاسم (بن محمد) (٧٠٧ هـ)

سئل عن رجل ، ضرب حنجرة رجل فذهب صوته . فقال عليه الديلم
فهذا شاهد على معرفتهم أن الصوت إنما يصدر عن الحنجرة .

(٣) الحلق :

من الملاحظ أن الأُصمعي وثابتاً لم يعرفا الحلق تعريفاً محدداً ،
وإنما ذكرا عرّفنا في أثناء حديثهما عن الفلصة : أن اللقمة تزل عن الحلق
في طريقها إلى فم الفلصة .

والذي جاء في العمين " الحلق مساغ الطعام والشراب ، ومخرج
النفس من الحلقوم ، وموضع المذبح من الحلق [هو] أيضاً " . (٣)

وقول الخليل إنه مخرج النفس من الحلقوم يعني أن الحلق هو
التجويف الذي يعملوا الحنجرة . وذلك

(١) يعني بقوله " حيث تحدّد " : حيث ينتأ في مقدم عنق الرجل .

انظر اللسان مادة (حنجر) ، ٤ / ٢١٦ .

(٢) انظر كتاب " خلق الإنسان " لثابت بن أبي ثابت ص ١٩١ ،

وخلق الإنسان للأُصمعي ص ١٩٧ . والأشبه أن ما جاء في

خلق الإنسان للأُصمعي " من قوله في تحديد الحنجرة " حيث

ينحدر منه الطعام " تحريف عن " حيث تحدّد " التي جاءت في

كلام ثابت . وأضاف ناشر الكتاب إلى الكلمة ما ظنه توضيحاً للمراد .

(٣) كتاب العمين تحقيق د . المخزومي ود . السامرائي ٣ / ٤٨ ولفظ

[هو] من تهذيب اللفظة ٤ / ٥٨ .

هو طريق النفس خروجاً من الحلقوم إلى الأنف أو الفم ، ودخولاً منهما إليه . وهذا هو عين التحديد الحديث للحلق .

وواضح كون ذلك التجويف (الحلق) هو أيضاً مساع الطعام والشراب ، أي مرهماً من الفم إلى فم الفلصمة ثم المرى .

وواضح أن الحلق بموقعه هذا هو مجرى الصوت أيضاً بعد صدوره عن الأغشية الصوتية في الحنجرة .

ولقد ذكر الأصمعي وثابت أن الفم يشتمل على " اللغاريذ "

وهي كالزوائد من لحم تكون في باطن الأذنين من داخل . قال هسيان ابن قحافة :

(١) تَرَى اللَّغَارِيذَ بِهِ حَوَابِجًا نِصْفَيْنِ نِصْفًا خَارِجًا وَوَالْجَا

قال ثابت : " قوله حَوَابِجٌ : مُتَّفَخَةٌ مِنْ شِدَّةِ هَدِيرِهِ ، يُقَالُ : حَبَجَ يَحْبِجُ حَبَجًا إِذَا انْتَفَخَ وَارْتَفَعَ كَأَنَّهُ وَرَمٌ " . (٢)

(واللغارين) كما ذكر ثابت ، هي الوترات اللواتي عند باطن الأذنين إذا استد فوالإنسان تَمَدَّنَ وَالوَاحِدُ لَغَنُونٌ .

(وَالنَّفَانِغُ) : " لَحْمٌ مُتَدَلٌّ فِي بَطْنِ الْأُذُنَيْنِ وَالوَاحِدُ نَفْنَفَةٌ "

(٣) وَنَفْنَعٌ .

(١) انظر كتابي (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٦ ، وثابت ص ١٩٠ .

(٢) انظر كتاب (خلق الإنسان) لثابت بن أبي ثابت ص ١٩٠ .

(٣) انظر كتابي (خلق الإنسان) لثابت ص ١٩٠ .

وأحب أن أشير إلى أن الخليل وسيبويه قد قسما الحلق إلى ثلاثة أحياز وذلك في أثناء تحديدهما لمخارج الحروف العربية ، فذكرنا أن الحلق يتكون من أقصى الحلق ، ووسط الحلق ، وأدنى الحلق ، مع تحديد الحروف التي تخرج من هذه الأقسام الثلاثة. (١)

(٤) الفم : (٢)

وهو الفتحة المعروفة التي يدخل منها الطعام وفيها يمضغ ، ويخرج منها ومن الأنف الكلام . وهو من أهم أعضاء الجهاز الصوتي ، حيث إنه يحوي معظم أعضائه : اللسان ، والحنك ، والأسنان ، والشفيتين .

- (١) انظر (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي ٦٥/١ .
تحقيق د/عبدالله درويش . وكتاب (الكتاب) لسيبويه ٤٣٣/٤ ،
تحقيق عبد السلام هارون / عالم الكتب بيروت . (مصورة) .
- (٢) من الملاحظ أن الأصمعي وثابتا لم يذكرنا تعريفا للفم . فهما لم يذكرنا عن الفم شيئا إلا الأعضاء الموجودة فيه . انظر (خلق الانسان) للأصمعي ١٩١ ، وثابت ١٥٢ ، ١٦٠ . ولقد جاء في اللسان أن الفوه أصل بناء تأسيس الفم .
قال أبو منصور : " وما يَدُلُّك على أن الأصل في فم ، وفو ، وفا ، وفي ، هاء حذفت من آخرها قولهم للرجل الكثير الأكل (فَيَّة) وامرأة (فَيَّة) . ورجل أفوه عظيم الفم طويل الأسنان . . .
والجمع أفواه . قال تعالى ﴿ ذَلِكْ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ التوبة آية ٣٠ ، وقالوا : رجل مَفْسُوهٌ إذا أجاد القول ، ومنه الأفوه للواسع الفم ، ولم نسمعهم قالوا : أفهام ، ولا تفمت ، ولا رجل أفم .
هذا بعض ما ورد عن الفم في اللسان ، وهناك - إلى جانب ذلك - بعض التحليلات الصرفية عند بعض العلماء عن أصل حروفه .
(انظر لسان العرب مادة فوه) ٥٢٥/١٣ .

٥) الحنك :

لقد ذكر الأصمعي وثابت أن الحنك هو : "سَقْفُ أَعْلَى الفِصَمِ
حَيْثُ يُحَنِّكُ البَيْطَارُ مِنَ الدَّابَّةِ" (١)

وقد قصدا به ذلك الغطاء المحدب الذي فوق اللسان وهو
المعروف بين العامة بسقف الحنك.

ولقد قسم القدماء الحنك إلى ثلاثة أقسام وهي :

أ - أقصى الحنك : وهو الجزء المسمى باللَّهَاء ، قال الأصمعي :
"اللَّهَاءُ : وهي اللَّحْمَةُ الحَمْرَاءُ المَعْلَقَةُ في أَعْلَى الحَنَكِ عَلى
عَكْرَةِ اللِّسَانِ" (٢)

ب- وسط الحنك ، ويقال لها المَحَارَةُ أو النَّطْع ، قال الأصمعي :
"والمَحَارَةُ أَعْلَى الحَنَكِ المُسْتَدِيرُ ، ويقال له النَّطْعُ مَحْرُكٌ ،
وَاللَّحْمُ الذي في أَسْفَلِهِ تُسَمِّيهِ العَرَبُ الحَقَافَ يَقولُ الرَّجُلُ
يَمِسُ حَقَافِي مِنَ العَطَشِ" (٣)

وقال ثابت : " والمَحَارَةُ : الحَنَكُ أَيْضاً ، ويقالُ له النَّطْعُ . واللحْمُ
الذي في أَسْفَلِهِ إلى اللَّهَاءِ يَقَالُ لَهَا الحَقَافُ .

وقال أبو زيد : يَقَالُ لِمَوْجِعِ اللِّسَانِ من أَسْفَلِهِ : الفِرَاشُ ، ولموقعه
من الحَنَكِ : النَّطْعُ " (٤)

(١) انظر كتابي (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٦ ، وثابت ص ١٦١ .

(٢) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٦ .

والعكرة : هي أصل اللسان كالعقدة . انظر لسان العرب مادة

(عكر) ص ٦٠١ .

(٣) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٦ .

(٤) انظر كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٦١-١٦٢ .



ج - مقدم الحنك : ويسمى اللثة العليا ، قال الأصمعي : " اللثة
وهي اللحم الذي رُكز فيه الأسنان ، والشرف التي تصعد بين
اللحم والأسنان يقال لها العُورُ واحدُها عُمُرٌ " . (١)

وقال ثابت : " وفي الفم اللثة ، وهو اللحم الذي على أصول
الأسنان يُسبك الأسنان ، والجمع لثاتٌ .

وفي اللثة العُورُ ، والواحد عُمُرٌ ، وهو اللحم الذي يسيل من
اللثات بين الأسنان كالشرف ، وقد يقال له : القيورُ " . (٢)

(٦) اللسان :

إن اللسان عضوهام من أعضاء الجهاز النطقي ، فهو كثير الحركة
في الفم وينتقل من وضع لآخر عند النطق فيكيف الصوت اللغوي على
حسب أوضاعه المختلفة . كما أنه يساعد في تقليب الطعام وحذره إلى
الداخل . ولقد قسم القدماء اللسان إلى ثلاثة أقسام وهي :

أ - أقصى اللسان : وهو الجزء الداخل في الفم ويقع بمحاذاة

أقصى الحنك الأعلى (أي تحت اللهاة) (٣) ولقد اتفق

الأصمعي وثابت على تعريفه ، قال الأصمعي : " اللسان وفيه

العكدة (والعكرة) وهما أصل اللسان ومعظمه " . (٤)

وقال ثابت : " اللسان وفيه عكدة وعكرته وجذره ، وهو أصل

اللسان ومُستغلظه " (٥) إذا فأقصى اللسان هو أصله والجزء

الغليظ فيه .

(١) انظر (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٤ .

(٢) انظر (خلق الإنسان) لثابت ص ١٦٣ .

(٣) انظر ما قيل سابقا عن (أقصى الحنك) ص ١١ .

(٤) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٥) انظر كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨١ .

ولقد ذكر الأَصمعي وثابت أن في اللسان عرقين أخضريين
يستبطنان اللسان يقال لهما الصُّرَدَان .

كما نوه ثابت إلى أن في أصل اللسان عظيمين يقال لهما:
العَمِيرَان ، ولكل واحد شُعْبَتَان في طرفه .^(١)

ب - وسط اللسان : من الملاحظ أن الأَصمعي وثابتاً لم يذكر
وسط اللسان ، وإنما ذكر أقصاه وطرفه ، والذي ذكره وسط
اللسان هو الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه ، وذلك في
أثناء تحديدهما للأصوات اللغوية التي تخرج من وسط اللسان^(٢)
وعلى ذلك فإن وسط اللسان يشمل الثلث الأوسط من اللسان
تقريباً .

ج - طرف اللسان : ويقال له عَذْبَةُ اللسان ، ولقد اتفق الأَصمعي
وثابت في تعريفه قال الأَصمعي : " ثم اللسان وفيه عَذْبَتُهُ
وهي طرفه ، تقول العرب إذا نعتت خفة اللسان : ما أرق عَذْبَةُ
لسانه " .^(٣)

وقال ثابت : " وفي اللسان عَذْبَتُهُ ، وهو طَرَفُهُ ، تقول العرب
للرجل إذا وَصَفَتْ خِفَةَ لِسَانِهِ : ما أرق عَذْبَةُ لِسَانِهِ " .^(٤)
ولقد نوه ثابت إلى أن أسلة اللسان وعذبتة شيء واحد ، حيث
قال : " وفيه الأَسَلَةُ وهو طَرَفُهُ حيث استَدَقَ ورق ، والأَسَلَةُ والعذبة واحدٌ " .^(٥)
ونجد أن الأَصمعي وثابتاً لم يقتصرا على ذكر اللسان وأقسامه فقط ، بل

تعدياه إلى ذكر الآفات التي تصيب اللسان وتعيبه .

- (١) انظر كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨٢ .
- (٢) أنظر العين (د . د . رويشن) ١ / ٦٥ ، والكتاب للسيبويه ٤ / ٤٣٣ .
- (٣) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٦ .
- (٤) انظر كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨١ .
- (٥) انظر نفس المرجع ص ١٨١ .

(٧) الأسنان :

لا شك أن للأسنان دورا كبيرا في إخراج بعض الأصوات اللغوية ،
فلذلك عدت عضوا من أعضاء الجهاز النطقي ، ولقد ذكر الأصمعي وثابت
أن الأسنان تشتمل على الثنايا والرِّبَاعِيَّاتِ وَالْأَنْيَابِ وَالضَّوَاهِكِ وَالطَّوَاهِنِ
وَالْأَرْحَاءِ وَالنَّوَاجِذِ ، قال الأَصْمَعِيُّ : " وفي الفم الثنايا والرِّبَاعِيَّاتِ ،
وَالْأَنْيَابِ وَالضَّوَاهِكِ وَالنَّوَاجِذِ ، فالضَّوَاهِكُ أربعة أضراس من ذلك تلي
الْأَنْيَابَ إلى جنبِ كُلِّ نَابٍ من أسفلِ الفمِ وأَعْلَاهُ ضَاحِكٌ .

وأما الأَرْحَاءُ فهي ثمانية أضراسٍ من كُلِّ شِقِّ من أسفلِ الفمِ
وَأَعْلَاهُ ، وَالنَّوَاجِذُ أربعة أضراس اللواتي هُنَّ أَوَاخِرُ الأَضْرَاسِ من كُلِّ
شِقِّ من أسفلِ الفمِ وأَعْلَاهُ . " (١)

وقال ثابت بعد أن عدد ما في الفم من أسنان كما فعل الأَصْمَعِيُّ -
" إن الأسنان كلها تشتمل على ست وثلاثين سنا من فوق وأسفل . أربع
ثنايا : اثنتان من فوق ، واثنتان من أسفل .

ثم يلي الثنايا أربع رباعيات ، اثنتان من فوق ، واثنتان من أسفل .
ثم يلي الرباعيات الأنياب ، وهي أربعة : نابان من فوق ، ونابان من
أسفل . ثم يلي الأنياب الضواحك ، وهي أربعة أضراس ، إلى كل
ناب من أسفل الفم وأعله ضاحك .

ثم تلي الضواحك الطواحن والأرحاء ، وهي ستة عشر ، في كل
شق ثمانية ، أربعة من فوق ، وأربعة من أسفل .

ثم يلي الأرحاء النواجذ : أربعة أضراس ، وهي آخر الأضراس
نباتا ، والواحد ناجذ . " (٢)

(١) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩١ .
(٢) انظر كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

كما ذكر ثابت أن العرب تسمي الضواحك العوارض ولقد أورد
قول أبي زيد : * العوارض ثمانية في كل شق أربعة فوق ، وأربعة
أسفل ، فذلك ستة عشر * . (١)

كما ذكر أن أصول الأسنان الغائبة في اللثة يقال لها : السنوخ ،
والواحد سنخ * . (٢)

ونجد أن الأصمعي وثابتا لم يقتصرا على ذكر الأجزاء وتحديدها ،
بل تعرضا أيضا للآفات التي تصيب الأسنان وتعييبها ومنها : الروق ،
والشفا ، والفقم ، والفوه ، والقادح .

فالرَّوق عندهما : * طول الأسنان العُلَى ، ويقال : رجل أروق ،
وامرأة روقاء * . (٣)

وأما الشِّفَا فهو : * أن تختلف نبتتها فلا تستوى ، يقال : رجل
أشفي ، وامرأة شفواء * . (٤)

أما الفقم : * فهو تقدم ثناياه السفلى ، فلا تقع العليا عليها ،
وذلك إذا ضم الرجل فاه تقدمت ثناياه السفلى فلم تقع العليا عليها * .
(٥)

والفوه : * هو طول الأسنان كلها ، يقال رجل أفوه ، وامرأة فوها * .
(٦)

والقادح : * هو تأكل الأسنان ، يقال قدح في سنه قدحا . وجمعها قوادح * .
هذا بالنسبة لبعض الآفات والأعراض التي تصيب الأسنان .

-
- (١) انظر كتاب (خلق الانسان) لثابت ص ١٦٧ . المقصود ثمانية في كل جانب
من جانبي الفم أربعة من أعلى وأربعة من أسفل ، وقد حددت العوارض
بتحديدات كثيرة من حيث عدد ها ، وتعيينها : الثنايا وحادها / الثنايا وما
بعدها / ما بين الثنايا والأضراس / الأسنان التي بعد الثنايا / الناب
والضرس الذي يليه / أربعة الأسنان التي تلي الأنبياب (انظر اللسان عرض) .
- (٢) نفس المرجع ص ١٦٨ .
- (٣) كتابي (خلق الانسان) للأصمعي ص ١٩٣ ولثابت ص ١٧٢ .
- (٤) انظر كتابي (خلق الانسان) للأصمعي ص ١٩٤ ولثابت ص ١٧٥ .
- (٥) نفس المرجع للأصمعي ص ١٩٥ .
- (٦) انظر كتابي (خلق الانسان) للأصمعي ص ١٩٥ . ولثابت ص ١٧٣ .
- (٧) انظر كتابي (خلق الانسان) للأصمعي ص ١٩٢ ولثابت ص ١٨٠ .

(٨) الشفتان :

إن للشفتين دورا بارزا في إخراج بعض الأصوات اللغوية ، فلذلك اعتُبرت من الأعضاء الرئيسية في الجهاز الصوتي . قال الأصمعي : في الفم الشفتان والواحدة شفةٌ ، وكان ينبغي أن تكون شفهةً . ويدل ذلك على ذلك أنهم إذا صفروها قالوا : شُفِيهَةٌ ، فيردونها إلى أصلها ويجمعون فيقولون : شِفاءٌ كثيرةٌ ، فالهاء من شفاء هي الأصلية ، كقولهم شاةٌ وشويةٌ وشيأةٌ ، وماءٌ ومؤيهٌ ومياهٌ ، ينقصونها في الواحد استثقالا . (١)

ولقد ذكر ثابت أن في الشفتين الإطارين حيث قال : " وفي الشفتين الإطاران ، في كل شفةٍ إطارٌ ، والإطارُ : الذي يفصل بين الشفة وشعر الشارب كأنه كفافٌ " . (٢)

أما بالنسبة لما يعترى الشفتين من الآفات ، فقد ذكر الأصمعي وثابت عدّة أشياء منها : الهدل والفلح والعلم والذَّلَع . . . وغيرها . (٣)

فالهدل هو : " ضخم واسترخاء فيها ، يقال : رجل أهدل الشفة ، وامرأةٌ هدلاءٌ " . (٤)

أما الفلح : " فهو ضخم (في الشفة السفلى) واسترخاء وتشقق كشفاه الزنج ، يقال : شفة فلحاء بينة الفلح " . (٥)

(١) انظر كتاب (خلق الانسان) لثابت ص ١٥٢ .

(٢) نفس المرجع ص ١٥٢ و ١٥٣ .

(٣) انظر نفس المرجع من ص ١٥٤ ، الى ص ١٥٧ ، حيث ذكر عدّة آفات تصيب الشفة .

(٤) نفس المرجع ص ١٥٣ .

(٥) نفس المرجع السابق ص ١٥٣ .

أما العلم فهو : " شقُّ في الشفة العليا في وسطها ، مثل شفة
(١)
البعير ، وكل بعير أعلم ، والناقة علماً ، وكذلك الرجل أعلم ، والمرأة علماء " .

أما الذلع فهو من الإنسان كالهدل ، قال أبو زيد : " ومن
الشفاه الذلَعاء وهي من الإنسان كالهدل في البعير ، والاسم الذلَع
والهدل " . (٢)

هذا بالنسبة لبعض ما يعترى الشفاه من الآفات .

٩ . الخياشيم :

تعتبر الخياشيم عضوا من أعضاء الجهاز الصوتي ، لأنها تشارك في
إخراج بعض الأصوات اللغوية مثل (الميم ، والنون) .

قال الأصمعي في تعريفها : " الخياشيمُ وهي العظامُ الرقاق فيما
بين أعلاه - (أى أعلى الأنف) - إلى الرأس ، والواحد خيشوم " .
(٣)

وقال ثابت : " الخياشيم وهي الفَرَاضيفُ التي في أقصى
الأنف ، بينه وبين الدماغ ، الواحد خيشوم ، ويقال : إن الخياشيم
عروقٌ في باطن الأنف " . (٤)

فالخياشيم إذا تقع في أقصى الأنف في الجزء الواقع ما بين
الرأس وما فوق أرنبة الأنف ، وتشتمل هذه المنطقة على عظام رقاق وعروق .
والذى يؤيد هذا القول ما ورد في اللسان : " الخيشوم من الأنف ما فوق

(١) انظر (خلق الإنسان) لثابت ص ١٥٤ .

(٢) نفس المرجع ص ١٥٤ .

(٣) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٨٨ .

(٤) انظر كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٤٧ .

نُخْرِتِهِ من القصبة وما تحتها من خشارم رأسه (١) وقوله : " وفي الأنف
ثلاثة أعظم فإذا انكسر منها عظم تَخَشَّم الخيشوم فصار مخشوماً (٢) "

ومن الطبيعي أن تشمل هذه المنطقة على عروق أوشرايين
في باطن الأنف وفي هذا الأمر يستقيم القولان اللذان وردا عن
الأصمعي وثابت.

وبنهاية هذا الموضوع أكون قد انتهيت من عرض أعضاء الجهاز
الصوتي عند الأصمعي وثابت بن أبي ثابت.

(١) انظر اللسان مادة (خشم) ١٢ / ١٧٨ .
(٢) انظر نفس المرجع ٣ / ١٧٩ .

(ب) - أعضاء الجهاز الصوتي عند الخليل وسيبويه :

من الطبيعي أن تلك المعلومات التي ذكرها الأصمعي وثابت عن جهاز النطق ، كانت معروفة للخليل وسيبويه وقد بدا ذلك في ذكرهما أسماءها أثناء تحديدهما لمخارج الأصوات. لكن لهما إضافات في هذا المجال تتمثل في تقسيم كل من الأعضاء الموهثة في إخراج الأصوات إلى مناطق أو أحياز حسب مخارج الحروف التي تخرج منها.

ومن الملاحظ أن الخليل وسيبويه لم يعقدا فصلا خاصا للجانب العضوي في كتابيهما : (العين) و (الكتاب) ، وإنما تحدثا عن مختلف أعضاء الجهاز الصوتي عند تحديدها لمخارج الأصوات وصفاتها.

فأعضاء الجهاز الصوتي عندهما هي :

١ - الحلق :

ذكر الخليل وسيبويه الحلق عند تحديد مخارج الأصوات اللغوية الحلقية وهي : العين ، والحاء ، والهاء ، والخاء ، والفيين ، والهمزة . (١)

(١) نسبا إلى الحلق صوت العين والحاء والهاء والخاء والفيين ، ونصا على أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق ، وذلك في كتاب (العين) للخليل ج ١ ص ٥٨ و (الكتاب) لسيبويه ج ٤ ص ٤٣٣ والذي يؤخذ من كلامهما أن الحلق هو أول أعضاء الجهاز النطقي .

وهو عندهما أقصى (١) أعضاء النطق أو أعمقها .

أقسام الحلق عند الخليل وسيبويه :

نحن نعرف أن سيبويه قد قسم الحلق إلى ثلاثة مناطق وهي :

(١) أقصى الحلق ، وتخرج منه الهمزة والألف والهاء .

(٢) وسط الحلق ، وتخرج منه العين والحاء .

(٣) أدنى الحلق ، وتخرج منه الفين والحاء .

هذا التقسيم مصرح به في كتابه . (٢)

وعندما نظرت إلى أستاذه الخليل بن أحمد وجدت أنه قد قسم

نفس التقسيم الذي قسمه تلميذه سيبويه ، ولكنه لم يذكر هذا التقسيم

(١) قال الخليل : فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بحنة

في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين ، ثم الهاء

ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء ،

فهذه ثلاثة أحرف في حيز واحد . بعضها أرفع من بعض ، ثم

الحاء والفين في حيز واحد ، كلهن حلقيه . انظر العين

ج ١ / ص ٦٤ . وقد صرح سيبويه بأن الحلق أقصى أعضاء النطق

حيث قال : فللحلق منها (يعني من المخارج) ثلاثة فأقصاها

مخرجا : الهمزة والهاء والألف ، ومن أوسط الحلق مخرج العين

والحاء . وبأدناها مخرجا من الفم : الفين والحاء . انظر

(الكتاب) لسيبويه ج ٤ / ص ٤٣٣ . وقد تبع سيبويه استاذه

الخليل في هذا الترتيب فبدأ بالحروف الحلقيه ، فالحلق عندهما

هو أقصى أعضاء الجهاز النطقي ، وهذا سليم لغويا إذا اعتدنا

أقصى الحلق هو الأغشية الصوتية التي تغطي الحنجرة وتكون

قاع الحلق وتخرج منها الهمزة .

(٢) انظر الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٣٣ .

صراحة كما ذكره سيبويه وإنما أشار إليه في بعض كلامه. (١)

فنحن حينما ندقق فيما قاله الخليل وما رواه بعض العلماء عنه
كابن كيسان (٢) نستنتج كيفية تقسيمه للحلق التي هي في الواقع أصل
تقسيم سيبويه .

- (١) من ذلك قوله : " وأما مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين
فالحلق . وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق ، مهتوتة
مضسوطة . فإذا رفته عنها لانت إلى الياء والواو والألف ، عن
غير طريقة الحروف الصاحح " . انظر العين ١ / ٥٨ : ت : درويش .
- (٢) انظر رواية ابن كيسان في كتاب (المزهر في علوم اللغة وأنواعها)
للسيوطي ١ / ٩٠ . تحقيق وشرح وضبط محمد أحمد جاد المولى ،
على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل ابراهيم . دار الفكر .
فالذي تأخذه من نص الخليل وابن كيسان أن الهمزة تخرج من
أقصى الحلق ، وأن الألف من جنسها . وتأخذ من رواية ابن
كيسان أن الهاء تخرج من نفس مخرج الهمزة وهو أقصى الحلق
والخليل لم يبدأ بهن لما تتصف به من صفات لا تؤهلها
للصدارة في ترتيبه للمعجم ، فلذلك بدأ بالعين لأنها أنصع
الحروف ، حيث قال : " فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء
ولولا بحة في الحاء لا شبهت العين . . . " انظر العين ١ / ٦٤ ،
فالخليل هنا يقصد أن العين أقصى ما يمكن أن يبدأ به من
الحروف ، فكأنه لم يستطع أن يبدأ بالحرف الأقصى حقيقة
وهو " الهمزة " ولا بالذي يليه وهو الهاء فاعتبر أن العين
هي الأقصى . وعلى هذا فإن أقصى الحروف عند الخليل - في
غير ترتيب معجم العين - هي الهمزة والألف والهاء ، ثم
يليه العين والحاء ثم يليه الغين والخاء ، وهذا ما يعرفه
الخليل ، إلا أنه لم يصرح به ، كما أنه لم يأخذ به في ترتيب
معجمه .

(٢) الفم :

لم يقف الخليل أوسيبويه عند وصف الفم بعينه عضواً للنطق ،
ربما اكتفاءً بكونه عضواً معروفاً . وإنما حلل الخليل لفظ الفم تحليلاً
صرفياً . (١)

(٣) الحنك :

المقصود بالحنك هو ذلك الغطاء المحذب الذي فوق اللسان ،
والذي تسميه العامة سقف الحنك . (٢)

- (١) قال الخليل : " الفم أصله (فوه) كما ترى . والجميع أفواه .
والفعل : فاه ، يفوه ، فوها ، إذا فتح فيه للكلام " (العين :
درويش ٥٦ / ١) .
وقال : " فأما قوله (فموان) فإنه جعل الواو بدلاً من الذاهبة .
فإن الذاهبة هي هاء وواو . وهما إلى جنب الفاء . ودخلت
الميم عوضاً منهما . والواو التي في (فموين) دخلت بالفلط
وذلك أن الشاعر يرى ميماً قد أدخلت في الكلمة ، فيرى أن الساقط
من (الفم) هو بعد الميم فيدخل الواو مكان ما يظن أنه سقط
منه ويفلظ " (العين : درويش ٥٧ / ١) .
فالخليل هنا قد حدد أصل الفم وما حذف منه ، مع بيان طريقة
جمعه . أما بالنسبة لسيبويه ، فإنه لم يذكر الفم في أثناء عرضه
لمخارج الأصوات وصفاتها كما أنه لم يهتم بتحليلها تحليلاً صرفياً ،
ولعله اكتفى بما فسره أستاذه الخليل .
- (٢) هناك الحنك الأعلى وهو ذلك المذكور ، وهناك الحنك الأسفل ،
وهو تحت الفك الأسفل بين اللحية ومقدم العنق .

أقسام الحنك :

ينقسم الحنك إلى ثلاثة أقسام وهي :

أ - أقصى الحنك : ذكره الخليل في تحديد مخرج القاف والكاف باسم اللهاة حيث قال : " القاف والكاف لهويتان ، لأن مبدأهما من اللهاة " . (١)

والمعروف أن اللهاة جزء من أجزاء الحنك ، وهذا الجزء الأقصى . وقد عبر سيبويه عن هذا المخرج بأنه ما فوق أقصى اللسان من الحنك الأعلى ، وهذا بالنسبة للقاف حيث قال : " ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف " . (٢)

أما بالنسبة للكاف فقد قال : " ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف " . (٣) . أي أن الكاف أرفع قليلا من القاف فهي داخله في اللسان إلى الأمام بعد القاف .

ب - وسط الحنك : وهو النّطع ، أو الفار ، أو المحارة . وقد ذكر الخليل النّطع في تحديده لمخرج (الطاء ، والذال ، والتاء) ، حيث قال : " والطاء والتاء والذال نطعية . لأن مبدأها من نطع الفار الأعلى " . (٤)

وذكر سيبويه وسط الحنك في تحديده لمخرج (الجيم ، والشين ،

والياء) . قال سيبويه : " ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى

مخرج الجيم والشين والياء " . (٥)

(١) انظر (العين) للخليل ١ / ٦٥ . تحقيق د . عبدالله درويش .

(٢) انظر (الكتاب) لسيبويه ٤ / ٤٣٣ . تحقيق د . عبدالله درويش .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) انظر العين (د . درويش) ١ / ٦٥ .

(٥) انظر الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

ج - مقدم الحنك : وهو اللثة حيث ذكره الخليل ونسب إليه مخرج الظاء والذال والطاء حيث قال : " والطاء والذال والطاء لثوية لأن مبدأها من اللثة " (١) مع أن ذكره هنا في مخرج الظاء والذال والطاء غير دقيق ، فلعله يقصد أن هواء هذه الحروف يحتك باللثة من الداخل قبل أن يخرج من الثغرات التي حول اللسان .
أما بالنسبة لسيبويه ، فنجد أنه لم يذكر اللثة في أثناء تحديده لمخارج الأصوات اللغوية .

٤ (اللسان :

ذكر الخليل وسيبويه اللسان في أثناء تحديدها لمخارج أصوات لغوية كثيرة ، وقد قسما اللسان إلى عدة مناطق وهي :

أ - أقصى اللسان : ذكره الخليل عند تحديده مخرج

(القاف والكاف) حيث قال : " وأما مخرج . . . القاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم " (٢) وعكدة اللسان هي أصله ومستقله . وذلك أقصاه الذي يقابل أقصى الحنك أو اللهاة .

(٣)
وقد ذكر الخليل أن الكاف أرفع من القاف ، يعني أن موضع خروجها

أقرب إلى خارج الفم من القاف .

أما سيبويه فقد ذكر أقصى اللسان في أثناء تحديده لمخرج

(القاف) ، حيث قال : " ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى

مخرج القاف " (٤) . وقال عن الكاف إنها تخرج " من أسفل من موضع

(١) انظر العين (د . درويش) ١ / ٦٥ .

(٢) (العين) للخليل ١ / ٥٨ ، تحقيق د . عبدالله درويش .

(٣) نفسه ص ٦٤ .

(٤) انظر (الكتاب) لسيبويه ٤ / ٤٣٣ .

(١)
القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك الأعلى " . وهو معنى ما ذكره
الخليل بعينه . وعلى ذلك فإن أقصى اللسان ينتهي بنهاية الثلث
الداخلي من اللسان .

ب - وسط اللسان : وقد ذكره الخليل في تحديد مخرج
(الجيم ، والشين ، والضاد) وهو ما عبر عنه بشجر الفم ، أى مفرج الفم ،
حيث قال : " الجيم والشين والضاد شجرية لأن مبدأها من شجر الفم
أى مفرج الفم " . (٢) ويقصد المنطقة التي توازي مفرج الفم من
اللسان .

أما سيبويه فقد ذكر وسط اللسان في أثناء تحديده لمخرج -
(الجيم والشين والياء) حيث قال : " ومن وسط اللسان بينه وبين
وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء " . (٣) وعلى ذلك
فإن وسط اللسان يشمل الثلث الأوسط من اللسان تقريبا .

ج - مقدم اللسان : إن مقدم اللسان يشمل الثلث الأمامي
من اللسان ما عدا أسلة اللسان التي هي طرفه ، ولم يذكره الخليل أو
سيبويه بالاسم ، وإنما ذكر ما يدل عليه في مخرج الراء . (٤)

د - حافة اللسان : وهي حرفه المجاور للأضراس وقد
ذكرها سيبويه في تحديد مخارج (الضاد ، واللام ، والنون) . (٥)

-
- (١) انظر (الكتاب) لسيبويه ٤/٤٣٣ .
(٢) انظر (العين) ، تحقيق د . عبدالله درويش ١/٦٥ .
(٣) انظر (الكتاب) لسيبويه ٤/٤٣٣ ،
(٤) انظر ما قيل عن مخرج (الراء) في (العين) للخليل ١/٦٥ ،
وفي (الكتاب) لسيبويه ٤/٤٣٣ .
(٥) انظر (الكتاب) لسيبويه ٤/٤٣٣ .

هـ - أسلة اللسان أو طرف اللسان : ذكرها الخليل في أثناء
تحديده لمخرج (الصاد ، والسين ، والزاي) . (١)

أما سيبويه فقد ذكرها في أثناء تحديده لمخرج (الطاء ،
والدال ، والتاء ، والزاي ، والسين ، والصاد ، والظاء ، والذال ، والثاء) . (٢)

٥) الأسنان :

نجد أن الخليل لم يذكر الأسنان أو الثنايا صراحة في أثناء تحديده
لمخارج الأصوات ، وإنما ذكرها يدل عليها في مخرج بعض الأصوات ،
كالصاد ، والسين ، والزاي ، والظاء ، والذال ، والثاء ، والتاء ، والفاء .
أما سيبويه فقد ذكرها في أثناء تحديده لمخرج (الطاء ،
والدال ، والتاء ، والزاي ، والسين ، والصاد ، والظاء ، والذال ، والثاء ،
والفاء) حيث قال : " وما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء
والدال والتاء " . " وما بين طرف اللسان وفوق الثنايا مخرج الزاي ،
والسين ، والصاد " ، " وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج
الظاء والذال والثاء " . ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا
مخرج الفاء " . (٣)

أما بالنسبة للرابعيات والأنياب فلم يذكرها في أثناء تحديدهما
لمخارج الأصوات اللغوية .

(١) انظر (العين) للخليل ١ / ٦٥ .

(٢) انظر (الكتاب) لسيبويه ٤ / ٤٣٣ .

(٣) انظر نفس المرجع والصفحة .

أما الأُضراس - وتشمل الضواحك والطواحن والنواجد - فقد ذكرها سيبويه في أثناء تحديده لمخرج (الضاد) حيث قال : " ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأُضراس مخرج الضاد (١) .
أما الخليل فلم يذكر الأُضراس في أثناء تحديده لمخارج الأصوات اللغوية .

٦ (الشفتان :

ذكر الخليل الشفتين في أثناء تحديده لمخرج (الفاء ، والباء ، والميم) حيث قال : " وثلاثة شفوية : ف ، ب ، م ، مخرجها من بين الشفتين خاصة . لاتعمل الشفتان في شيء من الحروف الصاح إلا في هذه الأُحرف الثلاثة فقط (٢) .
أما سيبويه فقد ذكر الشفتين في أثناء تحديده لمخرج (الفاء ، والباء ، والميم ، والواو) ، وذكر أن الفاء تخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا (٣) .
أما (الباء ، والميم ، والواو) فمخرجها من بين الشفتين (٤) .

-
- (١) انظر (الكتاب) لسيبويه ٤/٤٣٣ . الخليل نظر إلى وسط اللسان وسقف الحنك مع نطق (الضاد) . أما سيبويه فلم ينظر إلى هذا ، وإنما نظر إلى خروج الهواء من جانبي اللسان .
- (٢) (العين) للخليل ١/٥٧ .
- (٣) انظر (الكتاب) لسيبويه ٤/٤٣٣ .
- (٤) نفس المرجع والصفحة .

(٧) الخياشيم :

تعتبر الخياشيم عضوا من أعضاء الجهاز النطقي ، فهي تشارك في إخراج بعض الأصوات اللغوية مثل (الميم ، والنون) ، وقد ذكرها سيبويه فقال : " ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة " (١) .
أما الخليل فلم يذكرها في أثناء تحديده لمخارج الأصوات اللغوية .

وبنهاية هذا الموضوع أكون قد انتهيت من ذكر الخليل وسيبويه لأعضاء الجهاز الصوتي ، ووصفها له .

(١) انظر (الكتاب) لسيبويه ٤ / ٤٣٤ . والصواب النون الخفية فهنا تصحيف .

الفصل الثاني : الكلام عن أعضاء الجهاز القوي

عند الجاهل .

وإضافته في هذا المجال .

الفصل الثاني

الكلام عن أعضاء الجهاز الصوتي عند الجاحظ وإضافاته في هذا المجال

لقد وضحت الرواية نوعاً ما بعد الإلمام بأعضاء الجهاز الصوتي قبل الجاحظ فدراستنا لهذا الموضوع في الفصل الأول ستساعدنا كثيراً على معرفة الإضافات التي أضافها الجاحظ في هذا المجال.

وقد أتى الجاحظ بعدهم بإضافات في مجال الدراسات الصوتية وذلك من جانبين :

١ - الجانب العضوي .

٢ - في مجال الأصوات اللغوية .

ففي الجانب العضوي ذكر الجاحظ بعض أعضاء الجهاز الصوتي كالحنجرة أو الغلصمة واللسان والأسنان والأشداق والشفاه . ونوه إلى أن سلامتها أثراً كبيراً في سلامة الأداة اللغوية بصفة عامة ، بصرف النظر عن اشتراكها في مخارج بعض الأصوات أو عدم اشتراكها . وهذه وقفة عند أعضاء الجهاز الصوتي التي تناولها الجاحظ . وأرى أن من واجبنا أن نلفت مقداً إلى ما يتميز به تناول الجاحظ لأعضاء النطق عن تناول الأصمعي وثابت من ناحية ، وعن تناول الخليل وسيبويه من ناحية أخرى . فالغالب على تناول الأصمعي وثابت أن يذكر أعضاء الجهاز الصوتي على أنها من مكونات الفم والحلق وما إلى ذلك فحسب ، والغالب على تناول الخليل وسيبويه أن يذكر تلك الأعضاء من حيث مشاركتها في إخراج الأصوات وتكوينها .

أما الجاحظ فإنه يذكر تلك الأعضاء من حيث أثرها في نجاح
وظيفة اللفظة بأدائها على خير وجه ، أو في فشل هذه الوظيفة بسوء
الأداء لخلل في الأعضاء أو في الروافد الفكرية .
أولا : كلام الجاحظ عن أعضاء الجهاز الصوتي : وأول هذه الأعضاء هي :

(١) الحنجرة :

لقد سبق أن قمنا بتعريف الحنجرة في الفصل الأول ، وذلك في
أثناء حديثنا عن الذين سبقوا الجاحظ في هذا المجال . (١)

والحنجرة كما نعلم هي أهم أعضاء الجهاز الصوتي ، وقد تكلم
عنها الجاحظ في أكثر من موضع إلا أنه ذكرها أحيانا باسم الحنجرة
وأحيانا باسم الفلصة . حيث قال : " قال أبو العاصي : أنشدني
أبو محرز خلف بن حيان ، وهو خلف الأحمر مولى الأشعريين ، في عيب
التشادق :

(٢)
له حَنْجَرٌ رَحَبٌ وَقَوْلٌ مَنْقَحٌ وَفَصْلٌ خَطَابٍ لَيْسَ فِيهِ تَشَادِقٌ

وذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد " غاب الفدادين والمتزدين
في جهازة الصوت وانتحال سعة الأشداق ، ورحب الفلاصم وهـدل
الشفاه " . (٣)

فذكر الجاحظ للفلصة يصدق أساسا على ما يسمى اليوم الحنجرة

وإن كانت الفلصة تشمل ما حول الحنجرة أيضا .

(١) انظر ما قيل سابقا عن الحنجرة ص ٧٠ .

(٢) انظر البيان والتبيين ١/١٢٩٠ .

(٣) انظر نفس المرجع ١/١٣٠ .

ثم إن ربطه بين جهازة الصوت ورحابة الحنجرة أو الفلصمة يعني

أمرين :

الأول : أن المعلومة التي أسلفنا معرفة العرب إياها وهي أن الصوت

مصنوعه الحنجرة كانت حاضرة في ذهنه .

والثاني : أن هناك ارتباطا بين مدى جهازة الصوت وقوته من ناحية ،

وبين مدى سعة الحنجرة أو الفلصمة من ناحية أخرى ، وهذا صحيح علميا ،

لأن سعة الحنجرة يتبعها أثران :

الأثر الأول : هو ضخامة الصوت بسبب طول الأوتار الصوتية

حينئذ .

الأثر الثاني : هو كساب الصوت رنينا وجهازة بسبب وظيفة

تجويف الحنجرة هنا كصندوق رنان .

ولا بد من الإشارة إلى أن الخليل وسيبويه لم يصرحا بذكر الفلصمة أو الحنجرة

في أثناء تحديدهما لأعضاء الجهاز الصوتي ، ولم يذكر أنها عضو

من أعضاء الجهاز الصوتي . أما الجاحظ فقد ذكرهما ، وربط بين سعة الفلصمة

وجهازة الصوت وفصاحته . ومن هنا يتضح أن الجاحظ هو أول من

أشار في كلام علمي إلى أن الحنجرة عضو من أعضاء الجهاز الصوتي .

وهذه إضافة لا بد أن تحسب له .

(٢) الحلق :

لا شك أن الحلق من الأعضاء المهمة في الجهاز الصوتي ،

فعليه تعتمد أصوات كثيرة في الخروج وهي الهمزة والألف والعين

والحاء والهاء والخاء والفاء . (١)

(١) انظر (العين) للخليل ٦٥ / ١ ، و (الكتاب) لسيبويه ٤ / ٣٣٣ .

والذى يهمننا هنا أن الجاحظ نوه بأثر جودة الحلق وسعته في قوة الصوت وجهارته حيث قال : " وقع بين فتى من النصارى وبين ابن فهريز المطران كلام ، فقال له الفتى : ما ينبغي أن يكون في الأرض رجل واحد أجهل منك ! وكان ابن فهريز في نفسه أكثر الناس علما وأدبا ، وكان حريصا على الجثقة ، فقال للفتى : وكيف حلت عندك هذا المحل ؟ قال : لأنك تعلم أنا لا نتخذ الجاثليق إلا مديد القامة ، وأنت قصير القامة ، ولا نتخذه إلا جهير الصوت جيد الحلق ، وأنت رقيق الصوت رديء الحلق . إلى آخر القصة . (١)

فهذه القصة تمثل ما قرره الجاحظ من أثر الحلق في شدة الصوت وجهارته ، فالحلق الجيد الخالي من العيوب يكون عاملا أساسيا في شدة الصوت ، لأن الحلق يعمل كصندوق رنان يكسب الصوت تضخيما وقوة . ويعتبر شدة الصوت من الصفات التي تميز الشخص وتحسنه في نظر الآخرين .

أضف إلى ذلك أن الجاحظ ذكر أن العرب حرصوا على تدريب صبيانهم وتعويدهم على رواية الأراجاز وتعلم المناقلات ، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب لأن ذلك يفتق اللهاة ويفتح الجرم . والجرم هو الحلق . (٢)

(١) انظر البيان والتبيين ١/١٢٤، ١٢٥.

الجاثليق : هو القسيس الأكبر الذى لا يقطع الأمر دونه .
والمطران : دون ذلك .

(٢) انظر البيان والتبيين ١/٢٧٢.

كما ذكر قصة الخارجي الذي أوقف لتُضرب عنقه فسمع طفلا يبكي وهم يريدون إسكاته فقال الخارجي : " دعوه يبكي فإنه أفتح لجرمه ، وأصح لبصره وأذهب لصوته . (١)

فالتدريب على توسعة الحلق أو الجرم كانت من الأمور التي تحرص عليها العرب حتى يصبح الشخص شديد الصوت حسن المنطق . وكثيرا ما تفنى العرب في أشعارهم بشدة الصوت ، ومدحوا بهذه الصفة خطباء هم ، حيث أورد الجاحظ قول الأعشى في وصف الخطيب بذلك :

فيهم الخِصْبُ والسماحة والنجدة جمعاً والخاصبُ الصَّلاقُ (٢)
ففي كلام الجاحظ وفي القصة التي أوردها ما يوه كد معرفته لا ترسعة الحلق وقوته وسلامته في سلامة الأداة بالنسبة للأصوات وتحقيق مخارجها وبعده مداها .

(٣) الفم :

من المعروف أن الفم هو الفتحة التي بين الفك الأعلى والأسفل والتي مدخلها ما بين الشفتين وهو التجويف الذي يدخل منه الطعام والشراب ، وتخرج منه أكثر الأصوات .

ولقد تعرض الجاحظ للفم من ناحية أخرى ، حيث أورد في كتابه البيان والتبيين أن العرب كانوا يمدحون سعة الفم ويستحسنونها ،

(١) انظر البيان والتبيين ١/٢٥٩ .

(٢) نفس المرجع ١/١٢٤ . والصلاق : الشديد الصوت .

ويذمون صفرا لغم ويستقبحونها ، حيث ذكر الجاحظ قول "الأعرابي الذي
سُئل عن الجمال فقال : طول القامة وضخم الهامة ، ورُحِب الشدق وبعد
الصوت" (١)

كما ذكر الجاحظ أبياتا دل فيها على تفضيل العرب لسعة
الأشداق وهجائهم لضيق الأفواه ، وذلك كقول الشاعر :

(١)
لحَى اللهُ أَفْوَاهَ الدَّبِيِّ مِنْ قِبَلَةٍ إِذَا زُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا

وقول الآخر :

(٢) وَأَفْوَاهَ الدَّبِيِّ حَامِئًا قَلِيلًا وَلَيْسَ أَخُو الْحِمَايَةِ كَالضُّجُورِ

فالشاعر هنا شبه أفواههم بأفواه الدبى لصفراء أفواههم وضيقها . والدبى
هو الجراد .

(٣) وَفِي اللِّسَانِ يُقَالُ لِلرَّجُلِ الصَّغِيرِ الْغَمِّ فُوجْرَنِي ، وَفُودَبِي (٤)

وسعة الغم تصدق بشيئين ، كبير حجم الفكين واتساع ما بين
جانبيهما ، وفي هذه الحالة يتصف الشخص بسعة الغم ، أى سعة تجويف
الغم من الداخل . وتصدق أيضا بسعة الشدقين وهما مشق الغم من
الجانبيين ، فإذا اتسعت فتحة الشدقين ساعد ذلك على انتشار الصوت
ونصوع جرسه ، وكلاهما يؤثر تأثيرا ايجابيا في قوة الصوت وجهارته .

(١) انظر البيان والتبيين ١/١٢١ .

(٢) نفس المرجع ١/١٢٢ .

(٣) نفس المرجع ١/١٢٢ .

(٤) انظر اللسان مادة (فوه) ٢٣٠/٥٣٨ .

كما أورد الجاحظ في البيان والتبيين أنهم " كانوا يمدحون
الجهير الصوت ، ويذمون الضئيل الصوت ، ولذلك تشادقوا في الكلام ،
ومدحوا سعة الفم ، وذموا صغر الفم " (١)

وهذا الذى قاله الجاحظ عن الربط بين جهارة الصوت وكبير
الفم ، وبين ضآلته وصغر الفم تصدقه الدراسات الحديثة التي تقرر
أن تجويف الحلق والفراغ الأنفي والفم يعمل - بالإضافة إلى ما
يعطيه من كمال نطق الأصوات - كفراغ رنان يكسب الصوت قوة
وتفخيما ، فبقدر سعته تكون قوة تأثيره في الجهارة والتفخييم (٢)

ولا شك أن الفم الصغير الحجم لا يزود الصوت بالرنين الكافي
الذى يجعله في السمات الطبيعي من حيث الجهارة والقوة وعمق الصدى .
ونلاحظ ما أورده الجاحظ أنه قد أضاف إلى عضو الفم إضافة
جديدة لم يتطرق إليها الخليل وسيبويه من قبل ، فهما لم يتعرضا
للفم من حيث صغره وكبره ، وإنما تكلموا عن أعضاء الجهاز الصوتي
الموجود فيه كاللسان ، والألسان ، والشفاه . . . وغيرها ، وذلك عند
تحديد المخارج الأصوات اللفوية أوصافها .

ومن هنا نجد أن الجاحظ قد أضاف إضافة جديدة في مجال
الأصوات اللفوية بحديثه عن سعة الفم وأثرها في قوة الصوت .

-
- (١) انظر البيان والتبيين ١/١٢٠، ١٢١ .
(٢) انظر مثلاً دراسة الصوت اللفوي د . احمد مختار عمر ص ٨٣ - ٨٤
ط ١ (عالم الكتب) ، والأصوات اللفوية د . ابراهيم أنيس ،
ص ١٨ ط / الرابعة ١٩٧١ م - مكتبة الانجلو المصرية .

٤) اللسان :

كما اهتم الجاحظ بالحنجرة والحلق والغم من حيث أثر قوتها وسعتها وسلامتها في كمال أداء اللفة وتحقيق وظيفتها بنجاح ، فإنه اهتم أيضا بدور اللسان كثيرا من حيث طوله وقصره وعرضه ورقته ، وأثر سلامته أو اصابته في أداء الصوت اللغوي .

فقد أورد كثيرا ما يشير إلى تنبيه الإوائل إلى أهمية اللسان ومكانته في التعبير عما يجول في النفس البشرية، / ذلك أنه كان يقال : " عقل الرجل مدفون تحت لسانه " . (١)

وكثيرا ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من سقطات اللسان ، وأن عدم صونه يؤدى إلى العذاب في الآخرة فقد قال : " وهل يكبُّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم " .

كما قال الشاعر :

(٢)
وجرحُ السيفِ تدمُّهُ فيجرا وَيَبْقَى الدهرَ ما جرح اللسانُ

وأورد الجاحظ أنه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لحسان ابن ثابت : " ما بقي من لسانك ؟ فأخرج لسانه حتى ضرب بطرفه أرنبته . ثم قال " والله ما يسرني به مقول من معدد ، والله أن لو وضعت على حجر لقلقه أو على شعر لقلقه " . (٣)

(١) انظر البيان والتبيين ١/١٧١ .

(٢) نفس المرجع ١/١٦٧ .

(٣) نفس المرجع ١/١٦٩ .

كما أورد الجاحظ أيضا قول كعب بن جُعيل التغلبي لهز يد
ابن معاوية ، حين أمره بهجاء الأنصار ، فقال له : "أرادى أنت إلسى
الكفر بعد الإيمان ، لا أهجو قوما نصرُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأووه ، ولكنى سأدلك على غلام في الحي ، كافر كأن لسانه لسان ثور ،
يعنى الأخطل " . (١)

ومن قصة حسان بن ثابت يتضح لنا أن لسان حسان بن ثابت
كان طويلا من الناحية العضوية حتى ضرب به أرنبة أنفه .

وأیضا كان أبو السمط مروان بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي
حفصة وأبوه وابنه يقرعون بأطراف ألسنتهم أطراف آنافهم .

يفهم من كلام الجاحظ أن لطول اللسان أثرا في فصاحة النطق
وفي القدرة اللفوية شعرا ونثرا .

ولا شك أن لطول اللسان وعظمه أثرا في فصاحة الأراء اللفوية ،
بمعنى تمييز الأصوات اللفوية التي يشترك في أدائها اللسان - وهي
أكثر الأصوات - بعضها من بعض ، وبمعنى السرعة في إلقاء الألفاظ
مع تميزها وسلامتها أيضا . ثم لا شك بعد ذلك أن طول اللسان بما
يتيح له يشارك في اسعاف الفكر بالتعبير عما يجرى فيه إذا كان معين
الفكر غزيرا والقدرة اللفوية عالية . ومن هنا يفهم ما أراد الجاحظ
من التنويه بطول اللسان في معرض الحديث عن القدرة الشعرية .

والذى نوه كده أن طول اللسان يساعد في الأراء الفصيحة
ويساعد في سرعة الأراء للأصوات وللکلمات ، فإذا اجتمع هذا مع
الشروط الأخرى ساعد هذا مساعدة كبيرة في الشاعرية أو القدرة اللفوية ،

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/٦٣ .

بدليل أن اللسان لو كان قصيرا أو ثقيلًا فإنه لا يسعف الفكر بالتعبير السلس وقد يترتب على ذلك ضياع الخيط الفكري وفقد بعض الأفكار وهذا يؤدى بدوره إلى القصور اللغوى . وقد أشار الجاحظ إلى أن سلامة اللسان أثرًا واضحًا في سلامة الأداة اللغوى وأن من أضر إصابة اللسان وثقله تحدث اللثغة. (١)

كما أورد الجاحظ في كتابه " الحيوان " أن أرسطو زعم أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين وأحكي لما يلقن ولما يسمع ، كنعو الببغاء والغداف وغراب البين وما أشبه ذلك. أما عن رقة اللسان فقد أورد الجاحظ أن أحدا حدثه بأنه سمع أعرابيا يمدح رجلا برقة اللسان فقال : " كان والله لسانه أرق من ورقه وألين من سرقه ". (٢)

فرقة اللسان تؤدى إلى خفته وخفة حركته ويسرهما وسرعتهما وزيادة قدرته على اتخاذ الأوضاع المناسبة للأصوات المختلفة ، وهذا بدوره أيضا يؤدى إلى إخراج الكلام فصحا ووضحا ، كما يساعد ويسعف الفكر وذلك كما بيناه من قبل .

أما عن عطب اللسان وفساده وما يترتب عليه من حصر وعي وحبس ولثغة . . . الخ ، فقد ذكره الجاحظ كثيرا وسنتناوله تناولا مستقلا في الباب الخاص بعيوب النطق .

(١) انظر البيان والتبيين ١/٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ففيها إشارات توضح ما قصدناه آنفا .

(٢) انظر الحيوان للجاحظ ٥/٢٨٨ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١/٦٩ ، والسرقة : شقائق من جيد التحرير .

(٥) الأُسنان :

الأُسنان هي تلك الأُعضاء العظمية النابتة في كل من الفكَيْن
الأعلى والأسفل من فم الإنسان ، وبها يمضغ الطعام . (١)

وظيفة الأُسنان في مضغ الطعام معروفة ، والذي يهمنا هـو
دورها في الأصوات اللغوية ، فهي عضو من أعضاء الجهاز الصوتي ، وقد
سبق لنا أن أشرنا إلى أن هناك أصواتا تعتمد في خروجها على الأُسنان . (٢)

ولا بد من التنويه إلى أن موضوع الأُسنان ومالها من أثر
كبير في إظهار بعض الأصوات اللغوية قد تطرقنا إليه في أثناء الحديث
عن الأصوات اللغوية قبل الجاحظ وأشرنا إلى ما ذكره الخليل وسيبويه
من أن هناك أصواتا تعتمد في خروجها على الثنايا والأضراس فهما قد
بحثا موضوع الأُسنان من هذه الناحية فقط .

أما الجاحظ فقد بين أن لتمام الأُسنان وسلامتها أثرا في
سلامة اللفظ ، فإذا تمت الأُسنان تمت الأصوات ، وإذا نقصت تأثر
الأداء اللغوي بمقدار ذلك النقص .

فالجاحظ ذكر ما روى عن يونس من أن المراد بقول الأحنف :

أتمتني فلم تُنقص عظامي ولا صوتي إذا جدد الخصومُ (٣)

(١) لم يرد في لسان العرب تعريف عن الأُسنان وإنما ورد قوله

السن : واحدة الأُسنان . وقال ابن سيده : السن الضرس ،
أنشى ، ثم بعد ذلك قام بسرد المعاني اللغوية الأخرى .

(٢) انظر ما سبق ص ٢٦ من هذه الرسالة .

(٣) انظر البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٥٩) .

هو تمام أسنانه وعدم نقص نبتتها مما نتج عنه فصاحته وحسن
أداءه حتى وصف بأنه (أبيض العرب والعجم قاطبة) (١)
فالملاحظ هنا كما أشار إلى ذلك يونس بن
حبیب أن لسلامة الأسنان أثراً في سلامة اللفظ فإذا تمت
الأسنان تمت الأصوات ، وإذا نقصت نقصت الأصوات . (٢)

وقد أورد الجاحظ في كتاب البيان والتبيين أن (زيد بن علي
ابن الحسين) كان حسن المخرج وأن نطقه خالٍ من الصفير .

وأورد قول (عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر) أن
سلامة لفظ زيد هي من أثر سلامة أسنانه فقال في كلمة له واصفاً أسنانه :

قلت قوادحها وتمَّ عديدها فله بذاك مزية لا تنكسر (٣)

ولقد عرف العرب الأوائل أن سلامة النطق هي من أثر سلامة الأسنان
ومن ذلك قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما طلب من الرسول
صلى الله عليه وسلم أن ينزع ثنيتي سهيل بن عمرو الخطيب فقد قال
عمر : يا رسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه ، فلا يقوم عليك
خطيباً أبداً . (٤) وإنما قال ذلك لأن سهيلاً كان (أفلح) أي

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٦٠/١

(٢) انظر المرجع نفسه ٥٩/١

(٣) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٦٠/١

(٤) في الإصابة قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم : دعني أنزع

ثنيتي سهيل بن عمرو فلا يقوم علينا خطيباً . فقال الرسول :

دعها فلعلها أن تسرك يوماً . فلما مات النبي صلى الله عليه

وسلم قام سهيل فقال لهم : من كان يعبد محمداً فإن محمداً

قد مات ومن كان يعبد الله ، فالله حي لا يموت .

انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، القسم الثالث
ص ٢١٣ . تحقيق علي محمد البحاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر .
القاهرة .

مشقوق الشفة السفلى . (١)

وذكر الجاحظ قول سهل بن هارون : " لو عرف الزنجي
فرط حاجته إلى ثنياه في إقامة الحروف وتكميل آلة البيان لما نزع
ثنياه " . (٢)

كما أورد الجاحظ أيضا في كتابه البيان والتبيين سوء ال أبي
الحسن المدائني : لبارك الزنجي الفاشكار عن السبب الذي تنزع
من أجله الزنج ثنياهم ؟ ولم يُحدّد ناس منهم أسنانهم ؟ فقال :
أما أصحاب التحديد فللقاتل والنهش ولأنهم يأكلون لحوم الناس . وأما
الذين ينزعون ثنياهم فإنهم قالوا : نظرنا إلى مقام أفواه الغنم فكرهنا
أن تشبه مقام أفواهنا مقام أفواه الغنم .

ويرى بذلك أنهم فقدوا الكثير من المنافع العظام يفقد تلك الثنياه .
هذا بالنسبة لنزع الثنياه وما له من أثر سيء في النطق .

(١) الذي ورد في البيان والتبيين للجاحظ عبارة : (كان أعلم من
شفته السفلى) ولعله تحريف ارتكبه النساخ ، لأن أهل اللغة
يجمعون على أن (العلم) أو (العلة) : هي شق في
الشفة العليا ولا يمكن أن يخفى ذلك على الجاحظ ، وقد ذكر
ذلك في الحيوان في الكلام عن الجمل ، ثم إن الفلج هو : شق
في الشفة السفلى ، فإذا اجتمع مع نزع الثنياه السفلى بقي اللسان
بلا حاجز سفلي من الأسنان أو الشفتين ، فيبرز ممتدا إذا
لم يجد حاجزا . وهذا هو معنى قول عمر رضي الله عنه (حتى
يدلع لسانه) ، لأن دلوع اللسان هو خروجه . هذا وتحقيق
الأمر بالنسبة لسهيل بن عمرو رضي الله عنه أنه كان أفلج لا أعلم .
جاء ذلك في قول أحدهم لسهيل بن عمرو : " لولا شيء يسوء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لضربت فلتحتك ، أي موضع الفلج

وهو الشق في الشفة السفلى " . انظر لسان العرب مادة (فلج) ٥٤٨ / ٢ .

(٢) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٥٨ / ١ .

ثم بعد ذلك فصل الجاحظ الأثر بالنسبة لسقوط كل الأسنان
أوبعضها ، فقرر أن سقوط كل الأسنان أقل ضررا لسلامة النطق من سقوط
بعضها دون بعض ، فإنه يفسد البيان .

وقد ذكر الجاحظ ما قاله (محمد بن عمرو الرومي) : " من أنه
قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح
في الإبانة عن الحروف منه إذا سقط أكثرها ، وخالف أحد شطريها
الشرط الآخر " .^(١) وهذا واضح لأن سقوط شطر دون شطر يخل
بانتظام حاجز الفك الأسفل المحيط باللسان ، وسقوط الجميع يجعل
ذلك الحاجز منتظما مما يساعد على سلامة النطق .

ثم قال الجاحظ : " وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قوم
شاهدتهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانهم ، وبعد أن بقي منها
الثلاث أو الربع " .^(٢)

فمن سقطت جميع أسنانه وكان معنى كلامه مفهوما : الوليد بن
هشام القحذي^(٣) صاحب الأخبار .

ومنهم أبوسفيان بن العلاء بن لبيد التغلبي وكان ذابيان
ولسن .^(٤)

(١) انظر البيان والتبيين ١/٦١٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) هو الوليد بن هشام بن قحزم ، أبو عبد الرحمن القحذي ، من

أهل البصرة^{كان} / يروى عن جرير بن عثمان ، وروى عنه أبو خليفعة
الفضل بن الحباب الجمحي . توفي سنة ٢٢٢ . انظر ما ذكره

محقق البيان والتبيين ، د . عبد السلام هارون عنه ١/٦١٠ .

(٤) انظر البيان والتبيين ١/٦١٠ .

كما ذكر الجاحظ أن (سفيان بن الأبرد الكلبى)^(١) كان كثيرا ما يجمع بين الحار والقار ، حتى تساقطت جميع أسنانه ، وكان في ذلك كله خطيبا بيّنا .

وذكر أيضا أن (عبيد الله بن أبي غسان) أصيب بما برد أسنانه بحيث كانت لا ترى ، إلا لمن يتطلع في لثته أو في أصول منابت الأسنان ، ولكنه كان يحاول أن يستعير عن قصر أسنانه بخفة تصريف لسانه .^(٢)

كما نوه الجاحظ ، إلى أن السقوط يكون مفسدا للبيان ، إذا كان في اللحم الذى فيه مفارز الأسنان تسمى وقصر سمك ، ففي هذه الحالة تذهب الحروف ويفسد البيان ، وأخيرا نوه الجاحظ ، إلى أثر سوء نبتة الأسنان وسوء انتظامها في أداء الأصوات ، مما ينتج عنه فساد النطق وعدم الوضوح . ومن الفساد في نبتة الأسنان : الشفا والبروق والفقم .

أما الشفا : فهو اختلاف الأسنان ، وقيل : اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج . والسن الشاغية : هي الزائدة على الأسنان وهي المخالفة لنبتة غيرها من الأسنان .

قال ابن برى : الشفا اختلاف نبتة الأسنان ، وليس الزيادة كما ذكره الجوهري . وقيل : هو خروج الثنيتين .

(١) وهو أحد قواد بني أمية . كان ذا ضلع كبير في حرب الخوارج ،

وهو آخر من أرسل إلى قطرى بن الفجاءة وقتله . انظر ترجمته

محقق البيان والتبيين له ٦١/١ .

(٢) انظر البيان والتبيين ٦١/١ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

ورجل أشفى ، وامرأة شفواء " . (١)

إذا تهاختلاف الألسنان وعدم انتظامها من العيوب التي توءثر
على خروج الأصوات اللغوية بصورة سليمة .

أما الرَّوْقُ : " فهو طول وانثناء في الألسنان ، وقيل : الرَّوْقُ
طول الألسنان وإشراف العليا على السفلى ، رُوْقٌ يَزُوْقُ رَوْقًا فهو أَرْوْقٌ
إذا طالت أسنانه .

والرَّوْقُ : الطوال الألسنان ، وهو جمع الأَرْوْقِ " . (٢)

فالملاحظ أن طول الألسنان وانثناءها ، أو إشراف الألسنان العليا
على السفلى مما يمنع الإنسان المصاب به من أن ينطق الأصوات اللغوية
بصورة سليمة ، لأن وضعها غير المنتظم يوءثر على خروج الأصوات اللغوية
خروجاً صحيحاً ، كما هو الحال عند الإنسان السليم .

أما الفَقْمُ : " فهو أن تدخل الألسنان العليا إلى الفم أى أنه
عكس الوضع الشائع في جمهور الناس ، وقيل في عبارة أخرى : الفقم وهو
أن يخرج أسفل اللحي ويدخل أعلاه ، فَقِمَ فَقْمًا وهو أفقم ، ثم كثر حتى
صار كل معوج أفقم .

وقيل في تعبير ثالث : الفقم في الفم أن تتقدم الثنايا السفلى
فلا تقع عليها العليا إذا ضم الرجل فاه . ويقال للرجل إذا أخذ بلحية
صاحبه وزقته : أخذ بفُقْمِهِ " (٣) . وهذا كله يعني شيئاً واحداً هو

(١) انظر لسان العرب مادة (شفا) ١٤ / ٤٣٥ .

(٢) انظر لسان العرب مادة (روق) ١٠ / ١٣٥ .

(٣) انظر لسان العرب مادة (فقم) ١٢ / ٤٥٧ .

أن تقع أسنان مقدم الفك الأعلى - عند أطباق الفم - إلى الداخل ورائه أسنان مقدم الفك الأسفل ، أي تكون هذه الأخيرة هي الظاهرة . فالإنسان المصاب بالفقم لا يحسن نطق الأصوات اللغوية التي تعتمد في خروجها على توازي الثنايا العليا بالثنايا السفلى ، وذلك مثل حرف (السين ، والصاد ، والزاي) لأن ثناياه العليا لا تقع على ثناياه السفلى حتى ولو ضم فاه ، لذلك نجد أن الأصوات اللغوية الصادرة منه تكون غير سليمة .

(٦) الأشدق :

الشدق كما جاء في اللسان هو جانب الفم . وقال ابن سيده : إن الشدقين طِفْطَفَةُ الفم من باطن الخدين . وشفة شدقاء : واسعة مشق الشدقين .

والأشدق : العريض الشدق الواسعة المائلة .
والشدق بالتحريك : سعة الشدق . (٢)

فالشدق من الأعضاء التي لم يتطرق لها الخليل وسيبويه بالدراسة في أثناء تعرضهما لأعضاء الجهاز الصوتي .

أما بالنسبة للأصمعي وثابت ، فالملاحظ أنهما قد ذكرا الأشدق

وعرفاها . قال الأصمعي :

" وفي الفم الشدق وهو سعة الشدقين يقال للرجل إذا كان كذلك رجل أشدق وامرأة شدقاء . والشدق : مشق الفم مما يلي اللحية وليس بمقدم

(١) والطفظة هي : كل لحم أو جلد .

(٢) هناك تعريفات أخرى وردت في اللسان عن الشدق . انظر مادة

الغم وهو ما بين باطن اللحية إلى الأضراس". (١)
وقال ثابت بن أبي ثابت : " وفي الغم الشدق ، وهو سعة
الشدقين ، يقال رجل أشدق ، وامرأة شدقاء . والشدق - بكسر
الشين - منشق الغم ما يلي اللحية". (٢)

أما بالنسبة للجاحظ فقد لاحظ ملاحظة مهمة وهي أن سعة
الأشداق لها دور بارز في جهازة الصوت وفصاحته . فهو لم يذكر
الأشداق على أنها عضو من أعضاء الجهاز الصوتي ، وإنما ذكرها على
أساس أنها من المؤثرات في جهازة الصوت وفصاحته . وهذه إضافة
لا بد أن تحسب له . ولقد أورد الجاحظ في كتابه أن الرسول صلى الله
عليه وسلم " قد عاب الفدادين ، والمتزئدين في جهازة الصوت وانتحال
سعة الأشداق". (٤)

فالواضح أن سعة الأشداق كانت من الصفات المستحسنة بحيث
ينتحلها بعض الناس ، بمعنى أنهم يتكفون الاتصاف بها .

كما أورد الجاحظ في كتابه قول الأعرابي : حينما سُئل عن
الجمال فقال : " طول القامة وضخم الهامة ، ورحب الشدق ويُعسد
الصوت". (٥)

-
- (١) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٥ .
 - (٢) انظر كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٦٠ .
 - (٣) انظر ما قيل سابقا ص ٣٥ .
 - (٤) انظر كتاب (البيان والتبيين) ١/١٣٠ .
 - (٥) انظر المرجع نفسه ١/١٢١ .

وواضح أن هذا في جمال الرجال خاصة . والذي يوه كد أن العرب كانوا يعتبرون سعة الأُشداق من الصفات الجمالية للرجال ، هو ما ورد من أن الأصمعي قال لأعرابي : ما الجمال فقال : " غوهور العينين وإشراف الحاجبين ورحب الشدقين " . (١)

كما قال ابن قتيبة إن العرب كانوا يَدَحُّونَ بِرُحْبِ الشَّدَقَيْنِ ومنه قول : هند بن أبي هالة في وصف منطلق الرسول صلى الله عليه وسلم : بأنه كان يفتح الكلام ويذتمه بأشداقه وذلك لرحب شِدْقِهِ . ويقال للرجل إذا كان كذلك أشدق (٢) بَيْنَ الشَّدَقِ .

قال الجاحظ : " ويُدُّك على تفضيلهم سعة الأُشداق ، وهجائهم ضيق الأفواه ، قول الشاعر :

(٣)
لحى الله أفواه الدَّبي من قبيلةٍ إذا ذكرت في النائبات أمورها

وقال آخر :

(٤)
وأفواه الدَّبي حاموا قليلا وليس أخوالحمية كالضجور

وقد ذكر الجاحظ أنهم قد شبهوا أفواههم بأفواه الدَّبي لفسر أفواههم وضيقها . وقد ذكر ابن قتيبة أن الضبي قال : أنشدناه أبو

سعيد وفسره قوله :

(٥)
أكان كرى وإقداي لفي جرر بين العواسج أحنى حوله المصع

-
- (١) لقد ورد هذا القول في كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ (١ / ١٢١) .
(٢) انظر كتاب غريب الحديث لابن قتيبة ١ / ٩٣ ٠٤ تحقيق د . عبد الله الجبوري ط / ١
(٣) انظر البيان والتبيين ١ / ١٢٢ .
(٤) نفس المرجع والصفحة . والدَّبي هو : الجراد قبل أن يطير ، وقيل : قبل أن تنبت أجنحته .
(٥) انظر كتاب غريب الحديث لابن قتيبة ١ / ٩٢ ٠٤ والعواسج : شجر من شجر الشوك ، وله شعر أحمر مدور (انظر اللسان مادة عسج ص ٣٢٤) . والمصع : حمل العوسج وشعره ، وهو أحمر يوه كل . انظر اللسان مادة مصع ص ٣٣٩ .

قال : هذا رجل لقبه بفي جُرز لضيق فيه .

والذى لا شك فيه ، أن لسلامة الأُشداق أثرا في سلامة اللفظ

ووضوحه وبيانه .

ومن العيوب التي ذكرها الجاحظ في الأُشداق : مَيْل

الشدقين ، وفي (خلق الإنسان) للأصمعي و (البيان والتبيين)

للجاحظ وفي (لسان العرب) ما يفهم منه أن ذلك المَيْل يسمى

ضَجْمًا . وَالضَّجْمُ كما جاء في اللسان هو : " العوج . وقيل أن الضجم :

عوج في الفم ومَيْل في الشدق ، وقد يكون عوجا في الشفة والذقن والعنق

إلى أحد شقيه . والمتضام : المعوج الفم " . (١)

قال الأصمعي : " الضجم وهو مَيْل في الفم فيما يليه من الوجه

يقال : رجلٌ أَضْجُمٌ ، وامرأةٌ ضَجْمَةٌ " . (٢)

ولقد ذكر الجاحظ في البيان والتبيين إلى أن الأُحنف بن قيس

(٣)

كان أُشداق مائل الذقن ، ومع ذلك كان أُخطب العرب .

ومن هنا نلاحظ أن ميل الأُشداق قد يمكن التغلب عليه وذلك كما حصل مع الأُحنف بن قيس .

(٧) الشفاه :

أسلفنا أن الخليل وسيبويه قد ذكرا الشفاه في معرض حديثهما

عن الأصوات اللغوية ، حيث ذكرا أن هناك أصواتا لغوية تخرج من

الشفتين . (٤)

(١) انظر لسان العرب مادة (ضجم) ١٢ / ٣٥٢ . وهناك تعريفات

أخرى وردت في اللسان .

(٢) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٥ .

(٣) البيان والتبيين ١ / ٥٩ ، ٦٠٠ .

(٤) انظر ما سبق ص ٢٧ .

أما الجاحظ فقد تعرض للشفاه من ناحية غير الناحية التي تعرض لها الخليل وسيبويه ، فهو قد ذكر أن هَدَل الشفاه من الموء ثرات في جهارة الصوت وفصاحته حيث قال : " وعاب (ويقصد الرسول صلى الله عليه وسلم) الغدادين والمتزيدين في جهارة الصوت وانتحال سمعة الأَشْدَاق ورحب الفلاصم وهَدَل الشفاه " (١) فَهَدَل الشفاه من الموء ثرات في جهارة الصوت وفصاحته ، ولا شك أن لسلامة الشفاه أثرا في سلامة نطق بعض الأصوات .

والمعروف أن هناك أصواتا لغوية تعتمد في خروجها على الشفتين (كالبا ، والميم ، والفاء ، والواو) . فإذا كانت الشفتان سليمتين من العطب فإن الأصوات اللغوية تسلم من فساد النطق بها .
ومن الآفات التي تصيب الشفاه وقد ذكرها الجاحظ : الفَلَح والعَلَم .

والفَلَح كما جاء في اللسان هو : شق في الشفة السفلى ، واسم ذلك الشق الفلحة . وقيل : هو تشقق في الشفة ، وضخم واسترخاء كما يصيب شفاه الزنج .
وفي الحديث ، قال رجل لسهيل بن عمرو : لولا شيء يسوء رسول الله صلى الله عليه وسلم لضربت فَلَحتك . أي موضع الفلح وهو (٢)
الشق في الشفة السفلى . ونحن نعرف أن الشفة السفلى لها دور رئيسي في نطق بعض الأصوات اللغوية (كالبا ، والميم ، والفاء ، والواو) ، فهي التي تقوم بحبس النفس بالتقاءها مع الشفة العليا عند النطق بحرف (الباء) ، وهي التي تقوم بالدور الرئيسي في انطباق الشفتين

(١) انظر البيان والتبيين ١/١٣٠

(٢) انظر اللسان مادة (فلح) ٢/٥٤٨

في الأَصوات التي تتطلب ذلك (كالميم) . وهي التي تقوم بالدور الرئيسي في نطق الفاء حيث يلتقي باطنها بأطراف الثنايا العليا ، وفي نطق الواو حيث تستدير فتكمل مع استدارة الشفة العليا استدارة الشفتين .
وإنما قلنا بأنها التي تقوم بالدور الرئيسي لأنها هي طبق الفك الأسفل من الفم ، والفك الأسفل هو الذي يتحرك وله امكانية الحركة ليلتقي مع الفك الأعلى أو يقترب منه ، من أجل إخراج الأَصوات بينهما . والفك الأعلى ثابت وحركة الشفة فيه موضعيه تتمثل في الانقباض والانبساط .

أما بالنسبة للعلم فقد جاء في اللسان " أن العلم والعلمة والعلمة : الشق في الشفة العليا ، وقيل في أحد جانبيها ، وقيل : هو أن تنشق فبتين .

ويقال للبعير أعلم لعلم في مشفره الأعلى (١) .

وقد أشار الجاحظ للعلمة مرتين (٢) .

فإشارة الجاحظ هذه عن العلم دلت على علمه بأثر هذه الآفة في سلامة نطق الأَصوات اللغوية .

والشفة العليا ليس لها دور في حبس النفس إلا التقاؤه ها مع الشفة السفلى في ذلك .

وعلى هذا فالأَصوات التي تتأثر بالعلمه هي الأَصوات التي لا تتم إلا بالتقاء الشفتين وهي الباء والميم ، وأستدارتها وهي الواو وما إليها ، على أساس أن شق الشفة العليا يورث في احكام استدارة الشفتين والتقاءهما .

(١) انظر اللسان مادة (علم) ١٢ / ٤١٩ .

(٢) انظر البيان والتبيين ١ / ٥٨ ، ٣١٧ ، على التوالي .

ثانياً : ما أضافه الجاحظ في مجال الكلام عن أعضاء الجهاز الصوتي

أ : بيان أثر حالة أعضاء الجهاز الصوتي في الأداء اللغوي وتحقيق وظيفة اللغة .

لقد سبق لنا الحديث عما ذكره الجاحظ عن أعضاء الجهاز الصوتي ، فعرفنا أن تناوله للأعضاء لم يكن كتناول الأئمة السابقين عليه ، حيث نجده قد تطرق لموضوع أعضاء الجهاز الصوتي من ناحية أخرى ، فقد بحث في أثر حالة الأعضاء ودقتها في تحقيق وظائف اللغة ، فكانت دراسته للأعضاء من حيث أثر سلامتها وتامها وحجمها وقوتها في أدائها لوظيفة اللغة ، وأثر عطبها ونقصها في نقص الحروف وتكميل البيان . فهو قد لاحظ وظائف أعضاء الجهاز الصوتي في استعمال اللغة ، فلذلك كان تناوله مختلفاً عن سابقيه ، ولعله قد اكتفى بما ذكره من الوصف العضوي لأعضاء الجهاز الصوتي في معرض حديثهم عن الأعضاء في كتب (خلق الإنسان) ، الأمر الذي جعله يكمل ما بدأه من دراسات عن أعضاء الجهاز الصوتي من ناحية التوظيف . فنجده قد أخذ يلاحق صور استعمال اللغة في وظائفها في الحياة العامة من أحاديث وخطب وشعر وروايات ، وما إلى ذلك ملاحظاً في نفس الوقت أثر حالة أعضاء النطق واحداً واحداً : الحنجرة ، والحلق ، والفم ، واللسان ، والاسنان ، والشفتين من حيث سلامتها وكما حالها ، وأثر ذلك في أداء اللغة . ومن هنا كانت إضافته للدراسات الصوتية في هذا الجانب وهي إدخال هذا البعد الجديد من أبعاد الدراسة الصوتية - وهو الأثر الوظيفي لحالة أعضاء جهاز النطق الإنساني - ضمن مجال هذه الدراسات . وقد سبق تفصيل كلامه عن هذا الأثر .

ب : بيان مرونة أعضاء الجهاز الصوتي متمثلة في القدرة على المحاكاة :

لقد ذكر الجاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد منح الإنسان المنطق والقدرة على التعبير . كما منح البعض الاستطاعة والتمكين في تقليد الأصوات ومحاكاتها . (١)

وقد ذكر أن هناك أناسا يستطيعون أن يحاكيوا الناس في كلامهم وحركاتهم ويفعلوا مثلهم في الحديث دون أن يتركوا شيئا بدون تقليد .

ولقد تجلى هذا الأمر في قوله : " إنا نجد الحاكية من الناس يحكى ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يفاد من ذلك شيئا . وكذلك تكون حكايته للخراساني والأهوازي والزنجي والسندی والأحباشي وغير ذلك . نعم حتى تجده كأنه أطبع منهم ، فإذا ما حكى كلام الأفاء فكأنما قد جمعت كل طرفة في كل فافاء في الأرض في لسان واحد . وتجده يحكى الأعمى بصور ينشئها لوجهه وعينيه وأعضائه ، لا تكرر تجده من ألف أعمى واحد يجمع ذلك كله ، فكأنه جمع جميع طرف حركات العميان في أعمى واحد " . (٢)

فقدرة بعض الناس ومرونة أعضائهم من حيث أداء أى صوت وتقليده هي التي جعلتهم يصورون أو يقلدون الأفائين أو العميان .

فالحاكي يصور ويقلد كل الأفائين ويصورها في مرة واحدة .

ومن الناس الذين منحهم الله هذه القدرة والاستطاعة (أبو دُبُويَّة

الزنجي) مولى آل زياد ، حيث ذكر الجاحظ أنه كان ينهق ، فلا يبقى

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ٧٠ .

(٢) نفس المرجع ١ / ٦٩ .

حمار مريض ولا هرم حسير ولا متعب بهير، إلا نهق .

وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تتبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبودبويه يحركه ، وقد كان جمَعَ جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد . وكذلك كان في نباح الكلاب" . (١)

كذلك ذكر الجاحظ : " زعمت الأوائل أن الإنسان إنما قيل له العالم الصغير سليل العالم الكبير ، لأنه يصور بيديه كل صورة ويحكى بفسه كل حكاية . " (٢) وهذه القدرة والموهبة لا تكون في كل الناس ، وإنما في بعضهم من منحهم الله الاستطاعة والتمكن .

فمن هنا نلاحظ أن هذه إضافة جديدة تحسب للجاحظ خاصة بالجانب العضوي بالنسبة للجهاز الصوتي .

(١) انظر البيان والتبيين ١/٢٠٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

ج : بيان أثر التدريب في تحسين أداء أعضاء الجهاز الصوتي :

هناك إضافة ثالثة للجاحظ في هذا المجال وهي تنويهاً
بأثر التدريب في طلاقة اللسان وإمكانات أعضاء النطق .
فالتدريب أمر لا بد منه بالنسبة لمن يريد أن يعود لسانه على
الطلاقة ويمكن أعضاءه من النطق السليم الواضح .

ولقد تنبه الجاحظ إلى أن التدريب أمر ضروري . فذكر
أن طول التدريب واستعمال التكلف يذلل الجوارح ويعودها على أن
تنطق بصورة سليمة . فالإنسان إذا حاول وجهده نفسه واشتد طلبه
لذلك الأمر ، فلا بد من أن تطاوعه جوارحه فيما يريد ، لأن الاستمرار
على أمر معين لا بد من أن تكون له نتيجة مرضية . (١)

كما ذكر الجاحظ أن الإنسان الذي يترك «شماثله» على حالها
ولسانه على سجيته ، كان مقصورياً بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل
فيه . (٢) أي أنه إذا ترك التدريب فإن أصواته اللغوية وطريقة
نطقه ستظل على ما كانت عليه حين نشأ في بيئته ، لا تتحسن .

ولقد أشار الجاحظ إلى أن هذه القضية «مقصورة» على مخارج
الألفاظ ، وصور الحركات والسكون . أما حروف الكلام فإن حكمها خلاف
هذا الحكم . (٣)

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ٧٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

كما ذكر بأن العرب قد لاحظوا أثر التدريب في الإنسان وأهميته ،
وتنبهوا إليه ، لذلك كانوا يروون صبيانهم الأرجاز ، ويعلمونهم المناقلات ،
ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب ، لأن ذلك يفتق اللهاة ويفتح
الجرم . (١)

كما ذكر أيضا أن اللسان إذا أكثر تقلبه رِقَّ ولان ، وإذا
أقلت تقلبه وأطلت إسكانه جَسَّ وغلظ . (٢)

فلا شك أن طول إسكان اللسان وعدم تحريكه يسبب صعوبة
في تدريسه وتطويعه ، فلا يقتصر الضرر على صعوبة التدريب فقط ،
وإنما قد يسبب ثقلا في الكلام وعدم إبانة ، وذلك كما حصل (ليزيد بن
جابر) قاضي الأزارقة الذي كان يقال له الصموت ، لأنه لما طال
صمته ثقل عليه الكلام فكان لسانه يلتوى ولا يكاد يُبين . (٣)

قال الجاهظ : " واخبرني محمد بن الجهم أن مثل ذلك اعترأه
أيام محاربة الزط ، من طول التفكر ولزوم الصمت . (٤)

(١) انظر البيان والتبيين ١/٢٧٢ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المرجع ١/٣٨ .

(٤) نفس المرجع ١/٣٨ .

الباب الثاني

الكلام عن الأصوات اللغوية قبل الجاخط وعنده

ويشتمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : الكلام عن الأصوات اللغوية قبل الجاخط .

الفصل الثاني : الكلام عن الأصوات اللغوية عند الجاخط .

الفصل الثالث : إضافات الجاخط في مجال دراسة الأصوات اللغوية .

الفصل الأول : الكلام عن الأصوات اللغوية قبل الجاهلية .

الفصل الأول

الكلام عن الأصوات اللغوية قبل الجاحظ

دراسة الأصوات اللغوية مفردة :

بعد الحديث عن الجانب العضوي الخاص بأعضاء الجهاز الصوتي ،
سوف أتحدث الآن عن الجانب الآخر ، وهو جانب دراسة الأصوات
اللغوية مفردة من حيث مخارجها وصفاتها ، ومنتظمة من حيث ما يطرأ
عليها بعد التركيب من تغيرات . ومن المهم أن نعرض ما كانت عليه
دراسة الأصوات اللغوية قبل الجاحظ ممثلة في ما كتبه الخليل وسيبويه
- إذ ليس لغيرهما ^(١) إضافات جوهرية في هذا الجانب - حتى نستطيع
أن نتبين ما أضافه الجاحظ في هذا المجال .

(١) إضافات الذين جاءوا بعد الخليل وسيبويه من علماء اللغة في

مجال الأصوات محدودة جدا ، وبخاصة في مجال الدراسة

الإفرادية للأصوات - بحيث يمكن إجمالها في سطور .

أ - فمثلا سنرى أن الخليل وسيبويه قد عدوا المخارج ستة عشر
مخرجا ، بينما رأى الفراء (٢٠٧) هـ ، وقطرب (٢٠٦) هـ ، والجربس
(٢٢٥) هـ ، أن المخارج أربعة عشر* ومحل الخلاف هو مخرج
اللام والنون والراء . فمذهب هو لاء أنه مخرج واحد ، ومذهب
الجمهور أنها ثلاثة مخارج - وهو الصحيح لتباينها
عند الاعتبار* (ارتشاف الضرب لأبي حيان . تحقيق د. مصطفى
النحاس ١/٥٠٤) .

ب- في كتاب الحدود للفراء حدُّ للهجاء ، وللهمز (انظر أبوزكريا الفراء

د . أحمد مكي الأنصاري ١٧٧) وهما من موضوعات الدراسة

الإفرادية للأصوات .

.....

===
ج - لقطرب كتاب في " الهمز " وفي " معاني القرآن " (ينظرالفهرست ٧٨ ، وبغية الوعاة ٢٤٢/١ ، ووفيات الأعيان ٣١٢/٤) . وكتب " الهمز " و " معاني القرآن " المتاحة فيها منشورات من الدراسة الصوتية الافرادية بالإضافة إلى ما فيها من دراسة الأَصوات المنتظمة في كلمات ، وستأتي الإشارة إليها .

د - أبو الحسن الأَخفش (الأوسط ٢١٥) هـ خالف سيبويه في ترتيب مخارج الهمزة والهاء والألف ، حيث جعلهن سيبويه في مرتبة واحدة ، بينما رأى الأَخفش أن الهمزة أول ، والهاء والألف على رتبة واحدة (أي بعد الهمزة) (انظر ارتشاف الضرب ٥/١) . كما أن كتاب الأَخفش " معاني القرآن " زاخر بالملاحظات والمقررات الصوتية الافرادية ، مثلا كلامه عن أكثر من عشرين صوتا من الأَبجدية (انظر معاني القرآن للأَخفش - تحقيق فائز فارس ٦٠٥/٢ فهرس الأَصوات) وعن حروف الحلق (٥/١) ، وحروف الثنايا (١٠٧/١) ، وعن تقارب المخارج (١٠٦/١ ، ١٥٣ ، ٣٤٣) وهناك المزيد من الملاحظ والمقررات (ينظر فهرس الأَصوات في معاني القرآن للأَخفش) ولكن نسبة الجديد فيها محدودة .

أولا : منهج الوصول إلى الحقائق الصوتية :

أول ما ينبغي تسجيله من الجهود الصوتية التي سبقت الجاحظ هو المنهج الذي وضعه الخليل وجعله سبيلا إلى الوصول إلى الحقائق والمعلومات عن أصوات اللفظة ، وذلك المنهج هو تذوق الحرف (الصوت) أى تجربة نطقه ، ثم استخلاص الحقائق والمعلومات عن الصوت من ذلك الذوق . وقد حكى الليث تلميذ الخليل عن استاذة ذلك المنهج فقال :
" وإنما كان ذواقه إياها (يعني الحروف : الأَصوات) أنه كان يفتح فاه بالألف ، ثم يُظهر الحرف (المراد ذوقه) نحو : أَب ، أَت ، أَغ ، أَغ . . . فوجد العين أدخل الحروف في الحلق ، فجعلها أول الكتاب [يعني معجم العين] ، ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى أتى على آخرها وهو الميم " .^(٢)

وقد كتب لهذا المنهج البقاء حيث أقره علماء اللفظة^(٣) ، إلى أن

جاء العصر الحديث بالمناهج الحديثة .

ثانيا : مخارج الأصوات اللغوية :

حدد الخليل وسيبويه مخارج الأصوات اللغوية مبتدئين

بالحلق فذكرا :

(١) - الأصوات الحلقية : الهمزة والهاء والألف والعين والحاء والفين والحاء^(٤) ، حيث قسما الأصوات الحلقية إلى

(١) انظر التعليق في ذلك ص ٢١ من رسالتنا هذه .

(٢) كتاب (العين) تحقيق د . عبدالله درويش ٥٢/١ .

(٣) ينظر مثلا سر صناعة الاعراب لابن جني ٥١، ٥٠/١ في المتن

والهامش .

(٤) انظر العين ت: د . درويش ٦٤/١ ، والكتاب لسيبويه ٤٣٣/٤ .

ثلاثة أقسام :

- أ - ما هو من أقصى الحلق وهو الهمزة والهاء والألف .
ب- وما هو من وسطه وهو العين والحاء .
ج- وما هو من أعلاه الذي هو أدناه إلى الفم وهو الفين
والخاء .

وقد صرح سيبويه بذلك التقسيم في كتابه ، أما الخليل فلم
يصرح بذلك .

(٢) - صوت القاف والكاف : وقد اتفقا على أن مخرجهما واحد ، فالخليل
قال عنهما لهويتان ، وأن الكاف أرفع من القاف . (١)

أما سيبويه فقال عن القاف : " إنها من أقصى اللسان
وما فوقه من الحنك الأعلى أما الكاف فمن أسفل من موضع القاف
من اللسان قليلا وما يليه من الحنك الأعلى " . (٢) والخلاف
بينهما في العبارة لفظي لأن أقصى الحنك الذي يشترك مع
أقصى اللسان في إخراج القاف هو اللهاة أو مبدأ اللهاة قبيل
الجزء الرخومنها .

(١) انظر العين تاجد . درويش ٦٤ / ١ ، ويقصد بقوله : أن الكاف
أرفع من القاف أنها داخلة في اللسان إلى الأمام بعد القاف .
أي أن اللسان فيها يقابل الحنك في نقطة أرفع أو أعلى
من نقطة تقابلها في نطق القاف .

(٢) انظر الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

- (٣) - صوت (الجيم والشين والياء) : فقد ذكرا أنها تخرج من بين وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى ، وعبر الخليل عن ذلك بشجر الغم^(١) . وقال عن (الياء) إنها هوائية .
- (٤) - أما عن مخرج (الضاد) فقد اجتزأ الخليل بالقول بأنها شجرية ، أما سيبويه فقد كانت عبارته : " ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد^(٢) . والواقع أن كلا منهما نظرياً إلى جانب خاص في مخرج الضاد ، فالخليل نظرياً إلى ارتفاع اللسان معها إلى الحنك ثم مفارقتها ذلك الموضع عند النطق بها . أما سيبويه فنظرياً إلى جريان النفس في جانب اللسان من أوله حتى يخرج من الشفتين ، ولسيبويه بعد ذلك كلام مطول في نطق ما سماه بالضاد الضعيفة^(٣) .

(١) انظر العين ت: د . درويش ٦٤/١ ، والكتاب ٤/٤٣٣ .

(٢) الكتاب ٤/٤٣٣ .

(٣) انظر الكتاب ٤/٤٣٣ ، قال سيبويه عن الضاد الضعيفة : " أنها تتكلف من الجانب الأيمن ، فان شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف ، لأنها من حافة اللسان مطبقة ، لأنك جمعت في الضاد تكلف الإطباق مع إزالته عن موضعه . وإنما جاز هذا فيها لأنك تحولها من اليسار إلى الموضع الذي في اليمين . وهي أخف لأنها من حافة اللسان ، وأنها تخالط مخرج غيرها بعد خروجها ، فتستطيل حين تخالط حروف اللسان ، فسهل تحويلها إلى الأيسر لأنها تصير في حافة اللسان في الأيسر إلى مثل ما كانت في الأيمن ، ثم تنسل من الأيسر حتى تتصل بحروف اللسان ، كما كانت كذلك في الأيمن ."

(٥) - أما بالنسبة لمجموعة (اللام والراء والنون) ، فقد قال عنهم

(١) الخليل إنهم ذلقيات يخرجن من ذلق اللسان وهو تحديد طرفه .

أما سيبويه فلم يذكر مخرج اللام ، ولعله سقط من

بعض النسخ التي اعتمدها النسخ المطبوعة ، وقال عن الراء

والنون انهن يخرجن من " حافة اللسان من أدناها إلى منتهى

طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق

الثنايا مخرج النون . ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر

(٢)

اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء ."

أي أن هذه الأصوات الثلاثة تخرج بوضع طرف اللسان

على أعلى لثة الثنايا العليا ، إلا أنه مع اللام يخرج النفس من

جانبي اللسان ، ومع الراء يخرج من فوق ظهر اللسان عندما

يفارق طرفه موضعه . ومع النون يخرج النفس من الأنف .

وكلام سيبويه في الراء والنون وصف دقيق وقد ذكر

(٣)

في موضع آخر أن النون / يعتمد لها في الخياشيم .
الخفيفة

(٦) - مجموعة (الطاء ، والذال ، والتاء) ، فقد عبر سيبويه عن

مخرجهن بأنه ما بين طرف اللسان وأصول الثنايا . (٤)

(١) انظر العين تود . درويش ١ / ٦٥ .

(٢) الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٣٣ .

(٣) انظر نفس المرجع ٤ / ٤٣٤ ، حيث قال سيبويه : " ومن

الخياشيم مخرج النون الخفيفة " . والصواب الخفية فهذا تصحيف .

(٤) نفس المرجع ٤ / ٤٣٣ .

وعبارة الخليل أنها نطعية . " وَالنَّطَعُ مِثْلُ فِخْذٍ وَفِخْذٌ : ما ظهر
من الفغار الأعلى ، وهي الجلدة الملتصقة بعظم الخُلَيْقَاءِ ، وفيها آثار كالتحزيز ،
ويجمع على نطوع . ومنهم من يقول للأسفل والأعلى : نَطْعَانُ . " (١)
ونتبين من هذا أن الخليل جعل نقطة التقاء اللسان
بالحنك في نطق هذه الأصوات أدخل في الحنك ما حددته
سيبويه ، لأن النطع أعلى في الحنك من أصول الثنايا التي
ذكرها سيبويه .

(٧) - مجموعة (الزاي ، والسين ، والصاد) ، فقد حدد سيبويه
مخرجهن من بين طرف اللسان وفوق الثنايا (٢) . أما الخليل
فقد عبر عن هذه الأصوات بأنها أسلية لأن مبدأها من أسلية
اللسان وهو مستدق طرف اللسان . (٣)

والذي ذكره الخليل هو الجزء من المخرج الخاص
باللسان وهو الذي عبر عنه سيبويه بطرف اللسان . ولعل
سيبويه يقصد بـ (فوق الثنايا) (٤) مرور النفس مع هذه
المجموعة من فوق أطراف الثنايا السفلى حيث يمر بعد ذلك
إلى الخارج .

-
- (١) انظر العين ١٦ / ٢ ت : المخزومي والسامرائي .
(٢) انظر الكتاب ٤ / ٤٣٣ .
(٣) العين نؤود . درويش ١ / ٦٥ .
(٤) انظر الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

(٨) - مجموعة (الظاء ، والذال ، والثاء) ، فقد عبر سيبويه عن مخرجهن بقوله : " وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء ، والذال ، والثاء " . (١)

أما الخليل فقد وصفهن بقوله : " والظاء والذال والثاء لثوية ، لأن مبدأها من اللثة " (٢) . ولا شك أن هذه الأصوات تخرج بعيدة عن اللثة . ولعل الخليل يقصد بوصفه لها بأنها لثوية ، أن النفس معها يمر باللثة العليا قبل أن ينفذ من جوانب اللسان بين الثنايا العليا والسفلى .

(٩) - أما مخرج (الفاء) فقد عبر عنها سيبويه بأنها تخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا . (٣)

أما الخليل فوصف (الفاء) بأنها شفوية واضعاً إياها مع (الباء والميم) (٤) وهو في وصفه إياها بأنها شفوية نظراً إلى اشتراك الشفة السفلى في إخراجها على ما قال سيبويه بعد ، ولم ينظر إلى اشتراك الثنايا العليا في إخراجها ، ولا شك أن عبارة سيبويه أدق .

(١٠) - مجموعة (الباء ، والميم ، والواو) وقد قال عنهن سيبويه :
إِنَّهِنَّ يَخْرُجْنَ مِنْ بَيْنِ الشَّفَتَيْنِ . (٥)

-
- (١) انظر الكتاب ٤ / ٤٣٣ .
(٢) انظر العين ، نشء درويش ١ / ٦٥ .
(٣) انظر الكتاب ٤ / ٤٣٣ .
(٤) انظر العين ، نشء درويش ١ / ٦٥ .
(٥) انظر الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

وقال الخليل عن (الميم والباء) أنهما شفويتان ، والمقصود
طبعاً أن الميم والباء تخرجان بالتقاء الشفتين إلا أن الميم يخرج
النفس معها من الأنف ، فتكتسب غنتها بذلك . و (الباء) محتبس
معها النفس .

أما بالنسبة (للواو) فلا شك أنها تخرج باستدارة الشفتين
كما قال سيبويه ، إلا أن للسان في إخراجها دوراً وهو استعلاء أقص
اللسان عند نطقها .

أما الخليل فقد قال عن الواو ضمن أصوات العلة بأنها هوائية ،
بمعنى أنه لم ينظر إلى دور الشفتين أو اللسان في إخراجها . ولم يفصل
الخليل ولا سيبويه في الحديث عن مخارج أصوات المد وصفاتها وهي
(الواو ، والياء) بين استعمالها صامتة ، واستعمالها حركات
طويلة .

ثالثاً : الكلام عن الصفات :

نظراً لأن مصطلحات الصفات التي ذكرها سيبويه - وأخذ بها
جميع من جاء بعده إلى عصرنا الحاضر - لم يرد معظمها في كلام
استاذة الخليل ، فسندف أولاً على الصفات التي ذكرها الخليل مبينين
بإيجاز ما كان يعنيه بكل منها :

(١) - الطلاقة :

ذكر الخليل هذه الصفة في أثناء حديثه عن صوت (العين والقاف)
حيث قال : " ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلا حسنتاه ، لأنهما

أطلق الحروف وأضخمها جرساً". (١)

ولم يذكر الخليل من تفسير لهذه الطلاقة إلا ما يفهم من عبارة
وأضخمها جرساً ، فهو عطف للتوضيح .

ويؤخذ من دلالة تركيب (ط ل ق) على خلوص الشيء من
الشيء ، أي انفصاله منه وانقطاع ارتباطه به ، أي أن المراد بوصف العين
والقاف بالطلاق هو تمييز صوتيهما عن غيرهما أي وضوحه وعدم التباسه
أو اختلاطه بغيره ، وذلك لضخامة جرس كل منهما ، وهو ما عبر عنه الخليل
بضخامة الجرس ، وهو الصوت .

(٢) النصاعة :

لقد ذكر الخليل هذه الصفة في أثناء حديثه عن صوت (العين
والقاف) أيضا ، حيث قال : " فإذا اجتمعا إحداهما في بناء حسن البناء
لنصاعتهما . " (٢)

فإذا احتكنا إلى دلالة تركيب (نَصَع) وجدناه يدل على
شدة البياض والوضوح . " فالنصاع : الشديد البياض الحسن اللون"
ونستطيع أن نأخذ من هذا أن الخليل يقصد بنصوع العين علوصوتها
ووضوحه ، وأعنى به حدّة درجته وارتفاعه . فهي في باب الأصوات
تشبه الأشياء اللامعة الشديدة النصوع في باب المرئيات . وهذا القول
يؤيد ما سبق أن وصفت به من الطلاقة وتميز الصوت .

(١) انظر العين ت: د . درويش ١/٦٠ .

(٢) انظر نفس المرجع والصفحة .

وهناك أقوال عديدة ذكرها بعض العلماء تشير إلى اتصاف العين
بالنصوع من ذلك قول الأزهري : " بأن العين أنصع الحروف
جرساً " . وقول ابن جنّي " بأن العين أنصع الحروف وألذها سمعا " .

(٣) - البُحَة :

ذكر الخليل صفة البَحِّح في أثناء حديثه عن صوت (الحاء)
حيث قال : " فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ولولا بُحَة في الحاء
لا شُبِهُت العين لقرب مخرجها من العين " (١)

وقال : " عود أبج إذا كان في صوته غلظ " (٢)

فالخليل يقصد بالبحَة ذلك الصَّحَل الذي في صوت الحاء ،
فكأنه صوت احتكاك غير ناصع أي غير حادّ وهو ناشئ عن احتكاك نفس
الحاء بجدران الحلق ، وهذا الاحتكاك بجدران الحلق مع فقدان زمير
الجهر يجعل (الحاء) صوتا غير واضح ولا ناصع .

(٤) - اللين والهشاشة :

ذكر الخليل هاتين الصفتين في أثناء حديثه عن صوت (الهاء)
حيث قال : " وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب للينها وهشاشتها
وإنما هي نفس لا اجتياص فيها " (٣)

ويقصد بقوله (في هذا الضرب) هو الرباعي الحكائي الخالي
من الحروف الذلق . (٤)

(١) العين ٦٤ / ١ ، تحقيق ت : د / عبدالله درويش .

(٢) انظر العين ٣٢ / ٣ . ت : المخزومي والسمرائي .

(٣) العين ٦١ / ١ ، تحقيق ت : د / عبدالله درويش .

(٤) انظر نفس المرجع ٦٠ / ١ ، ٦١ .

أما عبارته الأخرى وهي قوله : " إنما هي نفس لا اعتياص فيها " فتفسر ما أراد باللين والهشاشة . وذلك أن الهاء تخرج بانفتاح المزمار انفتاحاً واسعاً فيخرج النفس سهواً ومهموساً ، ولا يكون أمامه في مجرى النفس والصوت أية عوائق أو مضائق ، بل لا يكاد يحتك بشيء حتى يخرج من الفم ، فخروجها أشبه بخروج النفس .

(٥) - الهبة أو الهته :

لقد تعرض الخليل لهذه الصفة في أثناء حديثه عن صوت (الهاء) أيضاً حيث قال : " فأقصى الحروف كلها العين . . . ثم الهاء ولو لا هتة في الهاء . وقال مرة (هبة) لا شبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء " . (١) وفسر الخليل الهتة بقوله (الهتة شبه العصر للصوت . . .) ويقال الهمز صوت مهتوت في أقصى الحلق فإذا رفه عن الهمز صار نفساً " . (٢) فهذه الهبة التي ذكرها الخليل يقصد بها ما يحسه الإنسان عند نطق الهاء من فراغ وسلاسة بسبب عدم احتكاك هوائها بشيء من جدران الجهاز الصوتي عند خروجها ، وهذا ما وصفه من قبل باللين والهشاشة .

(٦) - الهوائية :

لقد تعرض الخليل لهذه الصفة في أثناء حديثه عن أصوات العلة الثلاثة إلى جانب الهمزة ، وقد فسر أكثر من مرة ما يقصده بوصف هذه الأصوات بالهوائية . فقد قال مرة : " فأما الهمزة فسميت حرفاً هوائياً لأنها تخرج من الجوف ، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا من مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، إنما هي هاوية فـي الهواء فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف .

(١) انظر العين تاد . درويش ٦٤ / ١ .

(٢) انظر العين ت : المخزومي والسا مرائي ٣ / ٩٤٤ .

وكان يقول كثيرا : " الألف اللينة والواو والياء هوائية . أى أنها في الهواء " (١) أ. هـ

فالواضح من الكلام السابق أنه كان يقصد بوصفه لهذه الأصوات بأنها هوائية هو أن كلا من الأصوات الأخرى لها حيز يتم تولده وتتشكل ملامحه فيه بواسطة ما يحدث لأعضاء الجهاز الصوتي في هذا الحيز من تلاقٍ أو تقاربٍ يعصر الصوت ويحدد ملامحه .

أما هذه الأربعة وهي (الهمزة ، والألف ، والياء ، والواو) ، فإنها بعد صدور زميرها أو جهرها من المزمار يجرى صوتها في هواء الجهاز الصوتي ، أى جوفه أو فراغه دون أن يحدث لها عصر يطبعها بعلامتها ، فكان الخليل رحمه الله لم يلحظ دور اللسان والشفيتين في طبع هذه الأصوات بطابعها ، وذلك من حيث ارتفاع اللسان قريبا من أقصاه مع استدارة الشفتين في الواو ، وارتفاع مقدم / ^{اللسان} مع انفراج الشفتين في الياء ، وارتفاعه أدنى ارتفاع مع كون الشفتين في وضع عادي محايد مع الألف .

أما الهمزة فلعله اكتفى بما لاحظه عنها من حيث خروجها من أقصى الحلق مهتوته مضبوطة . (٢)

ولنا أن نلاحظ عزلة الهمزة عن أخواتها في النصوص السابقة لامتيازها عنهن بهذا التحديد والتشكل لصوتها ، وإن شاركتهن في جريان صوتها بعد ذلك في هواء الجهاز الصوتي دون تدخل من أعضاء هذا الجهاز ، فلذلك قيل عنها بأنها هوائية .

(١) العيينة د. عبدالله درويش ٦٤/١ ، وكذا ذكر ذلك عن الهمزة في ٦٥/١

(٢) انظر المرجع نفسه ٥٨/١

(٧) - الصلابة والكزازة :

لقد وصف الخليل (الطاء) بهاتين الصفتين في قوله :
" فإن كان البناء اسما لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف ،
لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها " . (١)
ولم يفسر الكزازة فسي هذا الموضع . وقد جاء في العين " كرز " . قوله : " ان الكزازة :
اليبس والانقباض ، ورجل كرز صلب قليل الخير والمواتة . . . وذهب كرز :
صلب جدا " . (٢)

فالواضح من هنا أن الكزازة قريبة المعنى جدا من الصلابة
ويمكن أن نأخذ من هذا أن المقصود بصلابة الطاء وكزازتها هو ما اتصفت
به من الغلظ الشديد المتمثل في طريقة خروجها وذلك بانطباق مقدم
اللسان على مقدم الحنك الصلب ، وأيضا في اشتغال الطاء وجمعها لكل
صفات القوة من الجهر والشدة والاستعلاء والإطباق والتفخيم والإصمات ،
فلذلك نجدها غليظة ثقيلة لا تلين في نطقها الفصيح ولا تخف .

(٨) - الخفوت :

تعرض الخليل لهذه الصفة في أثناء حديثه عن صوت (التاء)
وذلك في قوله : " لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت
(٣)
عن خفوت التاء " . أ. هـ .

-
- (١) العين ٦٠/١ ، تحقيق د . عبدالله درويش .
(٢) العين ٢٧٢/٥ ، ٢٧٣ ، تحقيق د . المخزومي والسمراي .
(٣) العين ٦٠/١ ، د . درويش .

فالواضح من هذه العبارة أن المقصود بخفوت التاء هو ضعف صوتها وخفاؤه ، إذ جاء في اللسان أن الخُفوتُ ضَعْفُ الصَّوتِ مِنْ شِدَّةِ الجوعِ " والخَفْتُ إِسْرَارُ المَنْطِقِ " (١) وقد وصفت التاء بأنها من الأصوات ضعيفة الأسماع (٢) - أي أن صوتها لا يكاد يسمع . وهذه هي صفة الخفوت .

(٩) - الانحراف :

ذكر الخليل صفة الانحراف في أثناء مقارنته بين طريقة خروج حروف الذلاقة وخاصة (الراء ، واللام ، والنون) وبين سائر الحروف حيث قال عما عدا هذه الثلاثة " ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون " (٣) فالانحراف إذاً هو خروج الصوت مع هواء الراء واللام والنون منحرفاً عن ظهر اللسان إلى جانبه مع اللام وإلى جانبي طرفه خاصة مع الراء ، وإلى الأنف مع النون . والذي يوه يد فهنا هذا المعنى صفة الانحراف ما ذكره سيبويه عن هذه الصفة ، وإن كان قد جعل صفة الانحراف خاصة بصوت (اللام) حيث قال : " ومنها - أي من الحروف - المنحرف ، وهو حرفٌ شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة ، وهو اللام . وإن شئت مددت فيها الصوت . وليس كالرخوة ، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه . وليس يخرج الصوت

-
- (١) انظر لسان العرب مادة (خفت) ٢ / ٣٠ . وانظر العين ٤ / ٢٣٩ .
(٢) انظر أصوات اللغة العربية د . محمد حسن جبل ١٧٠ .
(٣) انظر العين تاد . درويش ١ / ٥٧ - ٥٨ .

من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فُويق ذلك". (١)
ولعل هذا الجزء الأخير وهو قوله "وليس يخرج الصوت من موضع اللام،
ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فُويق ذلك" وهو المراد بالانحراف
حيث ينحرف الصوت تاركاً ظهر اللسان ليخرج مع النفس من ناحيتي
مستدقه. والذي يوه كد هذا القول عبارة ابن جني في وصف انحراف
اللام حيث قال: "وتجاني ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على
الصوت فيخرج الصوت من تينك الناحيتين وما فويقهما". (٢)

١٠- صفة الزلاقة :

نسب الخليل هذه الصفة إلى الراء واللام والنون وإلى الفاء
والباء والميم حيث قال: "اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة،
وهي: ر ل ن، ف ب م، وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن
الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان والشفيتين وهما مدرجتا
هذه الأحرف الستة". (٣)

وقد جاء في العين: "حدُّ كل شيء ذلقه، وتقول كأنه ذلق
سنان. وذلقته وأذلقته: حدّته". (٤)

- (١) انظر الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٥.
(٢) سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق د. حسن هندأوى، دار
القلم دمشق ١/١٣٠.
(٣) انظر العين، تحقيق د. عبدالله درويش ١/٥٧٠.
(٤) انظر العين، تحقيق د. المخزومي، د. السامرائي، (ذلق)

ويؤخذ من هذا أن نطق اللسان يقصد به حدًّا طرفه حيث يرقان ويتحركان بخفة ومرونة عند نطق الراء واللام والنون . فهذه الأصوات نطقية لاشتراك نطق اللسان في إخراجهن ، ولخفتن على اللسان . وقد قرن الخليل بهن الفاء والباء والميم في صفة الذلاقة - مع أن هذه الثلاثة الأخيرة ليس لنطق اللسان فيهن عمل - لخفة نطقهن ، فاشتركن مع أصوات نطق اللسان في الخفة فوصفهن جميعاً بالذلاقة . قال الخليل : " فلما نطق الحروف الستة ، ومثل بهن اللسان ، وسهلت عليه في المنطق . كرت في أبنية الكلام .. " (١)

(١) - الإطباق :

لقد تعرض الخليل لهذه الصفة في أثناء حديثه عن صوت (الميم)
إذ كان يسمى الميم مطبقة لأنها تطبق الفم إذا نطق بها . (٢)

(١٢) - الحروف الصم :

ذكر الخليل هذه الصفة في أثناء حديثه عن دور حروف الذلاقة في إساعة الأبنية الرباعية فما فوقها حيث قال : " فمهما جاء من بناء

-
- (١) انظر العين ، د . درويش ٥٩ / ١ ، وقد ذكرنا أن اللسان لا عمل له في الفاء والباء والميم . والمثل : القلق والضجر . (انظر: لسان العرب مادة (مذ) ١١ / ٦٢١ ، والقلق الحركة وعدم الاستقرار . فالمقصود بالمثل هنا خفة الحركة .
- (٢) انظر العين ح . د . درويش ٦٥ / ١

اسم رباعي منبسط معرّى من الحروف الذلق والشفوية فإنه لا يعرّى
من أحد حرفي الطلاقة أو كليهما ومن السين وال달 أو أحدهما ، ولا يضر
ما خالفه من سائر الحروف الصّتم^(١) .

وأیضا جاء في مقدمة العين قوله : والمضاعف في البيان ما كان
حرفا عجزه مثل حرفي صدره . . . فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع
ما جاء من الصحيح والمعتل ومن الذلق والشفوية والصّتم^{أ.هـ} .
والسياق يقضي في العبارة الأولى خيرة بأن الصّتم هي ما عدا
حروف الطلاقة والشفوية حيث ذكرها مقابلة لها ، وبهذا يفهم ما جاء
في العبارة الأولى أيضا .

ولقد صرح في لسان العرب بقول الجوهري : " الحروف الصّتم
ما عدا الذلق^{٢٠٠} " (٢) وهذا يلتقي تماما مع مقتضى عبارتي الخليل الثانية
والأولى .

وتركيب (صّتم) يدل على العظمة مع الشدة والثقل^٣ الصّتم
بالفتح والتحريك من كل شيء ما عظم واشتد ، ورجل صّتم وجمل صّتم
ضخم شديد . . . عهد صّتم بالتحريك أي غليظ شديد^(٣) .

فهذا كله يرجع إلى الثقل لأن العظم والضخامة يلزمهما الثقل .
وسميت الحروف الصّتم بذلك لثقلها (نسبيا) في مقابل حروف الطلاقة
المعروفة بخفتها .

(١) انظر العين، د. درويش ١/٦٠ .

(٢) انظر لسان العرب مادة (صّتم) ١٢/٣٣٣ . وانظر الصحاح مادة صّتم

٥ / ١٩٦٤ .

(٣) انظر لسان العرب ١٢/٣٣٢ .

صفات الأَصوات اللغوية عند سيبويه :

صفات الأَصوات اللغوية عند سيبويه مشهورة جرى عليها كل من بعده وهي باختصار كما يلي :

(١) - الجهر والهمس : ويقصد بالجهر الزمير الذي يصحب الصوت اللغوي عند نطقه ، وبالهمس عدم اصطحاب الصوت اللغوي ذلك الزمير .

والأَصوات المهموسة هي : الهاء والحاء والحاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والفاء والتاء . وتعريف سيبويه للجهر والهمس كان مثار نقاش ليس هنا موضع تفصيله (١) ، كما أن اعتداده الهمزة مجهورة كان مثار نقاش آخر. (٢)

(٢) - الشدة والرخاوة : ويقصد بالشدة حبس النفس عند نطق الصوت ، وبالرخاوة جريان النفس مع نطق الصوت وهناك صفة ثالثة هي التوسط بين الشدة والرخاوة . والأَصوات الشديدة هي الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والذال والياء .

- (١) قال : " المجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجرى الصوت " .
انظر (الكتاب) ، تحقيق عبد السلام هارون ٤/٤٣٤ ، وقد عرف الهمس في نفس الموضع . وانظر في الكلام عن هذا التصريف : الأَصوات اللغوية ، د . ابراهيم أنيس ط ٦ ص ١١٩ - ١٢٥ .
- (٢) انظر مثلا الأَصوات اللغوية د . ابراهيم أنيس ص ٩٠ .

والأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة هي : العين واللام والنون والميم والراء . (١)

وقد كان تعريفه للشدة والرخاوة محل دراسة أيضا . (٢)

(٣) - الإطباق والانفتاح : ذكر سيبويه الإطباق في أثناء وصفه لنطق الصاد والضاد والطاء والظاء ، ويقصد به ارتفاع ظهر اللسان إلى الحنك حتى يصير الحنك كالطبق له . (٣) والانفتاح ضد الإطباق .

(٤) - اللين : وهو صفة خاصة بالواو والياء " لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما . . . وإن شئت أجريت الصوت ومددت " . (٤)

(٥) - الهوائية : وهي صفة خاصة بالألف لأن هذا الصوت " يتسع مخرجه لهوائه أشد من اتساع مخرج الياء والواو . لأنك تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك " . (٥)

(٦) - الانحراف : ويقصد به سيبويه انحراف اللسان عن طريق الصوت ، أي عدم اعتراضه إياه بحيث يمر الصوت من جانبي اللسان وذلك في نطق اللام . كما ذكر هذه الصفة في نطق الراء . (٦)

-
- (١) انظر الكتاب لسيبويه ٤/٤٣٤-٤٣٥ .
(٢) انظر الأصوات اللغوية ، د . ابراهيم أنيس ص ١٢٥-١٢٧ .
(٣) انظر مرصنة الاعراب ١/٦١ .
(٤) انظر نفس المرجع ٤/٤٣٥ .
(٥) انظر نفس المرجع ٤/٤٣٥-٤٣٦ يتصرف يسير .
(٦) انظر الكتاب (هارون) ٤/٤٣٥ .

- (٧) - التكرار : ويقصد به ارتفاع اللسان حتى يلمس طرف أعلى اللثة أكثر من مرة وذلك في نطق الراء (١).
- (٨) - الخفاء : قال سيبويه عن الألف والواو والياء : " وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها ، وأخفاهن وأوسعهن مخرجها : الألف ، ثم الياء ، ثم الواو " (٢).

(١) عبارته " ومنها المكرر وهو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام فتجافى للصوت كالرخوة ، ولولم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء " الكتاب ٤ / ٤٣٥ .

(٢) نفس المرجع ٤ / ٤٣٦ .

رابعاً : الحروف الفرعية :

ذكر سيبويه مجموعتين من الحروف الفرعية منها ما قال :
" إنه يُستحسن في قراءة القرآن والأشعار ، وهي : (النون الخفيفة ،
(الخفيفة) ، والهمزة التي بين بين ، والألف التي تُمال إمالة شديدة ،
والشين التي كالجيم ، والصاد التي تكون كالزاي ، وألف التغميم -
يعني بلفة أهل الحجاز ، في قولهم : الصَّلَاة ، والزَّكَاة ،
والحياة .

ومنها ما قال انه لا يستحسن ولا يُقرأ به القرآن
ولا الشعر وهي : (الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم
التي كالكاف ، والجيم التي كالشين ، والصاد الضعيفة ، والصاد
التي كالسين ، والطاء التي كالطاء ، والظاء التي كالطاء ،
والباء التي كالفاء) . (١)

(١) انظر الكتاب ٤/٤٣٢ .

خامسا : ما ذكر من اختصاص العربية ببعض الأصوات اللغوية :

لقد لاحظ الخليل أن اللغة العربية تختص بحروف لا توجد في اللغات الأخرى ، والمقصود باللغات الأخرى هي اللغات التي كان يعرفها علماء العربية في ذلك الوقت مثل الرومية والفارسية والسريانية وغيرها .

حيث ذكر الخليل بأن اللغة العربية تختص بحرف (الظاء) وذلك في قوله : " وليس في شيء من الألسن ظاءً غير العربية " . (١)
فهنا تصريح واضح على أن الظاء من الحروف التي لا توجد في أي لغة من اللغات إلا العربية .

وما يوه يد هذا في جانب منه ما ذكره ابن جنى في كتابه (سر صناعة الإعراب) من أن الظاء لا توجد في كلام النبط حيث قال :
(٢)
" وأعلم أن الظاء لا توجد في كلام النبط ، وإذا وقعت فيه قلبوها طاء " .

ومن الملاحظ أن الخليل لم يتكلم إلا عن اختصاص العربية بالظاء ، بالرغم من أن هناك حروفاً أخرى اختصت بها العربية لم يذكرها هو ، وذكرها من جاء بعده من الأئمة . وسيرد هذا الأمر بالتفصيل في باب إضافات الجاحظ .

(١) انظر العين ، د . درويش ، ١ / ٩٥ .
(٢) انظر كتاب (سر صناعة الإعراب) لأبي الفتح عثمان بن جنى

سادسا : الدراسة التركيبية (الفونولوجية) للأصوات قبل الجاحظ :

ويقصد بها دراسة الأصوات اللغوية وهي منتظمة ومركبة فسي
كلمات ، حيث إن القدماء قد عالجوا أبجدية الحروف وهي مفردة ، كما في
المخارج والصفات ، وما تختص به العربية من الأصوات .
كما عالجوها في تركيبها مع بعضها البعض مكونة الكلمات أو
الألفاظ ، وما نتج عنه في تركيبها من سلاسة وجمال أو تنافر وتباعد في
الحروف .

كما أنهم نظروا أيضا إلى ما أحدثه تركيب هذه الحروف في كلمات
من إدغام وإبدال وإعلال وقلب . حيث إنهم قد عالجوها معالجاة
تفصيلية شاملة وذلك نتيجة لاهتمامهم بكتاب الله الكريم ، حيث جمع أكثر
الأئمة بين العلم باللغة ، والعلم بالقراءات كابن أبي اسحاق ^(١) ، وأبي
عمر بن العلاء ^(٢) ، وسيبويه ، والكسائي ^(٣) ، والفراء . . وغيرهم كثير .

- (١) هو عبدالله بن أبي اسحاق مولى آل الحضرمي ، قال عنه ابن
سلام : كان أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل
وله كتاب في الهمز توفي سنة ١١٧ هـ . (انظر ترجمته في بغية
الوعاء ٤٢/٢)
- (٢) أحد القراء السبعة المشهورين ، كان امام أهل البصرة في القراءات
والنحو واللغة ، أخذ عن جماعة من التابعين توفي سنة ١٥٤ ،
وقيل ١٥٩ هـ (انظر الفهرست ٤٢ ، وبغية الوعاء ٢/٢٣١) .
- (٣) هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن عثمان ، إمام الكوفيين
في النحو واللغة ، وأحد القراء السبعة المشهورين ، وهو أستاذ
الفراء . اختلف في تاريخ وفاته ، فمنهم من قال ١٨٢ هـ أو ١٨٣ ،
أو ١٨٩ هـ وقيل : ١٩٢ . انظر الفهرست ٩٧ ، وبغية الوعاء
١٦٢/٢

والذى يتطلبه البحث أن نُجمل أو نشير إلى الأبواب التي لم يثبت أن للجاحظ جهودا فيها . حيث أن هدف التفصيل هو الموازنة لبيان ما أضافه الجاحظ أى أتى به زائدا عما ذكره الأئمة قبله . أما ما للجاحظ فيه جهد ، فواجبنا أن نعرض أهم جوانبه ليتبين ما أضافه الجاحظ وما سبق به .

فالدراسات الصوتية التركيبية

التي تناولها سيبويه ومن قبله ولم يتناولها الجاحظ كثيرة منها الإبدال ، والإعلال ، والقلب ، والإرغام ، والإخفاء ، والإظهار ، والوقف ، والمعاقبة .
(١)

أما بعد سيبويه ، فإن الفراء قد عقد في كتابه الحدود حدا للإرغام ، ولإبتداء ، والقطع (وهي تدخل في الدراسة التركيبية) وللهمز (وبعضه يدخل فيها) .
(٢)

كما أن كتاب معاني القرآن فيه الكثير من المسائل المندرجة تحت الأبواب التركيبية التي ذكرنا أن سيبويه تناولها .
(٣)

(١) ينظر الفهرس التفصيلي لكتاب سيبويه (نشره هارون) جزء ٥ / ص ٢٤٤ ، ٢٥٧ ، ٣٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٢٩١ ، ٣٦٦ على التوالي .

(٢) من كتاب أبو زكريا الفراء ، د . أحمد مكي الانصارى ص ١٨٢ .

(٣) أنظر مثلا ٢٤١/٣ عن المعاقبة ، ٢٢٢/٣ - ٢٢٣ عن قلب الواو همزة في مثل أقتت (= وقتت) ، ١٠٦/٣ (الإبدال) ، ١٢/٢ (استثقال توالي بعض الحركات) ، ١٠٧/٣ (الإرغام) وهكذا .

ولقرب كتاب في معاني القرآن^(١) يتصور أنه يتناول مثل تلك المباحث .

ومعاني القرآن للأخفش مشحون بمعالجة الظواهر الصوتية التركيبية.^(٢)

كما أن هناك معالجات تطبيقية لظواهر الإسكان ، والإتباع والإشمام ، والإمالة ، والتقاء الساكنين ، التثقيب ، التخفيف ، الحركة المركبة ، الروم ، المد.^(٣)

هذا ولم يتناول الجاحظ في كتبه أيًا من تلك الظواهر الصوتية التركيبية في ما وصل إليه علمنا ، ولذا لم نفضل القول فيها .

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٧٨ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان

٠ ٣١٢/٤

(٢) انظر مثلا ١٦/٢ (الإبدال) ، ٢٦/١٠ (الإدغام) ، ٥٢/١٠

(الإعلال) ، ٢٥٢/١٠ ، (الإظهار) ، ١٥٠/١٠ (الإخفاء) .

(٣) انظر فهرس الأصوات من كتاب (معاني القرآن للأخفش) -

تحقيق د. فائز فارس ، ٢/٦٠٤ - ٦٠٦ .

تنافر الحروف :

من الدراسات التي سبق إليها العلماء قبل الجاحظ تنافر الحروف (الأصوات) في تكوين الكلمة .

وقد تناول الخليل هذا الموضوع في أكثر من موضع من كتاب العين . ويمكن إيجاز ما تناوله في ما يلي :

أولاً : بالنسبة للجذور الثلاثية : حيث ذكر الخليل التنافر فيها على عدة مستويات :

- (١) - حروف تتنافر ولا تأتلف في كلمة ما ، كالعين مع الحاء - إلا في تأليف كلمة من كلمتين نحتاً مثل حيعل^(١) . وكذلك العين مع الخاء^(٢) ، والهاء مع الفين^(٣) ، والهاء والحاء^(٤) ، والقاف مع الكاف^(٥) .
- (٦)
- (٢) - حروف لا تجتمع في كلمة إلا بفواصل لازم : كالعين مع الهمزة ، والعين بعد الهاء^(٧) ، والكاف بعد الضاد^(٨) ، والجيم مع

-
- (١) انظر العين ، تحقيق د . درويش ٦٨/١ .
 - (٢) نفس المرجع ١١٠/١ .
 - (٣) نفس المرجع ١٢٨/١ .
 - (٤) نفس المرجع ٥/٣ (تحقيق د . المخزومي ، د . السامرائي) .
 - (٥) نفس المرجع ٦/٥ (تحقيق د . المخزومي ، د . السامرائي) .
 - (٦) نفس المرجع ١٥/٢ (تحقيق د . المخزومي ، د . السامرائي) .
 - (٧) نفس المرجع ١٢١/١ (تحقيق د . درويش) .
 - (٨) نفس المرجع ٦٣/١ (تحقيق د . درويش) .

القاف ، إلا في المعربات (١) ، والسين بعد القاف (٢) ، والشين
بعد اللام (٣) ، والراء بعد النون في صدر كلمة (٤) .

ثانياً : بالنسبة للجذور الرباعية فما فوق ذكر الخليل أنها لا تأتلف في
العربية إلا إذا كان فيها حرف أو أكثر من حروف الذلاقة ،
وذلك باستثناء الحكاية المؤلفة مثل دهدق وزهزق ، والحكاية
المضاعفة (كالضكضاكة من النساء) . (٥)

-
- (١) انظر العين ٦/٥ (تحقيق د. المخزومي ، د. السامرائي) .
(٢) نفس المرجع ١٤٧/١ (تحقيق د. درويش) .
(٣) نفس المرجع ٢٩٩/١ .
(٤) نفس المرجع ٥٩/١ .
(٥) نفس المرجع ٦٢/١ .

الفصل الثاني : الكلام عن الأصوات اللغوية عند الجاهل.

الفصل الثاني

الكلام عن الأصوات اللغوية عند الجاحظ

تتبعنا في الفصل الأول الجهود الصوتية قبل الجاحظ من المنهج إلى الكلام عن المخارج والصفات والحروف الفرعية إلى ما قيل إن العربية تختص / الأصوات اللغوية ، ثم إلى الدراسات الصوتية التركيبية ، وذلك ليتسنى لنا تبين ما أضافه الجاحظ في مجال الدراسات الصوتية بمقابلة ما جاء به الجاحظ بما سبقه إليه من قبله . ولذا فسننتبع أولاً ما جاء به الجاحظ في تلك المجالات الست ، ثم نبرز ما أضافه فيها ، وما أضافه من غيرها .

أولاً - منهج الجاحظ للوصول إلى الحقائق والمعلومات في مجال الأصوات :

الناظر في حياة الجاحظ وفي موه لفاته يستطيع بيسر أن يستشف أن هذا الرجل كان طَّلَعاً دقيق الملاحظة ، وأنه كان يبلغ في الأمرين : حسب الاطلاع ودقة الملاحظة فإيتهما فهو يتناول بالملاحظة أدق الأمور كما يتناول عظامها وهو مع ذلك يكاد يخترق ظواهر الأشياء إلى بواطنها ليقارن ويربط ويستخرج ما هو خاص وما هو عام . (١)

(١) انظر مثلاً ما قاله عن ذكاة الفيل في كتابه (الحيوان) ١٨٣/٧ ، وعن بعض صفاته ١٩٢-١٩٣ / ٧ ، وانظر أيضاً ما قاله في الخاصيات والمقابلات والفرائز ، وكيف أن جوف الكلب والذئب يذيان العظام ولا يذيان نوى التمر ، ونوى التمر أرخي وألين وأضعف من العظام المصنته . وكيف ينفذ خرطوم البعوضة في جلد الفيل والجاموس ، وخرطوم الذباب في جلد الحمار . وسخر الصخر الصلب لا ذناب الجراد وكيف أنها تصدعه إذا أرادت أن تلقي بيضها .. وهكذا . (انظر الحيوان للجاحظ . تحقيق د . هارون / ٤ من ٣١٣ إلى ٣١٨) .

ثم إنه مع ذلك كان شغوفاً بالقراءة شغفاً بالغا حتى إنه كان يكثرى
حوانيت الوراقين ليشبع هذه الرغبة ، وكان مع هذا وذاك قديرا في التقاط
خبرات الآخرين ممثلة في روايتهم لما خبروه أو مروا به في حياتهم .

وعندما بدأ السير في دروب التأليف ، بدأ يعتمد على ما كان
مخزنا في الذاكرة الفظة ، إلى جانب ملاحظاته الدقيقة المتابعة لماحوله ،
مع اعتماده أيضا على ملاحظات غيره ورواياتهم له ، ليؤكّد بذلك ملاحظاته
ونظرياتة . كما اعتمد على ما قرأه من كلام صاحب المنطق ويعنى به أرسطو
الذي كان يشير إليه كثيرا .

ونجد أن ما قرأه الجاحظ لأرسطو يدخل في باب الملاحظة ،
أي ملاحظة أرسطو لما يخص مجالنا هذا . ونقل الجاحظ له .
إذا فمنهج الجاحظ في دراساته الصوتية وعيوب النطق يعتمد
على ثلاثة روافد وهي :

(أ) ملاحظاته هوفي مجال الأصوات والعيوب .

(ب) ما رواه وروى له من ملاحظات .

(ج) ما قرأه من ملاحظات لأرسطو وغيره .

وقيمة هذه الملاحظات أنها منهج سليم ، وهو المنهج المناسب في
هذا الموضوع والذي يوثقها هو تكرار الملاحظة من عدد كبير من الباحثين
في المجال نفسه ، ثم اتفاق نتائج ملاحظاتهم . ولا يخفى أن الملاحظة
في مجال الأصوات وعيوب النطق هي المنهج الأمثل المتاح في مثل
عصر الجاحظ ، وبخاصة إذا تكررت وأخذت حقيها الكافي من التأمل والتدبير
لأنها حينئذ تقوم مقام التجربة العلمية العملية التي لا يمكن تطبيقها

في هذا المجال ، إذ لا يمكن مثلاً أن ننزع ثانياً إنسان لنرى أثر ذلك في كلامه . كما أن البدائل التجريبية الصناعية لم تكن متاحة .

وبالطبع فلا يطالب الجاحظ ولا غيره بالبدائل التجريبية المستحدثة ، وأعني بها الوسائل الآلية المستحدثة في هذه الأيام ، لأن هذه التجارب التي تعتمد على الأجهزة لمعرفة صفات الأصوات اللغوية ، من جهر وهيس وشدة ورخاوة ... الخ ، لم تكن موجودة آن ذاك كما لم توجد ^{أيضاً} الوسائل الصناعية في ذلك العصر .

لذلك فإن اعتماد الجاحظ على ملاحظاته المتكررة وملاحظات غيره المتمثلة في الروايات كانت هي المنهج الأمثل المتاح .

ولا شك أن الجاحظ قد وظّف هذه الملاحظات بروافدها الثلاثة - وأعني بهذه الروافد ملاحظاته هو ، وما روى له من ملاحظات ، وما قرأه من ملاحظات أرسطو - وذلك في أثناء حديثه عن الأصوات اللغوية وعيوب النطق .

وسأورد في هذا المنهج مقتطفات من الأمثلة على ما لاحظها الجاحظ ، أو روى له ، أو قرأه لأرسطو حتى أوضح الفكرة العامة لطريقة الجاحظ ومنهجه الخاص بالأصوات والعيوب .

وأول هذه المقتطفات التي اعتمد عليها الجاحظ في منهجه

هو :

(١) - ملاحظاته المتتابعة في مجال الأصوات اللغوية وعيوب النطق :

أ - في مجال الأصوات :

فقد نقل الجاحظ هنا ملاحظة اليزيدي في أن الأصوات اللغوية (كالياء ، واللام ،
والألف ، والراء) من أكثر الأصوات ترددا ودورانا على ألسنة الناس ،
والحاجة إليها أشد .

ولقد تنبه لذلك عندما أنشده ديسم قول أبي محمد اليزيدي :

وَخَلَّةُ اللَّفْظِ فِي الْيَاءِ إِن زُكِرَتْ

كَخَلَّةِ اللَّفْظِ فِي الْاِمَاتِ وَالْاَلْفِ

وَخَلَّةُ الرَّاءِ فِيهَا غَيْرُ خَافِيَةٍ

(١)

فاعرف مواقعها في القول والصحف

عند ذلك أخذ يفكر ويدبر في الأصوات اللغوية حتى تأكد أن هذه
الأصوات أكثر استعمالا على ألسنة الناس ، حيث قال : " واعتبر ذلك
بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب . من جملة خطب الناس ورسائلهم ،
فإنك متى حصلت جميع حروفها ، وعددت كل شكل على حده ، علمت أن
هذه الحروف الحاجة إليها أشد " . (٢)

فمن هنا نجد أن ملاحظاته المتتابعة لما يقرأ أو يسمع جعلته
يكتشف كيفية التأكد من الأصوات اللغوية التي تدور كثيرا على ألسنة
الناس .

كما لاحظ الجاحظ أيضا اختصاص كل لغة بحروف تدور في أكثر
كلامها وذلك في قوله : " ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو

(١) انظر البيان والتبيين ١/٢٢٠

(٢) نفس المرجع والصفحة .

استعمال الرُّوم للسين ، واستعمال الجرامقة للعين . (١)

وأيضاً حديثه عن تنافر الكلمات أو الألفاظ كان من ملاحظاته هو في هذا المجال . وهذا الذي ذكرته الآن ما هي إلا أمثلة لملاحظاته المتتابعة ، وسيرد كل موضوع من المواضيع السابقة مفصلاً في موضعه .

ب - في مجال العيوب النطقية :

حيث لاحظ الجاحظ أن اللُّشفة تكون في أربعة أحرف وهي :
(القاف ، والسين ، واللام ، والراء) ، وقال إن اللُّشفة التي تعرض للسين تكون ثاءً ، كقولهم لا أبي يكسوم : أبي يكثوم .

واللُّشفة التي تعرض للقاف تكون طاءً كقولهم بدل قلت لك :

طلت لك .

واللُّشفة التي تعرض للام فإن منهم من يجعلها ياءً أو كافاً مثل :

اعتلت يقال فيها اعتييت ، وقول عمر أخي هلال مكعك ، يريد ما العلة .

واللُّشفة التي تعرض للراء فتكون (ياءً أو غينا ، أو زالا ، أو ظاءً) . (٢)

فمن هنا نجد أن الجاحظ قد لاحظ أن هذه الحروف الأربعة وهي :

(القاف ، والسين ، واللام ، والراء) من أكثر الحروف التي تدخلها

اللُّشفة ، ولقد تنبه لذلك بفضل ملاحظته المتتابعة للأصوات ، وللأشخاص

الذين يلثغون كعمر أخي هلال وشوشى . . . وغيرهم .

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ٦٤ .

(٢) انظر نفس المرجع ١ / ٣٤ ، وسيرد عن هذا الموضوع بالتفصيل

في موضعه .

ومن ملاحظاته أيضا في مجال العيوب ما ذكره من أن " اللثغة التي في الرء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأضعهن لدى المروءة ، ثم التي على الظاء ، ثم التي على الذال . فأما التي على الفين فهي أيسرهن ، ويقال إن صاحبها لو جَهد نفسه جهده ، وأحد لسانه ، وتكلف مخرج الرء على حقها والافصاح بها ، لم ينك بعيدا من أن تجيبه الطبيعة ، ويوتر فيها ذلك التعهد أثرا حسنا " . (١)

(٢) - ما روى له من ملاحظات :

أ - في مجال الأصوات اللغوية :

حيث أورد قول (محمد بن عمرو الرومي) ، مولى أمير المؤمنين الذي قال : " لقد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف ، منه إذا سقط أكثرها ، وخالف أحد شطريها الشطر الآخر " . (٢)

كما أورد الجاحظ أيضا ملاحظات الآخرين التي رويت له ، وذلك في قوله : " وقال أهل التجربة : إذا كان في اللحم الذي فيه مفارز الأسنان تشميرٌ وقصر سمك ، ذهب الحروف وفسد البيان . وإذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئا يقرعه ويصكه ، ولم يمر في هواه واسمع المجال ، وكان لسانه يملا جوبة فيه ، لم يضره سقوط أسنانه إلا بالمقدار المفتقر ، والجزء المحتمل " . (٣)

(١) انظر البيان والتبيين ١/٣٦٠

(٢) نفس المرجع ١/٦١٠

(٣) نفس المرجع ١/٦١٠، ٦٢٠

فمن هنا نجد أنه قد اعتمد في دراساته أيضا على ما روى له من ملاحظات غيره في مجال الأصوات اللغوية .

ب - في مجال العيوب النطقية :

حيث ذكر الجاحظ أن (يزيد بن جابر) قاضي الأزارقة ، يقال له الصموت ، لأنه لما طال صمته ثقل عليه الكلام ، فكان لسانه يلتوى ولا يكاد يُبَيِّن ، فقد أصابه لقف في لسانه . قال الجاحظ :
" أخبرني (محمد بن الجهم) أن مثل ذلك اعتراه أيام محاربة الزط ، من طول التفكير ولزوم الصمت " . (١)

فهذه الملاحظة خاصة بمحمد بن الجهم نفسه رواها الجاحظ عنه .

(٣) - ما قرأه من ملاحظات أرسطو :

حيث ذكر الجاحظ أن هناك بعضا من الحيوانات عريضة اللسان وبين أن لعرض اللسان عند الحيوانات أثرا في البيان ، ولقد أيد هذا القول بما قرأه من ملاحظات أرسطو حيث قال : " زعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين ، وأحكى لما يلقن ولما يسمع ، كبحوالبغاء والغداف وغراب البين " . (٢)

فخلاصة الأمر أن كل هذه الأمثلة التي ذكرتها آنفا ، ما هي إلا أمثلة لطريقة الجاحظ ومنهجه في الأصوات اللغوية وعيوب النطق ، وذلك حتى يستطيع القارئ أو الدارس أن يفهم النهج الذي سار عليه الجاحظ في هذين الموضوعين اللذين هما مجال دراستنا في هذا البحث .

(١) انظر البيان والتبيين ٣٨ / ١ .

(٢) انظر الحيوان للجاحظ ٢٨٨ / ٥ ، والبيان والتبيين ٦٢ / ١ .

ثانيا وثالثا : حديثه عن بعض المخارج .

لم تكن وقفة الجاحظ في الأصوات اللغوية وقفة تعليمية ، بمعنى أنه لم يتناولها على المستوى التعليمي الذي يفصل فيه الكلام عن مخارج الحروف وصفاتها كما فعل الأئمة اللغويون قبله ، بل كان تناوله للأصوات تناولا عاما شاملا ، ولعل السبب في ذلك راجع إلى أن المخارج والصفات كانت معروفة للناس في ذلك الوقت ، حيث تطرق لها أكثر من لغوي . فالخليل مثلا تناول المخارج والصفات في خطة ترتيبه لمعجم العين حيث لا يقوم هذا العمل إلا بذكر هذه الأصوات اللغوية ومخارجها .

كما أن سيبويه قد ذكرها في بدء حديثه عن باب الإردغام ، حيث لا يتضح الكلام عن الإردغام إلا به ، لذلك كانت نظرتهما لهذا الموضوع نظرة خاصة تفصيلية .

كما أن هناك من تكلم عن أعضاء الجهاز الصوتي في نطاق كلامه عن خلق الإنسان .

أما الجاحظ فقد تناول الأصوات بنظرة أهم وأشمل فأطال الوقوف عند الصوت من حيث توظيفه في أهم ما يميز الإنسان عن الحيوان ، ألا وهي اللغة التي عبر عنها بالبيان .^(١)

ولقد جعل الجاحظ البيان عنوانا لكتابه تخصصيا واهتماما ولقد وظف في بيان أهميته حشدا من المعلومات عن الصوت وأعضاءه النطق من حيث سلامتها وعيوبها وأداء اللغة ومستويات هذا الأداء

وآثارها بصورة لم تعرف قبله عند العرب فيما نعلم .

(١) قال الجاحظ : " والبيان اسم جامع لكل شيء كشف للشقاع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفيض السامع إلى حقيقته ، ويهجم على محصله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان الدليل . . وقال أيضا : فبأي شيء بلغت الافهام وأوضح عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع " .
البيان والتبيين ١ / ٧٦ .

وهو بهذه النظرة العامة وذلك التوظيف يُعدُّ سابقاً ورائداً في هذين الجانبين من الدراسة الصوتية .

ولقد تجلّى هذا التوظيف فيما ذكره الجاحظ بلسان حال واصل ابن عطاء عما يحتاجه مقامه كرئيس مذهب من اقتدار في البيان . " وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة ، وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، وإلى سهولة المخرج وجهازة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن ، وأن حاجة المنطق إلى العلاوة والطلاوة ، كحاجته إلى الجزالة والفخامة ، وأن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب ، وتشنى به الأُتُنُق ، وتزين به المعاني " (١)

فالصوت من هذه الحيشية هو أداة البيان ووسيلته التي لا تقارن بها الوسائل الرمزية الأخرى كالإشارة والعقد (٢) والنصب (٣) فلذلك يقول الجاحظ عن الصوت : " والصوت هو آلة اللفظ ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف " (٤)

-
- (١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/١٤٠ .
(٢) المرجع السابق ١/٧٦ . والعقد : ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين ، كما ذكره محقق البيان .
(٣) النصب : هي الحال الناطقة بغير اللفظ ، والمشيرة بغير اليد .
(٤) انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/٨١ .
انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/٧٩ .

وبالرغم من أن نظرة الجاحظ لمخارج الأصوات اللغوية كانت عامة وشاملة ، إلا أنه لم يغفلها نهائياً ، بل نجده قد تطرق إليها في معرض حديثه عما يصيب الأسنان من الآفات ، وأثر سلامتها وتامها في تمام الحروف وأثر عطبها ونقصها في نقص الحروف .

ومن الأصوات اللغوية التي تحدث الجاحظ عنها وعن بعض مخارجها : الباء ، والسين ، والضاد ، والفاء ، والميم ، وذلك في قوله : " والميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال ، كقولهم : ماما ، وبابا لأنهما خارجان من عمل اللسان ، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين . وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والعجز من فم الأهم ، من الفاء والسين إذا كانا في وسط الكلمة .

فأما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن ، إلا أن يكون المتكلم أفسر يسراً ، مثل عمر بن الخطاب رحمه الله ، فإنه كان يُخرج الضاد من أي شذقيه شاء . فأما الأيمن والأيسر والأضبط ، فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد " . (١)

يريد الجاحظ هنا بيان أن مخرج الميم والباء ناتج عن التقاء الشفتين ، وهذان الحرفان هما أول ما يتهيأ من أفواه الأطفال ، وذلك لسهولة مخرجهما ، أما بالنسبة للفاء والسين فقد أشار الجاحظ إلى مخرجهما من خلال قوله : " وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والعجز من فم الأهم من الفاء والسين إذا كانا في وسط الكلمة " .

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ٦٢٠ .

فإذا عرفنا أن الهم هو : كسرُ الشَّيْءِ أو الثنايا من
الأصل (١) وأن أطراف الثنايا تشترك في إخراج الفاء
والسين حيث أن مخرج الفاء يكون : من باطن الشفة السفلى وأطراف
الثنايا العليا (٢) ومخرج السين من بين طرف اللسان وقويق
الثنايا (٣) تبين لنا سبب تأثر خروج الفاء والسين بانكسار ثنايا
الأهت ، وهذا هو ما أراد الجاحظ .

وكون الفاء والسين في وسط الكلمة ، يزيد من الأرتعقيد في
النطق بالنسبة للأهت ، لأن انتقاله من مخرج حرف آخر - غير الفاء
والسين - بنطقه المختلف إلى الفاء والسين الموجودة في وسط الكلمة ،
فإن ذلك ولا شك يزيد من العجز والنقص .

أما (الضاد) فقد ذكر الجاحظ بأنها تخرج من الشدق الأيمن ،
إلا أن يكون المتكلم أعسر يسرا ، مثل عربن الخطاب رضي الله عنه ، والأعسر
اليسر هو الذي يعمل بكلتا يديه ، وهو يريد هنا أنه يخرج الضاد من
أى شذقيه شاء .

فالذي ذكرناه آنفاً عن مخارج الأصوات عند الجاحظ يدل
دلالة واضحة على أن عدم تناوله للأصوات اللغوية بطريقة تفصيلية ،
لم يكن عن تقصير ونقص ، وإنما كان من باب التجاوز عن موضوع قد طُرُق
قبل ذلك وأُشبع بحثاً حيث استوفى فيه السابقون كل ما يمكن أن يقال .

(١) انظر العين ٣٦/٤ ت: المخزومي والسامرائي ،

وانظر اللسان مادة (هتم) ١٢٠/١٢٠٠ .

(٢) انظر (الكتاب) ٤/٤٣٣ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

رابعاً : الأُصوات الفرعية :

ذكر الجاحظ كثيراً من تلك الأُصوات الفرعية في معرض حديثه عن اللُّثغة بأنواعها وعن اللُّكنة ، وعن اللهجات في نطق الأُصوات ، وعن سائر عيوب النطق التي تعترى الناطقين لأسباب عضوية أو عرقية . ولكن ذكر الجاحظ لهذه الأُصوات لم يكن قائماً على نفس الأساس الذي أقام عليه سيبويه ذكره للأُصوات الفرعية ، وهو كونها تستحسن أو لا تستحسن في المستوى الفصح للاستعمال اللغوي كما في قراءة القرآن الكريم والقاء الشعر - وقد ذكر سيبويه عدداً من الحروف الفرعية يستحسن ، أي يقبل في المجالين المذكورين . وإنما ذكر الجاحظ ما ذكر من تلك الأُصوات التي يصدّق عليها اسم الأُصوات الفرعية باعتبارها كلها صوراً للنطق دون المستوى الفصح ، لأنها إما لثغة أو لُكنة أو لهجة ضعيفة أو ناشئة عن عيب ما في جهاز النطق ، ثم هي لذلك عيب في الأُصوات اللغوية يهبط بمستوى تحقيق اللغة لوظيفتها التي هي التعبير عما بالنفوس ونقله إلى الآخرين أو تبليغهم ما يراد منهم ، ومن تلك الأُصوات :

(١) - الشين المعجمة ، لثغة لا يصورها الخط لأنها ليست من الحروف المعروفة ، وإنما هي مخرج من المخارج .
(١)

(٢) - الراء التي تنطق غينا أو ظاءً أو ياءً أو زالا ، والقاف التي تنطق طاءً ، والسين التي تكون ثاءً ، واللام التي تنطق ياءً أو كافاً .

وهكذا . وكل هذا يدخل ضمن اللثغة (١)

(٣) - الجيم التي تنطق زايما ، والزاي التي تنطق سينا ، والعين التي تنطق همزة ، والسين التي تنطق شينا ، والطاء تاءً . . الخ (٢)

(٤) - ومن الأصوات الفرعية أيضا بعض اللهجات الضعيفة التي تجعل بعد كاف الخطاب في الموءنث شينا ، وهي ما تعرف بالكشكشة ، أو أن يجعلوا بعد كاف المذكر أو مكانها سينا وتسمى الكسكسة . (٣)

وهذا الذي ذكرناه آنفا هو من قبيل الأصوات الفرعية التي ذكرها الجاحظ ، وهي دون المستوى الفصيح .

(١) انظر البيان والتبيين ١/٣٤ - ٣٥ .

(٢) نفس المرجع ١/٧٠ - ٧١ .

(٣) نفس المرجع ٣/٢١٣ . وفي هامشها ذكر المحقق د . هارون تفسير الكشكشة والكسكسة .

خامسا : ما تختص به العربية من الأصوات اللغوية :

لقد لاحظ الجاحظ مسألة اختصاص العربية بحروف لا توجد في اللغات الأخرى ، حيث نوه إلى ذلك من خلال ما أورده في كتابه البيان والتبيين من قول الأصمعي : " ليس للروم ضاٌ ، ولا للفرس ثاٌ ، ولا للسرياني زال " . (١)

فلو نظرنا إلى القول السابق لوجدنا أنه قد نفى وجود حرف الضاد في لغة الروم ، كما نفى وجود حرف الثا في لغة الفرس ، وأيضا نفى وجود حرف الذال في لغة السريان . وما أن هذه الأحرف الثلاثة موجودة في اللغة العربية ، إذا ، فهذا القول السابق يشتمل على نفي صريح وثابت ضمنى ، حيث أثبت هذه الأحرف للغة العربية ، ونفى وجودها بالنسبة للغات الأخرى المذكورة .

ومن المتعارف عليه قديما وحديثا أن اللغة العربية تختص بحرف (الضَّاد) ، ولذلك سميت بلغة الضاد ، والمراد بالضاد هنا هي الضاد الفصيحة التي يجد الناطق بها صعوبة وكلفة لأعضاء النطق . فهي تخرج " من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس " (٢) . فالهواء مع نطق الضاد يخرج من جانبي اللسان أو من جانب واحد ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخرجانها من الجانبين ، وذلك لشدة فصاحتهما .

(١) انظر البيان والتبيين ١/٦٥ .

(٢) انظر (الكتاب) لسيبويه ٤/٤٢٣ .

والذى يوه يد أن المراد بالضاد هنا هي الضاد الفصيحة هو قول العالم المستشرق (برجستراسر) : " الضاد العتيقة حرف غريب جدا غير موجود حسيما أعرف في لغة من اللغات إلا العربية ، ولذلك كانوا يكتون عن العرب بالناطقين بالضاد " (١) .

قال المتنبى :

وهم فخر كل من نطق الضا
ر ، وعود الجاني وعود الطريد (٢)

كما أن هناك علماء كثيرين أتوا بعد الجاحظ إلى العصر الحديث ذكروا أن (الضاد) خاص بالعربية ، وذلك مثل ابن جنى في كتابه سر صناعة الإعراب ، والصاحبى لابن فارس ، والمعرب للجوالقي ، وتاج العروس للزبيدى ، وفقه اللغة لعلي بن عبد الواحد وافي ، وأصوات اللغة العربية لمحمد حسن جبل ، وعلم اللغة المبرمج لكامل ابراهيم بدرى .

ونجد أن هناك حروفا أخرى اختصت بها اللغة العربية لم يذكرها السابقون ، وقد ذكرها من جاء بعدهم ، من ذلك حروف (العين ، والفين ، والحاء ، والصاد ، والطاء ، والقاف ، والهمزة) .

(١) انظر كتاب (التطور النحوى) لبرجستراسر ص ١٨٠ . تصحيح

(٢) وتعليق ر . رمضان عبد التواب .
انظر ديوان المتنبى ٥٦/٢ بشرح البرقوقى ،
وانظر كتاب (سر صناعة الأعراب) لابن جنى ص ٢٢٢ .

فقد قال الدكتور (علي عبد الواحد وافي) : " أنها (ويقصد اللفظة العربية) أكثر أخواتها احتفاظاً بالأصوات السامية . فقد اشتملت على جميع الأصوات التي اشتملت عليها أخواتها السامية ، وزادت عليها بأصوات كثيرة لا وجود لها في واحدة منها : الثاء والذال والغين والضاد . " (١)

كما قال الدكتور (محمد حسن جبل) : " ولقد قيل بتفرد العربية بأصوات أخرى كالعين والحاء والظاء . ولكن العين والحاء مستعملتان في السريانية والعبرية ، وإذا صدق تفرد العربية بالظاء كان تفردهما بالضاد أصدق . " (٢)

وقال الدكتور (كمال ابراهيم بدرى) : " هناك أصوات في اللفظة العربية - بوصفها إحدى اللغات السامية - ليست موجودة في كثير من اللغات الأخرى من ذلك أصوات الإطباق وهي : الصاد والضاد والطاء والظاء وكذلك بعض الأصوات السخلفية مثل الحاء والعين والغين والقاف والهمزة . " (٣)

وإلى هنا أكون قد عرضت لجميع الحروف التي اختصت بها اللغة العربية .

-
- (١) انظر كتاب (فقه اللفظة) د . علي عبد الواحد وافي ص ١٦٥ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة القاهرة .
- (٢) انظر كتاب (أصوات اللغة العربية) د . محمد حسن جبل ص ١٣٢ الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ .
- (٣) انظر كتاب (علم اللفظة المبرمج) د . كمال ابراهيم بدرى ص ٣ ، الناشر : عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود الرياض ١٤٠٢ هـ .

سادسا : دراسة الأَصوات منتظمة (الدراسة التركيبية للأصوات) :

سبق أن ذكرنا أن الجاحظ لم يقف عند الأبواب المشهورة للدراسة التركيبية من إبدال وإعلال وقلب وإدغام وإتباع وإمالة وما إلى ذلك ^(١) . بمعنى أنه لم يعمد إلى معالجة متكاملة لباب من هذه الأبواب وما إليها . ولو فعل ، لما حسب له من ذلك إلا ما كان جديدا مبتكرا . لكنه وقف عند مسألة تنافر الأصوات وأتى فيها بجديد . وأول ما ذكره :

(أ) : تنافر الحروف :

حيث تعرض الجاحظ لتنافر الحروف كما تعرض لتنافر الكلمات إلا أنه لم يَفْضَل القول في تنافر الحروف كما فَضَّلَهُ في تنافر الكلمات ، فقد اكتفى في تنافر الحروف بذكر عدة أحرف لا تجتمع مع بعضها البعض فقال : " الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الفين ، بتقديم ولا بتأخير . والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال ، بتقديم ولا بتأخير " ^(٢) . فهو هنا لم يتعرض إلا لحرفين وهما (الجيم ، والزاي) ، وعدم تعرضه لسائر الحروف لم يكن عن جهل بها ، وإنما من باب الاختصار ، فقد قال : " وهذا باب كبير . وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الفاية التي إليها يُجرى " ^(٣) .

وإذا نظرنا إلى الحرفين السابقين نجد أن (الجيم) لا تجتمع مع الظاء ، والقاف ، والطاء ، والفين ، في الكلمة الواحدة ، سواء جاءت

(١) انظر ما سبق ص ٨٣ من هذه الرسالة .

(٢) انظر البيان والتبيين ١/٦٩٠ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

هذه الحروف قبلها أم جاءت بعدها ، وهذا هو المراد بقوله (بتقديم أو بتأخير) وكذلك بالنسبة لحرف (الزاي) ، فقد ذكر الجاحظ أنها لا تجتمع مع الظاء أو السين أو الضاد أو الذال في الكلمة الواحدة ، سواء أتت هذه الحروف قبل (الزاي) أو أتت بعدها .

ولا بد من التنويه إلى أن هناك دراسات حديثة قام بها بعض العلماء المحدثين ^{بعض} أيدت/ ما ذكره الجاحظ والسابقون ، وهذه الدراسات هي عبارة عن إحصائيات لجذور بعض المعاجم اللغوية كالصاح للجوهري ولسان العرب لابن منظور والتاج للزبيدي . والذي قام بهذه الإحصائيات هو الدكتور (على حلمي موسى) .

وقد لوحظ أن بعض موضوعات هذه الإحصائيات أيدت كلام المتقدمين من ناحية تنافر الحروف ، وذلك بالنسبة لموضوع التتابع الذي تمثل تتابع الحروف في الكلمات الثلاثية . فنجد أن هناك إحصائية لتتابع الحرفين الأول والثاني في الكلمات الثلاثية ، وأيضا الثاني والثالث ، فمثلا إذا كان الحرف الأول (ب) والحرف الثاني (ت) فنظر إلى المربع الذي يلتقي عنده حرف (ب) مع حرف (ت) ثانيا فنجد الرقم (٦) . أي أنه يوجد ستة جذور تبدأ بالحرفين (بت) .

ومثال ثان : الحرفان (تنز) لا يوجد أي جذر ثلاثي يبدأ بهما ، ولذلك نجد أن المربع الذي يلتقي عنده (ت) أول مع (ز) ثان به الرقم (صفر) .

وهناك أيضا إحصائية لتتابع الحرفين الثاني والثالث ، وعند جمع حاصل إحصائية تتابع الحرفين الأول والثاني ، والثاني

والثالث ، يعطينا إحصائية لتتابع الحروف بوجه عام ، سواء أكان
الحرفان في الموقعين الأولين أو الأخرين .
وفيما يلي عرض لهذا الجدول الذي يمثل إحصائية تتابع الحروف
بوجه عام ، حتى يتضح المراد .

عدد مراتب تتابع أي حرفين في الكلمات الثلاثية

الحرف التـ الى

أ	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ظ	ع	ف	ق	ك	ل	م	ن	هـ	و		
٢٨	٥	١٧	٢٣	٢٢	٧	٦	١٤	٠	٠	١	٦	٤	٦	٧	١٨	١٤	٢٧	٢	١٦	٣	٣	١٣	٨	١٢	٢٩	٠
٥٢	٢١	٢١	٣	٣٦	١٥	٢٢	٠	١٨	٢٤	٢	٢٧	٧	١١	١٢	٢٢	١٦	٤١	١٣	١٩	١٨	١٥	١٧	١٧	١٥	٤٦	١٧
٣٣	٥	١٩	١٨	٢٠	٨	٧	١٠	٤	١٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣	١	١	٢٦	٠	٥	٨	٢	٠	١٦	١٢	١٢
١٨	٢	١٠	٢٠	١٩	٣	٧	٧	٧	١١	٠	٢	٠	٠	٠	٠	١٨	٠	٦	١	٧	١٧	٣	٩	١٣	١٣	١٣
٣٨	١٢	٢٥	٢٣	٣١	٠	١٧	٠	٢٠	٦	٠	٠	٤	٨	١٥	١٥	٣٥	١٤	٢٠	٥	٤٨	١٨	٥	٠	١٨	١٧	١٧
٤٤	٠	٢٦	٣١	٢٩	١١	١٩	٢٤	٠	٧	٩	١١	١٧	١٤	١٤	١٢	٢٩	٩	١٦	٠	١٨	١٢	٧	١٣	٢٠	٠	٠
٣٨	٠	١٨	٢٢	١٩	٠	٣	١٧	٠	٣	١	١٢	١١	١٢	١٠	١٢	١٤	٢٩	٩	١٦	١٤	٠	٦	٤	١١	٢٠	٠
٤٤	١٧	٢٧	٢٧	٢٥	٩	١٣	١٩	١٢	٢٢	٠	٠	٠	٤	١٦	٠	٣١	٠	٢٢	٧	٢١	١١	٥	٠	٢١	١٥	١٠
٢٩	٣	٤	١٦	١٥	٢	٦	٩	٠	١١	٠	١	٠	٠	٠	٠	١٨	١١	٠	٢	٤	١	٠	٠	١٠	١٣	١٣
٤٩	٢٢	٢٢	٣٧	٥	٢٣	٣٢	٣٣	١٣	٢٣	١	٢٠	٢٠	١٤	٢٣	٣٠	٢٥	٢٤	٥	٣٢	١٣	٢٢	٢٩	١٩	٢١	٤٢	١٨
٢٨	٩	٢١	٢٢	١٨	١١	١٦	١٣	٩	١٨	٠	١	٠	٠	٠	١٨	٢٢	٠	٣	٣	١٣	٩	٠	١	١٨	١٤	١٤
٤٠	٩	٢٢	٢٩	٢٩	١٢	١٧	٢٢	٥	١٩	٠	١٢	٠	٠	١٦	٠	٢٧	١	٢٠	١٦	١٧	١٦	٠	٨	٢٦	١٦	١٦
٣٩	٧	١٨	٢٥	٨	١٣	١٥	١٤	١١	١٦	٦	٩	٥	١٥	٢	٧	٢٩	٥	١٢	٧	١٦	١١	٤	٥	٢٠	١٤	١٤
٣١	٦	١٢	٢١	٢٣	٢	٦	١٨	٢	١٥	٠	٠	١٨	٠	٠	٢٢	٠	١٩	٦	١١	٠	٠	٦	١٧	٥	١٧	٥
٢٦	٧	٨	١٤	٨	٣	٠	١١	٩	٨	٠	١	١٣	٠	٠	٢	١٧	٠	٤	٦	٩	٨	١	٠	١٩	٦	٦
٢٩	٥	١٥	٢٠	٢١	٠	٤	١٥	٣	٩	٠	١٥	٠	٦	١٣	٠	٢٦	٠	٢	٨	١٢	١	٤	٠	١٥	١٠	١٠
٩	١	٣	٧	٦	٠	٤	٣	٨	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٤	٣	٣
٤٤	٨	٢٧	٢٣	٣١	١٩	١٧	٢٣	٠	١٨	٩	١٨	١١	١٢	١٤	٢١	١٨	٢٢	٨	٢٠	٠	١٧	١٤	١٣	٢٧	٢٧	٠
٣٢	١	٨	٢٦	٢١	١	١١	١١	٠	١٠	٩	٦	٤	٧	٧	٢٣	٣	١١	٠	٠	٠	٨	٣	١٩	٠	١٩	٠
٤٢	١٣	٢٣	١	٢٩	٨	٢٣	٢٠	٤	١٥	٥	١٢	١١	١٣	١١	١٧	٨	٤٣	٢	١٨	١٠	١٥	١٢	٩	٢٤	٠	
٤٢	١٢	٢٣	٢٦	٢٦	٠	١٨	١٩	٠	٢٧	١	١٧	٨	١٢	١١	١٢	٦	٢٢	١٠	١٥	١٦	٠	٦	١٣	٢٥	٠	
٣٤	١٢	٢٠	٢٥	٢٦	١٨	١٣	٠	١٧	٧	٠	١	٣	١٢	١٩	٨	٢١	٣	١٨	٠	٥	٠	١٢	١٦	١٨	١١	
٤٤	٢٠	٥	٣٣	٢٤	١٦	٢٦	٢٨	١٣	٢٨	٢	١٩	١	١١	١٢	١٤	١	٧	١٦	١٥	٢٧	٢٥	١١	٢٠	٣٠	٧	
٤٢	١٤	٢٣	٢٤	٣٦	١٨	٢١	٠	١٢	٢٨	٣	١٣	٩	١٦	٢٠	٢٥	١٧	٣٩	٨	٢٤	١٤	١٩	٢٠	٧	١٧	٠	
٤٨	٢١	٢٤	٢٢	٠	٢٤	٣٢	٣٦	١٠	٢٧	٨	١٥	١١	١٤	٢٠	٢٢	١٩	١٠	٥	٢٣	١٦	٢٢	٢٤	١٠	١٧	٢٧	
٣٠	٢٥	١٨	٢٣	٣٣	٢٥	٣٥	٢٤	١١	٢٩	٤	٢١	١٢	١٨	٢٠	٢٧	٢٢	٣٩	١٥	٢٦	١٩	٢١	٢٩	١٧	١٥	٢٩	
٥١	٥	١٨	٣٥	٣٠	٩	١٩	٩	٠	٣	١	٦	٦	٥	٩	٦	١٨	٣٣	٧	٢٦	٠	٢١	٥	١٢	٢٩	٣	
١٢	٨	٢٠	١٧	٢٣	٥	١٤	١٩	٢	١٢	٣	٩	٨	١٠	١١	١٧	٥	٢١	٠	١٥	٤	٩	٢	٨	١٥	٩	

المصدر

وبعد النظر إلى الجدول الذي يمثل تتابع الحروف في الجذور
الثلاثية في اللغة العربية طبعا لما ورد في الصحاح للجوهري
- باعتباره أول معجم أُجرى عليه مثل هذا الإحصاء - فسجد أن
الدراسات الإحصائية الحديثة صدقت الجاحظ في/ما قرره من أن الجيم
لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الفين ، بتقديم ولا بتأخير .

وأن الزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال ،
بتقديم ولا بتأخير ، وذلك في قولهم : " حرف (ج) لا تتبعه الأحرف
(ت - ض - ط - غ - ق - ك) ولا تسبقه (ص - ظ - غ - ق -
ك) ، أي أنه لا يشترك تتابعا مع أي من الأحرف (غ - ق - ك) ،
ومن المعروف عن القدماء أنهم قالوا : ان حرفي (ج ، ق) لا يشتركان
في أي كلمة من أصل عربي ، ويتضح الآن أنهما لا يتتابعان في أي كلمة
(مع العلم بأن الكلمة الثلاثية الوحيدة التي يشتركان فيها هي (قبح)
وهي من أصل فارسي) ، كما يتضح أن حرف (ك) له نفس الظاهرة ،
وذلك لأن نطق (ك) قريب من نطق (ق) (١) .

وقالوا أيضا : " حرف (ز) لا تتبعه الأحرف (ت - ن - س -
ش - ص - ض - ظ) ولا تسبقه الأحرف (ت - د - ن - س - ص -
ط - ظ) ، أي أن (ز) لا يشترك تتابعا مع (ت - ن - س -
ص - ظ) . ونلاحظ هنا أن (ز) هو صوت مجهور ، نظيره
المهموس هو (س) ، كما أن (ز) قريب في النطق من حرف (ن) . .

(١) انظر كتاب إحصاء جذور معجم الصحاح ص ٣٠ .

وأيضاً حرف (ن) هو صوت مجهور ونظيره المهموس هو (ث) وحرف
(ظ) قريب في النطق من (ز) ، وحرف (ص) قريب في النطق من
(س) . (١)

ومن الملاحظ أن هناك حروفاً أخرى متنافرة ذكرتها الإحصاءات
الحديثة ، ولم ترد عند الجاحظ ، والسبب في ذلك يعود إلى أن عمل
الجاحظ كان ملاحظات جزئية تتعلق بتتابع عدّة أصوات معينة من بين
أصوات الأبجدية بحسب لسانه صدقها ، ولا يطالب بإحصاء استقراسي
كامل كالذي أجراه العلماء المحدثون مستعينين بالحاسب الآلي .
ومخلصاً الأمر هو بيان صدق الجاحظ في ما قرره
من ملاحظات هامة ودقيقة .

(ثانياً) : تنافر الكلمات :

لقد اهتم الجاحظ بتنافر الكلمات اهتماماً كبيراً ، حيث وقف عنده
وقفة مطولة وهو يعتبر بذلك سابقاً في هذا المجال ونذكر
من ناحية توضيحية وتبينية ، إذ لم يتوسّع في
تنافر الكلمات (أحد قبله في ما أعلم . حيث ذكر أن هناك من ألفاظ
العرب ما تتنافر ، فإذا كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد
انشارها إلا ببعض الإستكراه . وقد أتى ببيت شعر قال فيه الشاعر :
وقبرُ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قربَ قبرٍ حربٍ قبرٍ (٢)

(١) انظر إحصاء جذور معجم الصحاح ص ٣١ .

(٢) انظر البيان والتبيين ١/٦٥٠ .

فهذا البيت اجتمعت فيه ألفاظ متنافرة جعلت نطقه صعبا فيه
بعض الاستكراه فلو أننا نظرنا إلى كل كلمة على حدة ، لوجدنا أنها
في الأصل كلمات سليمة البناء مستعملة وحروفها غير متنافرة ، ولكن
حينما تجاوزت هذه الكلمات مكوّنة هذا البيت من الشعر ، حصل التنافر ،
وذلك لاختلاف الأنساق المتوالية في حروفها وهذه الأنساق هي القاف
والياء والراء ، والاختلاف فيها واحد ، بمجيء الفاء في قفر بدل الباء
في قبر .

وأیضا اختلاف النسق بين الباء والراء يتقدم أحدهما تارة ،
وتقدم الآخر تارة أخرى ، ف (قبر ، حرب ، قفر ، قرب ، قبر ، حرب ، قبر)
كلها تنتهي إما بالياء ثم الراء ، أو الراء ثم الباء ما عدا (قفر) حيث
جاء بالفاء بدل الباء المتقاربتين في المخرج .

فهنا تجاوزت كلمات فيها أنساق مختلفة الترتيب ، فاختلاف
النسق هو الذي أوجد التنافر .

ولقد ذكر الجاحظ أن بعضهم قد زعم أن هذا الشعر من
أشعار الجن ، لأن الشخص لا يستطيع أن ينشده ثلاث مرات متوالية
في نسق واحد دون أن يتلجلج أو يتتعتع .
كما أورد الجاحظ قول ابن يسير في أحمد بن يوسف حين
استبطأه فقال :

هل مُعِينُ عَلَى الْبِكَاءِ وَالْعَوِيْلِ
أَمْ مُعَزِّزٌ عَلَى الْمَصَابِ الْجَلِيْلِ
مَيْتٌ مَا تَ وَهُوَ فِي وَرَقِ الْعَيْشِ
مَقِيْمٌ بِهِ وَظِلٌّ ظَلِيْلِ

إلى قوله :

لَمْ يَضْرُهَا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، شَيْءٌ

وَانْتَهتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ زَهْوَلٍ

قال الجاحظ : " فتفقد النصف الأخير من هذا البيت ، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض " (١)

يريد أن الألفاظ الموجودة في الشطر الأخير فيها من التنافر والتباعد ما يجعل نطقها صعبا مستكرها ، ليس فيه سلاسة ، كما أنها ليست خفيفة على اللسان ، إلى جانب وقعها الثقيل على السمع . فالإنسان لا يجد في سماعها لذة وانسجاما .

وكثيرا ما عاب الشعراء وأهل اللغة هذا التنافر وعده من العيوب . ومن ذلك ما أورده الجاحظ في البيان والتبيين من ذم خلف الأحمر لهذا التنافر ، حيث قال :

وبعض قريض القوم أولادٌ عليةٌ

يُكَدُّ لِسَانُ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ (٢)

وقد وضع الجاحظ هذا البيت بقوله : " إذا كان الشعر مستكرها ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها ماثلا لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات " (٣) وأولاد العلة هم : بنو رجل

(١) انظر البيان والتبيين ١/٦٥ .

(٢) نفس المرجع ١/٦٦ .

(٣) نفس المرجع ١/٦٦ .

واحد من أمهات شتى ، والتنافر والتباعد الذى يكون بين أولاد العلات
هو نفسه التنافر الذى يكون بين الألفاظ في بعض السياقات .

كما أنشد أبو البداء الرّياحي في هذا المعنى قوله :

وشِعْرِكِيعر الكبش فرق بينه

(١)

لسان دعى في القريض دخيل

ففي تفسير هذا البيت ذكر الجاحظ أن المراد بقوله (بعرا الكبش)
يعني : " أن بعرا الكبش يقع متفرقا غير موء تلف ولا متجاور . وكذلك
حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر ، تراها متفقة مُلسا ولينة المعاطف
سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان
وتكده والأخرى تراها سهلة لينة ورطبة مواتية سلسلة النظام ، خفيفة على
اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف
واحد . " (٢)

فلاحظ من الكلام السابق أن الجاحظ قد فسر ووضع كيف
يكون الكلام متنافرا مستكرها لا يجد الإنسان فيه جمالا ورونقا ، وكيف أنه
وصف الألفاظ المتلاحمة بالسلاسة واللينة لدرجة أن الإنسان يشعر
بأن الأبيات الشعرية كأنها كلمة واحدة إلى جانب خفتها على اللسان ،
حيث قال : " أجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ،
فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا ، فهو

(١) البيان والتبيين ١ / ٦٦ .

(٢) نفس المرجع ١ / ٦٧ .

يجرى على اللسان كما يجرى الدهان". (١)

نخلص ما سبق إلى أن الجاحظ قد وضع لنا أسسا مميزة وعلامات واضحة نستطيع بها أن نفرق بين التركيب الجيد والتركيب الرديء، وأثر كل منها على النفس .

ولم يغيب عن ذهن هذا العالم الفذ أن يأتينا بأبيات من الشعر الجيد الذي لا تتباين ألفاظه ولا تتنافر أجزاءه، ومن ذلك قول الأجرد الثقفي :

من كان ذا عَضِدٍ يدرك ظلامته

إن الذليل الذي ليست له عضدٌ

تنبو يدها إذا ما قلَّ ناصره

(٢) ويأنف الضمَّ إن أثرى له عددٌ

وقول أبي حسيَّة النميري :

رمتني وسِترُ الله بيني وبينها

عشية آرام الكناسِ رميمٌ

رميم التي قالت لجاراتِ بيتها

ضمنت لكم ألا يزال يهيمٌ

ألا ربَّ يومٍ لورمتني رميتها

(٣) ولكن عهدى بالنضال قديمٌ

(١) انظر البيان والتبيين ١/٦٢٧ .

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٣) نفس المرجع ١/٦٨ .

رمتني : أى بطرفها . ستر الله : الاسلام أو الشيب .
وآرام الكناس : اسم موضع . ورميم : خليلته .

فهذه الأبيات ، هي بعض ما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين عن
الأشعار التي لا تتباين ألفاظها ولا تتنافر اجزاؤها .

وبهذا يكون الجاحظ قد انفرد عن سبقه بذكره لتنافر الكلمات
والألفاظ . حيث إن الخليل بن أحمد قد تحدث وفصل في تنافر
الحروف بعضها مع بعض ولم يتعرض للألفاظ أو الكلمات . أما الجاحظ
فقد تحدث عن الاثنين ، إلا أنه لم يتوسع في الحديث عن تنافر الحروف
كما فعل الخليل ، وذلك لاكتفائه بما قاله الأوائل .

الفصل الثالث : إضافات الجاهظ في مجال دراسة الأصوات اللغوية .

الفصل الثالث

إضافات الجاحظ في مجال دراسة الأصوات اللغوية

عقدنا هذا الفصل لنميز فيه إضافات الجاحظ في مجال دراسة الأصوات اللغوية .

وستتناول هذه الإضافات واحدة واحدة بادئين بما كانت الإضافة فيه متمثلة في جانب من جوانب موضوع تناوله السابق على الجاحظ ، ثم نستمر في عرض الإضافات التي تتشمل في مسائل أو موضوعات لم يسبق الجاحظ إليها .

(١) - كلمته عن الضاد : (١)

أسلفنا أن الجاحظ قال : " أما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن إلا أن يكون المتكلم أعسر يسرا مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فإنه كان يُخرج الضاد من أي شذقيه شاء . فأما الأيمن والأعسر والأضبط ، فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستكراه الشديد . "

فهذه الكلمة لها أكثر من قيمة نفيسة :

أ - ولعل أهم ما فيها هو الارتفاع بوصف نطق الضاد إلى نطق الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولا بد أن لهذا الرفع سنده وإن لم يذكره الجاحظ ، ودواعي الوضع في هذا المجال أقل ، وقيمة هذا أنه يرتفع بالملاحظات الصوتية إلى عهد عمر ، أي في المقعد الثاني أو الثالث الهجري .

(١) هذا من كلامه عن المخارج والصفات أنظر ما سبق ص ٩٧ .

والملاحظات مبادئ العلم وأوائله . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذا الرفع يدفع تصورا عاما مؤداه أن الضوابط الصوتية أو التجويدية ربما ترجع إلى اجتهادات العلماء وتصورهم للنطق الفصيح أكثر من رجوعها إلى نطق فصحاء العرب أنفسهم . فهذه الرواية تثبت رجوع تلك الضوابط إلى فصحاء العرب بل وفي عصر الصحابة خاصة .

ب - ومن المهم في هذه الكلمة ذلك الوصف الدقيق لطريق خروج الضاد ، وذلك الربط بين حالة الناطق العامة من حيث كونه أَسْرَ بَسْرًا ، أو أَيْمَنَ أو أَعْسَرَ فحسب ، وبين طريقة إخراج الضاد .

وهذه المعلومات القيمة تستحق أن تحسب من إضافات الجاحظ .

(٢) - ما تختص به العربية من الأصوات : (١)

ما يمكن أن يُعد إضافة للجاحظ روايته قول الأصمعي : " وليس للروم ضَادٌ ، ولا للفرس ثَاءٌ ، ولا للسرياني ذالٌ " . (٢)

وقد أسلفنا أن الخليل ذكر ما تتميز به العربية من الأصوات وهي الظاء فقط . ورواية الأصمعي هذه تنفي وجود الضاد في الرومية (اللاتينية) والثاء في الفارسية ، والذال في السريانية . وبذا كُشِرَ

(١) تجاوزنا الحديث عن الحروف الفرعية ، لأن تناول الجاحظ لها

لا يمثل إضافات ذات بال .

(٢) انظر البيان والتبيين ١/٦٥٠ .

عدد الأصوات التي تتميز بها العربية (ربما مع لغات أخرى) ولكن درجة الاختصاص قلت ، لأنه تخصيص للعربية مقابل لغة بعينها في كل صوت - لا مقابل كل اللغات . فنقل هذه الرواية فائدة إضافية عن مقررات العلماء في ذلك العصر تحسب له .

(٣) - تنافر الكلمات :

أسلفنا أن الخليل تناول تنافر الأصوات في الكلم ، وأن الجاحظ تناول تنافر الأصوات في الكلم (وهو المعروف بتنافر الحروف) وأنه تناول تنافر الكلمات أيضا .

وقد فصلنا في ما سبق كلامه في تنافر الكلمات ، وحللنا ما يمكن أن يكون سر التنافر .

ولكن المهم هنا أن ننوه بأن الكلام عن تنافر الكلمات إضافة قيمة سبق اليها الجاحظ ، ومثل لها بشاهد واضح ، وآخر يخفي التنافر فيه إلا على من له حس صوتي مرهف . وقد فصل الجاحظ في الموازنة بين الكلام الخالي من التنافر ، والكلام الذي يكون بين ألفاظه المتجاورة ما بين أولاد العلات من التنافر .

(٤) - إمكانات الجهاز الصوتي الإنساني :

لقد منح الله سبحانه وتعالى الإنسان جهازا صوتيا يستطيع بواسطة أعضائه السليمة أن يُكَيِّف اللغة والأصوات على أشكال متعددة حسب إرادته . وهذه مِنَّةٌ لله على الإنسان لم يعطها الله لغيره . كما يستطيع أيضا بجهازه الصوتي السليم المُدَرَّب أن يكيف جوارحه

طى حسب الأَصوات التي ينطقها أو يقلدها . ومعروف أن مخارج الأَصوات اللغوية كثيرة ، بل هي أكثر مما يظن أكثرنا .

فالجاحظ لم يخف عليه وهو العبقري الفذُّ أن يتبين ما أعطى الله الإنسان من الاستطاعة والتمكين من حيث إخراج أصوات لا تحصى . قال الجاحظ في أثناء حديثه عن الحروف التي تدخلها اللثغة : " فأما التي على الشين المعجمة فذلك شيء لا يصوره الخط ، لأنه ليس من الحروف المعروفة وإنما هو مخرج من المخارج ، والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها . وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لفات العجم ، وليس ذلك في شيء أكثر منه في لغة الخوز وفي سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير ، كلامهم يشبه الصغير . فمن يستطيع أن يصور كثيرا من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوسي إذا ترك الإفصاح عن معانيه وأخذ في باب الكناية وهو على الطعام " (١) ؟!

فقول الجاحظ بأن المخارج لا تحصى ولا يوقف عليها ، كلام سبق به عصره ، حيث إن هناك حقائق علمية ظهرت بعد الجاحظ أكدت صدق قوله . من ذلك الإحصاءات التي وردت في دائرتي المعارف : تشبهوز ، والبريطانية والتي دلت على أن الحروف الأبجدية التي وردت في اللغات تصل إلى نحو المئة . وفي نفس الوقت فإن أية لغة في العالم لا تستعمل ما يصل إلى (٤٠) صوتا أصليا .

فدائرتا المعارف قد أجرتا دراسة على بعض اللغات في العالم ، فوصلتا منها إلى أن الأَصوات الصامتة في اللغات التي درستها بلفت (٥٦) صوتا ، كل منها له مخرج خاص .

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ٣٤٠ .

وكذلك وجدت هناك نحو ٣٠ صوتا صائتا كل منها كذلك يخرج بطريقة خاصة ، فإذا نظرنا إلى هذا وأخذنا في الاعتبار أن هناك لغات كثيرة جدا لم تدخل في تلك الدراسة ولم يشملها الإحصاء ، وأنه ثبت علميا أن أداء الأشخاص للصوت الواحد لا يتفق تماما ، أمكن تصور أن عدد المخارج الصوتية يزيد على المئة^(١) وهذا الإحصاء ليس حاصرا لعدد الأصوات اللغوية كلها ، وإنما هي مثل لكثرة هذه الأصوات وتعدد ها .

كما أن هناك أصواتا لا تستطيع الكتابة أن تصور ها إلى الآن . فالمعروف أن الخط أو الكتابة قد صاحبت اللغة والكلام في كثير من الأمور فدائما ما يصور الخط اللغوية . إلا أنه في بعض الأحيان نجد أن القلم قد عجز عن تصوير مخرج من المخارج أولفة من اللغات غير المكتوبة ، والتي لم يتفق أهلها على طريقة في كتابتها حيث لاحظ الجاحظ أن هناك أصواتا لغوية لا يصورها الخط لأنها ليست من الحروف المعروفة وذلك مثل (اللشغة التي على الشين المعجمة) فهي مخرج من المخارج ، والمخارج لا تحصى ولا يوقف عليها . وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات العجم كالخوز ، والذين في سواحل البحر من أسياف فارس .

لذلك قال الجاحظ : إنه لا أحد يستطيع أن يصور كثيرا من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوسي ، إذا ترك الافصاح عن معانيه وأخذ في باب الكناية وهو على الطعام^(٢) بمعنى أنه يقول مثلا : نعم أو لا بصوت غامض (زمزمة) .

(١) أصوات اللغة العربية د . محمد حسن جبل / ٦٢ وهو عن دائرتي

المعارف البريطانية وتشميرزة

(٢) انظر البيان والتبيين ١ / ٣٤ .

وفي الحياة الواقعية التي نعيشها ما يصدق قول الجاحظ إِنَّ المَخَارِجَ لا تَحْصَى ،
وإِنَّ هُنَاكَ مِنَ الأَصْوَاتِ الَّتِي يَتَفَاهَمُ بِهَا مَا لا يُكْتَبُ . (١)

(١) من الأصوات التي تُنطق ولا يصورها الخط ما جاء به
أبو نواس من أبيات تتضمن إشارات تنطق ولا تكتب ، وذلك أن الأمين
ابن هارون الرشيد قد طلب منه أن يضع شعرا لا قافية له ، فارتجل
هذه الأبيات :

ولقد قلت للمليحة قولي من بعيدٍ لمن يُحِبُّكَ :

(إشارة قبله) .

فأشارت بمعصمٍ ثم قالت من بعيدٍ خلافَ قولِكَ :

(إشارة لا لا) .

فتنفستُ ساعةً ثم أنبى قلت للبغل عند ذلك :

(إشارة أمشي) .

فتعجب جميع من حضر من اهتدائه وحسن تأتبه ، وأعطاه الأمين صلوة

شريفة . (انظر كتاب العمدة لابن رشيق ١ / ٣١٠) .

كما ورد في لسان العرب أن هناك أصواتا كثيرة تستعمل

في التعامل مع بعض الحيوانات ، مثل حكاية المتهته ، أي أن (ته ته)

زجر للبعير ودعاء للكلب ، ومنه قوله :

عجبت لهذه نفرت بعيري

وأصبح كلبنا فرحا يجول

يحاذر شرها جملي ، وكلبي

يرجى خيرها ، ماذا تقول ؟

(انظر اللسان مادة (تهته) ١٢ / ٤٨٢) .

.....

=== ف (ته ته) زجر للبعير ينفر منه ، وهي دعاة للكلب .

كما ورد في اللسان أن النقر : " صوت اللسان ، وهو الزاق
طرفه بمخرج النون ثم يصوت به ، فينقر بالذآبة لتسير " . أي أنه
يضع طرف لسانه فوق ثناياه ما يلي الحنك ثم ينقر . (انظر اللسان
مادة (نقر) ٥ / ٢٣٠) .
وقيل : " هو صوت اضطراب اللسان في الفم إلى فوق وإلى
أسفل ، وقد نقر بالذآبة نقرا . وهو صوت يزعجه " . (انظر اللسان
مادة (نقر) ٥ / ٢٣٠) .
هذا هو ما ورد في اللسان عن الأصوات التي تستعمل في التعامل
مع بعض الحيوانات .

فهناك أصوات كثيرة تستعمل في التفاهم بين الناس بعضهم مع بعض ،
أو في تعاملهم مع بعض الحيوانات ، وهي وإن كانت أشبه بالإشارات أو
الرموز ، إلا أنها - نظرا لأنها صوتية ، وتخرج من الفم ، وتستعمل في
التفاهم أحيانا بين الناس - تستحق أن تُدرج بين الأصوات اللفوية
التي لم تُذكر خارجها ، كما أنها يصعب تدوينها بالأبجدية المعروفة .
فالمخارج التي لا تحصى ، والأصوات التي لا تستطيع الخطوط
المعروفة أن تصورها موجودة في لغات كثيرة كالزمزمة والنقر . وذلك ما
ينبه إليه كلام الجاحظ .

(٥) - الحروف الأكثر دوراناً في اللغة ومنهج إحصاء هذه الحروف :

كانت أصوات اللغة العربية مناط اهتمام كثير من الأئمة وتعددت اتجاهاتهم في هذا الاهتمام ، فمنهم من بحث في تحقيق مخارج الحروف وصفاتها . (١)

ومنهم من بحث في ما يتألف وما يتنافر منها (٢) ، ومنهم من اهتم بإحصاء حروف القرآن الكريم (٣) ، ومنهم من اهتم بتعريف الحروف الأكثر دوراناً في اللغة . (٤)

ولعل أقدم اهتمام (رسمي) بإحصاء الحروف هو طلب الحاج بن يوسف الثقفى إلى القراء أن يحصوا حروف القرآن الكريم ففعلوا ذلك . (٥)

ومن الطبيعي أن يستمر الاهتمام بأصوات اللغة العربية في أكثر تلك الاتجاهات إلى اليوم ، لأن اللغة هي صورة حياتنا الفكرية ، ثم إن العربية بصفة خاصة جديرة بمزيد الاهتمام لأنها وعاء القرآن الكريم

(١) انظر مقدمة معجم العين ١/٥٢ . تحقيق د . عبدالله درويش ،

(٢) انظر العين ١/٥٨ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٦٠٠ . تحقيق عبدالله درويش .

(٣) انظر كتاب (بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروز أبادى ١/٥٦٢ إلى ٥٦٦ . وكتاب الفتوحات الإلهية لسليمان الجمل ١/٥٤ ، ٥٥ .

(٤) انظر البيان والتبيين ١/٢٢٢ .

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي (تفسير القرطبي) ١/٦٤ الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية - دار الكاتب العربى ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

والحديث الشريف وهما يمثلان الدستور الخالد للأمة الإسلامية . والذي
يعنينا الآن هو أن الجاحظ اهتم بتبيين الحروف الأكثر دورانا في
اللغة والكلام ، وأنه اختار لذلك منها خاصة غير منهج إحصاءات الجذور
التي أجريت على معاجمنا العربية .

أولا : المنهج الذي اتبعه الجاحظ :

لقد شرع الجاحظ منهاجا قويا في بيان أكثر الحروف دورانا
في اللغة ، وذلك بأن نأخذ عدة رسائل أو خطب من جملة خطب الناس
ورسائلهم ، ثم نحصى حروفها كل شكل على حدة ، وذلك لمعرفة عدد
مرات ورود كل حرف بعينه في كلمات تلك الخطب والرسائل بحيث يتبين
لنا أي الحروف أكثر دورانا في الكلام وفي الكتابة .

ولقد أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين شعرا بين فيه
قائله أي الحروف أكثر دورانا في اللغة والمنهج الذي أتبع في إحصاء
هذه الحروف ، حيث قال الجاحظ : أنشدني ديسم ، قال : أنشدني
أبو محمد اليزيدي :

وَخَلَّةُ اللَّفْظِ فِي الْيَمَامَاتِ إِنْ ذُكِرَتْ

كَخَلَّةِ اللَّفْظِ فِي الْإِمَامَاتِ وَالْأَلْفِ

وَخَصَلَةُ الرَّاءِ فِيهَا غَيْرُ خَافِيَةٍ

(١) فَأَعْرِفْ مَوَاقِعَهَا فِي الْقَوْلِ وَالصَّحْفِ

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٢٢/١ .

فعندما سمع الجاحظ هذه الأبيات استيقظ في داخله روح العالم المفكر ، فأخذ يفكر ويدبر في الأصوات اللغوية حتى تأكد أن الراء والياء واللام والألف من أكثر الأصوات تردداً ودوراناً على السنة الناس والحاجة إليها أشد . ويعتبر هذا الأمر من ملاحظات الجاحظ في مجال الأصوات اللغوية ، لأنه بعد التفكير والتدبر في الأصوات استطاع أن يستخلص المنهج القويم لمعرفة أكثر الحروف دوراناً على السنة الناس حيث قال : " واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب . من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فإنك متى حصلت جميع حروفها ، وعددت كل شكل على حده ، فليمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد . " (١)

ومن هنا نجد أن ملاحظات الجاحظ المتتابعة لما يقرأ أو يسمع ، جعلته يكتشف المنهج الذي بواسطته يستطيع المرء أن يعرف أي الحروف أكثر دوراناً على السنة . فالمنهج الذي اتبعه الجاحظ لدوران الحرف يعتمد على الاستعمال . وأكثر صور الاستعمال وأثبتها للبحث والدراسة هي الخطب والرسائل وما هو من بابيهما .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٢٢/١ .

ثانيا : المنهج الذى اتبعه المحدثون :

لقد أحصى المحدثون عدد مرات اشتراك كل صوت أبجدى في جذور العربية التي في معجم تاج العروس ، سواء أكانت هذه الأصوات ثلاثية أو رباعية أو خماسية . وكان هذا الإحصاء بواسطة الحاسوب (الكمبيوتر) فكانت كالتالي :

الحرف	مرات الورد
ر	٣٢٨٦
ن	٢٥٤٧
ب	٢٥٤٠
ل	٢٤٥٦
م	٢٢٧٨
ع	١٨٨٩
د	١٨٦٢
ق	١٧٨١
س	١٦٩٧
ف	١٦٣٥
ج	١٥٩٥
ش	١٤٠٥
ح	١٣٦٣
ط	١٣٥٨
ك	١٣١٨

مرات الورود	الحرف
١١٩٩	ط
١١٣٧	ز
١١١١	خ
١٠١٣	ت
٩٣١	ص
٨٧٤	أ
٧٩١	غ
٧٧٧	ث
٦٥٨	ن
٥٧٠	ض
٢٥١	ظ

ثالثا : المقارنة بين المنهجين لمعرفة المنهج الأفضل والأدق لمعنى

الدوران :

ذكرنا أنَّ منهج الجاحظ قائم على أساس إحصاء الحروف الواردة في الخطب والرسائل ، حيث قال : " واعتبر ذلك بأن تأخذ عدّة رسائل وعدّة خطب . من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فإنك متى حصّلت جميع حروفها ، وعدّدت كل شكل على حدة علمت أنّ هذه الحروف الحاجة إليها أشد" .^(١) ويقصد بهذه الحروف هي : (اللام ، والياء ، والألف والراء) .

أما منهج المحدثين فقائم على أساس إحصاءات الحروف الواردة في جذور المعاجم . ومن هنا يبدأ الاختلاف ، لأن إحصاءات المحدثين للحرف تعتمد على شيء ثابت وهي الحروف الموجودة في جذور المعاجم . أما الجاحظ فيعتمد على إحصاءات الحروف في النصوص المستعملة بين الناس .

فلو أمعنا النظر قليلا في المنهجين لوجدنا أنّ معنى الدوران والتردد للحرف يكون في الاستعمال ، لأننا لو أحصينا مثلا عدد مرّات ورود (الراء) في أقوال الخطباء وما في الكتب الموجودة ، لوجدنا أنّ (الراء) تتردّ هنا في هذه النصوص المستعملة أكثر مما تتردّ في المعاجم ، لأنّ الكلمات الموجودة في المعاجم محدودة ، فهي قاصرة على أصول الكلمات ، بالإضافة إلى أنّ هذه الكلمات قد أُحصيت بعد تجريدتها من الزوائد ، حيث أعتد فقط على أصل الكلمة .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/٢٢٢ .

أما بالنسبة للنصوص المستعملة في الخطب والرسائل فإنها تحصى دون تجريدتها من الزوائد إضافة إلى أنَّ الإحصاء يشمل مشتقات الكلمة لو ذُكرت معها في السياق ، لذلك نجد أنَّ عدد مرات ورود الحرف في هذه النصوص أكثر من عدد مرات ورودها في المعاجم . وإليك الآن الجدول الذي يوضح الفرق بين المنهجين :

إحصاء تردد الحروف في الجذور المعجمية	إحصاء تردد الحروف في مستعمل الكلام
١ - جذور مجردة	جذور مجردة ومزيدة
٢ - جذور فقط	جذور ومشتقاتها
٣ - الجذر تحسب حروفه مرة واحدة	الجذر تحسب حروفه بعدد مرات استعماله واستعمال مشتقاته في النص
٤ - إحصاء لمادة ثابتة	إحصاء لمادة جارية
٥ - نتيجة الإحصاء ثابتة	نتيجة الإحصاء يمكن أن تتغير تفاصيلها ومعدل الصورة الإجمالية قد يظل ثابتا

ومن هنا يظهر الفرق بين منهج الجاحظ ومنهج المحدثين وذلك من ناحية الدوران للحرف .

فمنهج الجاحظ مع سبقه الذي لا يخفى منهج صحيح متكامل ، فهو أشمل وأدق في التعبير عن كثرة الدوران ، لأنَّ دوران الحرف على

أسنة الناس تظهر من خلال إحصاء ما في خطبهم ورسائلهم ، وعلى هذا يكون الأخذ من الاستعمال أدق وأشمل من الأخذ من إحصائيات المعاجم الجامدة .

ولا شك أنني في تفضيلي لمنهج الجاحظ في إظهار أكثر الحروف دورانا في اللغة عن منهج المحدثين إنما هو ناتج عن شمول منهج الجاحظ ورقته في الإحصاء . وهذا الأمر لا يُنقِصُ من جهود هؤلاء العلماء الأجلاء ، لأنَّ عملهم هذا قيم ومفيد للغة العربية من نواحي أخرى غير الدوران ، والدليل على ذلك أنني قد اعتمدت على إحصائياتهم للمعاجم في معرفة الحروف المتناثرة التي لا تجتمع في الكلمة الواحدة ، وذلك في معرض حديثهم عن تتابع الحروف .

رابعاً : ذكر بعض الإحصاءات القديمة التي أحصت ما في القرآن الكريم

من حروف :

بعد الاستيفاء من عرض المنهجين والمقارنة بينهما يطيب لي

الآن أن أقوم بعرض بعض النماذج التي أحصت ما في القرآن الكريم من حروف . ويكون هذا الإحصاء بمثابة مَثَلٍ واستشهاد لما يريد الجاحظ عن كيفية إحصاء الحروف في النصوص المستعملة وذلك لبيان أكثر الحروف تردداً في اللغة .

ومن النصوص التي اعتمدت عليها هنا ، نص في كتاب (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزآبادي حيث وردت فيه رواية لعبد الواحد الضرير ، ورواية لأبي الفضائل المعيني ، وكلا الروايتين كانت تحصي حروف القرآن الكريم .^(١)

وهناك أيضاً نص للإمام النسفي في كتابه (مجموع العلوم ومطلع النجوم) وفيه تحدث عن تفصيل حروف القرآن .^(٢)

وعندما رتبت الحروف في النصوص الثلاثة ترتيباً تنازلياً ونظرت إلى العشرة الحروف الأولى ، اتضح لي صدق ما قاله الجاحظ من أن الأحرف الأربعة وهي (اليا ، واللام ، والالف ، والراء) من أكثر الحروف تردداً في اللغة ، والحاجة إليها أشد .

وفيما يلي عرضٌ شاملٌ للإحصاءات الثلاثة التي أحصت ما في

القرآن الكريم من حروف :

(١) انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ١/٥٦٢ إلى ٥٦٦ .

(٢) لقد ورد نص الإمام النسفي في كتاب (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير

الجلالين للدقائق الخفية) تأليف سليمان الجمل ١/٤٠٥ .

(١) - الترتيب التنازلي لحروف القرآن الكريم في رواية عبد الواحد الضمير:

الحرف	عدد مرات وروده في القرآن الكريم
أ	٤٨٨٠٠
ل	٣٣٥٢٢
و	٢٦٥٦٥
ن	٢٦٥٢٥
م	٢٦١٣٥
ى	٢٥٩٠٩
هـ	١٩٠٧٠
ر	١١٧٩٣
ب	١١٢٠٢
ك	١٠٣٥٤
ت	١٠١٩٩
ع	٩٠٢٠
ف	٨٤٩٩
ق	٦٨١٣
س	٥٨٩١
د	٥٦٤٢
ذ	٤٦٩٩
لا	٤٠٩٩
ح	٣٩٩٠

الحرف	عدد مرات وروده في القرآن الكريم
ج	٣٢٢٣
خ	٢٤١٦
ط	٢٢٢٤
ث	٢٢٥٣
في	٢٢٠٩
غ	٢٢٠٨
ز	١٥٢٠
س	١٤٧٦
ي	١٠٨١
ظ	٨٤٢

(٢) - الترتيب التنازلي لحروف القرآن الكريم في رواية أبي الفضائل المعيني:

الحرف	عدد مرات وروده في القرآن الكريم
أ	٤٨٠٩٢
ن	٤٥١٠٩
ل	٣٣٥١٢
م	٢٦٧٥٥
ى	٢٥٩١٩
و	٢٥٥٨٦
ط	١٦٠٧٠

عدد مرات وروده في القرآن الكريم	الحرف
١٢٤٢٨	ب
١٢٢٤٦	ر
١٠٥٢٨	ك
٩٤١٧	ع
٨٤١٩	ف
٦٢١٣	ق
٥٩٩٦	ي
٥٩٧٨	و
٤٩٣٩	ن
٤٩٠٩	لا
٤٣٢٢	ج
٤١٣٠	ح
٣٠٣٦	ز
٢٥٠٥	خ
٢٤٠٤	ت
٢٢٧٤	ط
٢١١١	ث
٢٠٣٧	ض
١٦٧٢	ص
١٢١٧	غ
١١٠٥	ث
٨٤٢	ظ

(٣) - الترتيب التنازلي لحروف القرآن الكريم في نص الإمام النسفي :

الحرف	عدد مرات وروده في القرآن الكريم
أ	٤٨٧٤٠
ل	٣٣٩٢٢
م	٢٨٩٢٢
هـ	٢٦٩٣٥
ى	٢٥٧١٧
و	٢٥٥٠٦
ن	١٧٠٠٠
لا	١٤٧٠٧
ب	١١٤٢٠
ث	١٠٤٨٠
ف	٩٨١٣
ع	٩٤٧٠
ق	٨٠٩٩
ك	٨٠٢٢
د	٥٩٩٨
س	٥٧٩٩
ز	٤٩٣٤
ح	٤١٣٨
ج	٣٣٢٢

الحرف	عدد مرات وروده في القرآن الكريم
ص	٢٧٨٠
خ	٢٥٠٣
ر	٢٢٠٦
ش	٢١١٥
ض	١٨٨٢
ز	١٦٨٠
ت	١٤٠٤
غ	١٢٢٩
ط	١٢٠٤
ظ	٨٤٢

لوتأملنا العشرة الحروف الأولى في النصوص الثلاثة ، لوجدنا أنّ الألف قد تصدرت قائمة هذه الجداول الثلاثة لأنها من أكثر الحروف ترددا في هذا النص الكريم .

كما وردت (اللام ، والياء ، والراء) من ضمن العشرة الحروف كثيرة التردد ، مع اختلاف ترتيبها وأعداد ترددها ، إلا أنّ هناك اختلافا في نص الإمام النسفي بالنسبة للراء ، حيث وردت متأخرة عن العشرة الحروف الأولى باحد عشر حرفا ، وهي بذلك مخالفة لما في رواية عبد الواحد الضرير وأبي الفضائل المعيني ، فقد وردت عندهما من ضمن العشرة الحروف الأولى .

كما أجمعت جميع الإحصاءات القديمة والحديثة على أنّ حرف
(الظاء) من أقل الحروف ترددا في اللفظة.

ونجد في مقدمة اللسان ما يؤيد إحصاءات العلماء للنص
الكريم ، حيث قال ابن منظور : " إنّ من الحروف ما يتكرر ويكثر في الكلام
استعماله ، وهو : أ ل م ه و ي ن ، ومنها ما يكون تكراره
دون ذلك ، وهو : ر ع ف ت ب ك د س ق ح ج ،
ومنها ما يكون تكراره أقل من ذلك ، وهو : ظ غ ط ز ث
خ ض ش ص ز " (١) ، فهذا الذي ذكره ابن منظور يؤيد
إحصاءات الأئمة للقرآن الكريم ، وبالتالي يكون هذا تأييدا لما أراد
الجاحظ من أنّ (الألف ، والياء ، واللام ، والراء) من أكثر الحروف
دورانا في اللفظة ، ومنهجه في ذلك مأخوذ من الاستعمال ، وأكثر
الاستعمال يكون في الخطب والرسائل وما هو من بابيهما .

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ١/١٤٠ .

(٦) - الامتحانات الصوتية :

لقد تنبه الجاحظ ونبهنا إلى فكرة الامتحانات الصوتية وذلك من خلال دراساته لحروف الكلام وحكمها إذا تمكنت في الألسنة فهو يرى "أن السندى إذا جلب كبيراً فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا ولو أقام في عليا تميم ، وفي سفلى قيس ، وبين عجز هوازن خمسين عاماً" (١)

وكذلك الأمر بالنسبة للنبطي القح الذي يجعل الزاي سينا ، والعين همزة . ولقد ذكر الجاحظ : " بأن النخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة بأن تقول ناعمة ، وتقول شمس ثلاث مرات متواليات" (٢)

فالجاحظ يريد أن يبين هنا بأن الجارية الرومية لا تستطيع أن تنطق كلمة (ناعمة) و (شمس) ثلاث مرات متواليات ، دون أن تجعل العين همزة ، فتقول في ناعمة (نائمة) . وأن تجعل الشين في (شمس) سين ، فتقول : (سمس) . فلوزعم أهلها أنها مولدة ، فإن هذا الامتحان الصوتي ممكن أن يكشف عن هويتها ، مهما حاولت أن تنطقه بطريقة صحيحة ، لأن عادة المنشأ لا بد وأن تظهر عليها ، بدليل ما ذكره الجاحظ من أن السندى الذي يُجلب كبيراً لا يستطيع أن ينطق الحروف صحيحة حتى ولو مكث خمسين عاماً بين القبائل العربية .

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٧٠/١ ،

(٢) نفس المرجع ٧١/١ .

فطريقة نطق السُّنْدِيَّ لبعض الحروف دَلَّتْ على جنسه ، لأنَّ
كُلَّ جنس له عاداته اللغوية تبعاً للفتة الأصلية . وكذلك الأمر بالنسبة
للنبطيِّ والروميِّ .

وفكرة الامتحان الصوتي التي ذكرها الجاحظ فكرة موحية
إِنَّ أَنْ مِثْلَ هَذَا الامتحان الصوتي يمكن أَنْ يُسْتَفْلَ الآن لكشف
جنسية الشخص ولو بشكل عام قياساً على امتحان الجوارى الذي ذكره
الجاحظ .

كما أنه يمكن أَنْ يُجرى لمن يتقدمون لوظائف التدريس للأطفال
تجنباً لتولي المصابين بعيوب نطقية فاحشة لهذه الوظيفة ، لأنَّ الأطفال
يتأثرون بمدرسهم وقد يقلدونه في نطقه فتفسد لغتهم .

(٧) - بعض الدراسات المقارنة في الأصوات :

للجاحظ ملاحظات طيبة تدخل في مجال الدراسات المقارنة للأصوات ، فمنها ما لاحظته هو ، ومنها ما أورده من أقوال العلماء .

(أ) - فمن ملاحظاته قوله : " ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنعواستعمال الروم للسين ، واستعمال الجرامقة للعين " . (١)

أي أنه لاحظ أنَّ الروم تكثر من استخدام حرف (السين) في كلامها واستعمالاتها اللغوية .

كما أنَّ الجرامقة (وهم طائفة الكلدانيين ، أو الصابئة) يكثر من استعمال حرف (العين) في كلامهم .

ولا شك أنَّ هذه الملاحظة لا تصدر عن الجاحظ إلا بعد إتمام النظر إلى تلك اللغات ، يشبه المقارنة .

ثم إنَّه يُستخلص من سياق ما ذكره الجاحظ أنَّ هناك لغات أخرى لها حروف تدور في أكثر كلامها ، ولكنه لم يشر إليها ، واكتفى بما أورده كمثل بالنسبة للروم والجرامقة .

ولقد استخلصت هذا الرأي من خلال قوله : " لكل لغة ... بمعنى كل اللغات أو معظمها . وأيضاً من خلال قوله : (كنعوا ...) أي كأنَّه قد ذكر الروم والجرامقة على سبيل المثال لا الحصر .

(ب) - كما أورد الجاحظ قول الأصمعي : " وليس للروم ضاٲٲ ، ولا للفرس ثاٲٲ ، ولا للسرياني ذال " . (٢)

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/٦٤٠ .

(٢) المرجع نفسه ١/٦٥٠ .

فلو أنعمنا النظر قليلا فيما قاله وأورده ، لظهر لنا مدى اهتمامه الكبير باللغات الأخرى إلى جانب اللغة العربية . حيث نجده قد قارن بين اللغات المعروفة في ذلك الوقت ، فاستخلص بذلك أهم خصائصها وأصواتها اللغوية التي تستخدمها وتكثر في استعمالاتها ولفتها .

وهذا دليل آخر على مدى اهتمامه باللغات والأصوات ، حيث نجده قد ألمَّ بدراسات الأئمة السابقين في هذا المجال ، وقد أورده في كتابه كاستشهاد وتأيد لما قاله ووصل إليه من دراسات صوتية . فهو هنا قد بيّن من خلال ما أورده عن الأصمعي أنّ الروم لا تستخدم حرف (الضَّادِ) في لفتها نهائيا ، إلى جانب كونها تُكْرَمُن استعمال حرف (السين) .

أمّا السريانيون فإنهم لا يستعملون حرف (الذال) في كلامهم ولفتهم ، وإنما يكثرون من استعمال حرف (العين) .
أمّا بالنسبة للفرس فإنهم لا يستعملون حرف (الثاء) في كلامهم نهائيا . مع العلم بأنّ كل هذه الحروف التي لم ترد عندهم ، قد وردت في اللغة العربية ، وهذا دليل على شمول هذه اللغة واتساعها .
وأخيرا ، أرجو أن يكون هذا الذي ذكرناه سابقا ، قد وضح بعض جهود الجاحظ في مجال الدراسات المقارنة للأصوات .

(٨) - إحياءات الأصوات :

إنَّ اهتمام الجاحظ بالأصوات اللغوية ودراسته لها دراسة عميقة ، جعله يهتم بكل خصائصها ودلالاتها وإحيائها ، ويتقصى كل ما يقال عنها ، حيث اعتمد في دراسته للأصوات على ثلاثة روافد منها :
ما رواه غيره ووصل إليه من ملاحظات في مجال الدراسة الصوتية .
ولقد سبق أنَّ أشرت إلى هذه الروافد الثلاث فيما سبق . (١)

ومن الدراسات الصوتية التي رواها عن غيره هو ما أورده في كتابه عن المحاورة التي جرت بينه وبين الشيخ الإباضي في مسألة كراهية هذا الشيخ للشيعة . حيث قال الجاحظ : " قلت : وما أنكرت من التشيع ومن ذكر الشيعة ؟ قال : أنكرت منه مكان (الشين) التي في أول الكلمة ، لأنِّي لم أجد الشين في أول كلمة قط ، إلا وهي مسخوطة مثل : شوهم ، وشتر ، وشيطان ، وشغب (٢) ، وشح ، وشمال ، وشجن (٣) ، وشيب وشين (٤) ، وشراسة ، وشنج (٥) ، وشك ، وشوكة ، وشبث (٦) ، وشرك ، وشارب (٧) ، وشطير (٨) ، وشطور (٩) ، وشعرة (١٠) ، وشاني (١١) "

- (١) انظر ما قيل سابقا عن منهج الجاحظ في الوصول إلى الحقائق الصوتية ص ٨٩ .
- (٢) تهيبج الشر والفتنة والخصام (انظر اللسان مادة شغب) ٥٠٤ / ٦
- (٣) الهم والحزن (انظر اللسان شجن) ٢٣٢ / ١٤
- (٤) وهو خلاف الزين أي العيب القبيح (انظر اللسان شين) ٢٤٤ / ١٣
- (٥) الشنج : تقبض الجلد . وهذا المعنى ذكره محقق الحيوان (د . عبد السلام هارون) .
- (٦) الشبث : العنكبوت أو دُويبة كثيرة الأرجل . (انظر ما ذكره محقق الحيوان د . هارون) .
- (٧) الشارب : مولى بالشراب ، كخمير (انظر اللسان مادة شرب) ٤٨٨ / ٦
- (٨) الشطير : الغريب . وأيضا البعد (انظر اللسان شطر) ٤٠٨ / ٤
- (٩) الشطور : إذا نزع عنهم وتركهم مراغما أو مخالفا وأعياهم خبثا . (انظر اللسان شطر) ٤٠٨ / ٤
- (١٠) الشعرة : المراد بها شعر العانة (د . هارون) .
- (١١) الشاني : المبهض العدو .

- وشم ، وشتيم (١) ، وشيطرَج (٢) ، وشنعه (٣) ، وشناعة (٤) ، وشامة (٥) ،
 وشوصة (٦) ، وشر (٧) ، وشجوب (٨) ، وشجه (٩) ، وشطون (١٠) ،
 وشاطن (١١) ، وشن (١٢) ، وشلل ، وشيش (١٣) ، وشاطر (١٤) ،
 وشاطره ، وشاحب .

قلت له : ما سمعتُ متكلمًا قطُّ يقول هذا ولا يبُلغه ، ولا يقومُ
 لهوًا لا القوم قائمة بعد هذا . (١٥)

- (١) الشتم : الكره الوجه .
 (٢) الشيطرَج : نبت يوجد بالقبور الخراب ، ورائحته ثقيلة وحادة ،
 وطعمه مر (د . هارون) .
 (٣) الشنعة : سبه ، وقيل استقبحه وسئمه (انظر اللسان شنع) ١٨٧ / ٦
 (٤) الشناعة : الفظاعة والقبح (انظر اللسان شنع) ١٨٦ / ٨
 (٥) الشامة : من الشووم ، ضد اليمنة واليمنة (د . هارون) .
 (٦) الشوصة : وجع في البطن ، أو ريح في الأضلاع أو ورم في
 حجابها . (د . هارون) .
 (٧) الشر : القطع ، أو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشاقه .
 (٨) الشجوب : العطب والهلاك ، والحزن (انظر اللسان شجب) ٤٨٣ / ١
 (٩) الشجة : قصاص شعره (انظر اللسان شجج) ٣٠٤ / ٢
 (١٠) الشطون : البعيدة (د . هارون) .
 (١١) الشاطن : الخبيث .
 (١٢) الشن القرية الخلق الصغيره (د . هارون) .
 (١٣) الشيش : أردأ التمر ، ووجع الضرس أو البطن (د . هارون) .
 (١٤) شاطر : الذي أعيأ أهله وموؤدبه خبثا ، أو اللص .
 (١٥) انظر الحيوان للجاحظ ٠٢٢ / ٣

فهذه المحاورة التي جرت بين الجاحظ والشيخ الإباضي أبرزت فكرة استيحاء المعاني من جرس الصوت الأبعدي ، وذلك مثل الشيخ الإباضي الذي يكره الشيعة لكرهته لحرف الشين الموجودة فسي أول اسمهم ، لأنه يرى أَنَّ الكلمة التي تبدأ بها لا تدل على خير أبدا ، حيث أَنَّ معظم الكلمات التي أوردها وكانت تبدأ بحرف الشين تدل على معنى سيء وخبيث ، ومن أجل هذا الأمر كره الشيعة .

ولم يعلل هذا الأمر تعليق يسير وهو أن هذا الاعتقاد غير صائب لأن هناك كلمات كثيرة تبدأ بحرف الشين ولكنها في معنى الخير وذلك مثل الشوق ، والشبع ، والشهامة ، والشحم ، والشباب ، والشحم والشهاب والشهداء ، والشدة ضد الضعف . . . وغيرها واعتقد أن هذا الاعتقاد الخاطيء للشيخ الإباضي ناتج عن كراهته للشيعة وقد صادف ذلك هوى في نفس الجاحظ .

(٩) تعليل تنوع الأصوات اللغوية وكثرة الألفاظ :

لقد أورد الجاحظ رأي الهندي في سبب اختلاف كلام الناس من حيث اللين والشدة والمد والقَطْع حيث قال : " وتزعم الهند أن سبب ما له كثير كلام الناس واختلفت صور ألفاظهم ، ومخارج كلامهم ، ومقادير أصواتهم في اللين والشدة وفي المد والقَطْع - كثيرة حاجاتهم . ولكثرة حاجاتهم كثرت خواطرهم وتصاريف ألفاظهم ، واتسعت على قدر اتساع معرفتهم " . (١)

أي أَنَّ حاجة الإنسان هي السبب في تولد هذه المخارج والصور من الألفاظ ، فإتساعها يكون على قدر اتساع معرفتهم وحاجاتهم . ولقد وضع الجاحظ هذا الرأي ، بما أورده من قول أحدهم عن السنانير ، حيث قال : " قالوا : فحوائج السنانير لا تعدو خمسة أوجه : منها صياحها إذا ضربت ، ولذلك صورة . وصياحها إذا دعت أخواتها وآلها ، ولذلك

صورة . وصياحها إذا دعت أولادها للطعم ، ولذلك صورة . وصياحها إذا
جاعت ، ولذلك صورة . فلما قلت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلت :
وجوه مخارج الأصوات . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها . (١)

إنّ تفسير تنوع أصوات اللفظة وصور ألفاظها ، وكثرة تلك الألفاظ
بكثرة حاجات الناس فكرة طريفة وصادقة معا ، لأنّ اللفظة إنّما
وجدت للتعبير عن أغراض الناس وحاجاتهم (٢) . فكما اتسعت الأغراض
والحاجات وتنوعت اقتضى ذلك تنوع التعبير واتساعه . وهذه الفكرة
تُحسب للجاحظ بالرغم من نسبه إياها للهند ، لأنّ استحضارها واستثمارها
في مجالها يعني قبوله إياها وآتته جعلها ضمن مخزون ثقافته .

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٢٢/٤ .

(٢) عرّف ابن جنّي اللفظة بأنّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم .

انظر الخصائص تأليف أبي الفتح عثمان بن جنّي تحقيق محمد علي

(١٠) - العلة في صعوبة بعض اللغات وسهولتها:

لقد ذكر الجاحظ أنّ صعوبة اللغة أو سهولتها راجع إلى ائتلاف أصواتها وألفاظها ، لأنّ سلاسة اللغة وخفة الفاظها لها أكبر الأثر في سهولة هذه اللغة على الألسن . حيث قال الجاحظ :

" واللغات إنّما تشدُّ وتعسر على المتكلم بها على قدر جهله بأماكنها التي وضعت فيها ، وعلى قدر كثرة العدد وقلته ، وعلى قدر مخارجها ، وخفتها وسآسها ، وثقلها وتعقدّها في أنفسها ، كقرق ما بين الزنجي والخوزي ، فإن الرجل يتنخّس في بيع الزنج وابتياعهم شهرا واحدا ، فيتكلم بعامة كلامهم ، ويبايع الخوز ، ويجاورهم زمانا فلا يتعلّق منهم بطائل " (١)

يريد الجاحظ أن يبيّن أنّ العلة في صعوبة بعض اللغات وتعسرها على المتكلم راجع إلى عدّة أمور منها : جهله بأماكن هذه اللغات ومواطنها التي نشأت فيها ، ولعله يقصد بهذا جانب الدلالة حيث إنّ اللغة تصور بيئتها ، فإذا لم يعرف المرء تلك البيئة صعب عليه الاهتداء إلى حقيقة المراد بهذا اللفظ وهذا التعبير أو ذاك .

ومنها تعقد هذه اللغات وثقلها على الألسن نتيجة لصعوبة مخارجها وألفاظها وذلك من تركيبها من حروف متنافرة أو متقاربة الأجراس بحيث تلتبس على غير أهلها ، وأيضا قد ترجع الصعوبة إلى كثرة العدد وقلته ، والمقصود كثرة عدد الألفاظ والمترادفات وتشعب معانيها .

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٥/٢٨٩ .

أما بالنسبة لسهولة اللغة وسلاستها ، فإنه راجع إلى خفة
ألفاظها وذلك من حيث تركيبها من حروف غير متنافرة ، أو معرفة أماكن
هذه اللغات ومواطنها ، أو لسهولة مخارجها وألفاظها ، وأيضا معرفة
كل ما يطرأ عليها من تغيرات ، فاللغة العربية مثلا لو عرف الإنسان بيئتها
الأصيلة وألفاظها المعتبرة عن تلك البيئة ، كما عرف
مرادفاتنا والمعاني التي تندرج تحت كل لفظ ، لسهل عليه الأمر
واستطاع أن يستوعب هذه اللغة وينطقها بسهولة . والدليل على سلاسة
اللغة العربية وخفة ألفاظها هو سرعة تعلم الناس الداخلين في الاسلام
لها من الفرس والروم وغيرهم .

كما نجد أن كثيرين من الأئمة الذين برزوا في هذه اللغة
وأصبحوا من أجل علماءها وباحثيها كانوا من غير العرب .
ومع ذلك نجدهم قد فاقوا بعض العرب في معرفتهم بهذه
اللغة وبخصائصها .

ولقد أتى الجاحظ بمثالين يوه كد بهما رأيه في صعوبة
بعض اللغات وسهولتها ، فذكر أن لغة الخوز صعبة وعسيرة لدرجة
أن من يجاورهم زمنا طويلا لا يتعلق منهم بطائل .
كما ذكر بأن لغة الزنج سهلة وخفيفة يستطيع المرء أن يتكلم
بعامة كلامهم لو مكث معهم شهرا واحدا .

(١١) - أشر التدریب فی تعلم اللغة :

لقد ذكر الجاحظ بأن اللغة وسيلةٌ يمكن للمرء اكتسابها وتعلمها عن طريق التدریب والمثابة .

ولقد نوه بذلك في قوله : " وعلى أنك قد تعلم الطير ،
الاصوات فتتعلم ، وكذلك يعلم الإنسان الكلام فيتكلم ، كتعليم الصبي
والاصمى " . (١)

وقال : " وقد علم الله اسماعيل منطق العرب بعد أن كان
ابن أربع عشرة سنة ، فلما كان ذلك على غير التلقين والتأديب والاعتبار
والترتيب والمنشأ ، صار ذلك برهاناً ودلالةً وأعجوبةً وآيةً " . (٢)

كما أورد قول الله عز وجل مخبراً عن سليمان : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ (٣) إلى جانب قوله : " إذا ترك الإنسان القول
ماتت خواطره ، وتبلدت نفسه ، وفسد حسه ، وكانوا يروون صبيانهم
الأرجاز ، ويعلمونهم المناقلات ، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب ،
لأن ذلك يفتح اللهاة ويفتح الجرم " . (٤)

كما ذكر أشر التدریب في اللشفة التي على الغين ، حيث قال :
" فأتما التي على الغين فهي أيسرهن ، ويقال إن صاحبها لو جهد نفسه

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٥٧/٧ ، ٥٨٠

(٢) نفس المرجع ٥٨/٧

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) البيان والتبيين ١/٢٧٢

جَهْدَهُ ، وَأَحَدَ لِسَانِهِ ، وَتَكَلَّفَ مَخْرَجَ الرَّاءِ عَلَى حَقِّهَا وَالْإِفْصَاحَ بِهَا ،
لَمْ يَكُ بَعِيدًا مِنْ أَنْ تَجِيِبَهُ الطَّبِيعَةُ وَيُوْءِ ثَرِ فِيهَا ذَلِكَ التَّعْهَدُ أَشْرًا
حَسَنًا . (١)

وقال : " كانت لشفة محمد بن شبيب المتكلم ، بالفين ،
فإذا حَمَلَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمَ لِسَانِهِ أَخْرَجَ الرَّاءَ عَلَى الصَّحَّةِ فَتَأْتِي لَهُ ذَلِكَ ،
وَكَانَ يَدْعُ ذَلِكَ اسْتِثْقَالًا . أَنَا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُ . " (٢)

نَخْلُصُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ إِلَى أَنَّ اللِّغَةَ كَفِيرُهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُعْرَفُ
وَتُكْتَسَبُ بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّدْرِيبِ ، لِأَنَّ المَثَابِرَةَ عَلَى التَّلْقِينِ وَالتَّأْدِيبِ وَالاِعْتِيَادِ ،
لَا بَدَّ وَأَنَّ يَعْطِينَا نَتِيجَةَ حَسَنَةً وَجَيِّدَةً .

وَلَا يَقْتَصِرُ التَّدْرِيبُ وَالتَّعَلُّمُ عَلَى الْإِنْسَانِ فَقَطْ ، بَلْ يَتَعَدَّاهُ إِلَى
الطَّيْرِ أَيْضًا حَيْثُ ذَكَرَ الْجَاحِظُ بِأَنَّ الطَّيْرَ قَادِرٌ عَلَى تَعَلُّمِ الْأَصْوَاتِ وَحَكَايَتِهَا
إِذَا مَا دُرِّبَهُ الْإِنْسَانُ عَلَى ذَلِكَ وَلَقِّنَهُ .

وَالَّذِي يُوْءِ كَدَّ أَثَرِ التَّدْرِيبِ فِي تَعَلُّمِ اللِّغَةِ هُوَ مَا ذَكَرَهُ الْجَاحِظُ
عَنْ تَعَلُّمِ إِسْمَاعِيلَ لِمَنْطِقِ الْعَرَبِ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ : (فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ عَلَى
غَيْرِ التَّلْقِينِ وَالتَّأْدِيبِ وَالاِعْتِيَادِ وَالتَّرْتِيبِ وَالْمُنْشَأِ ، صَارَ ذَلِكَ بَرَهَانًا
وَدَلَالَةً وَأَعْجُوبَةً وَأَيَّةً) . يَرِيدُ أَنَّ الَّذِي يَتَعَلَّمُ اللِّغَةَ مِنْ غَيْرِ تَدْرِيبٍ
وَتَّلْقِينِ وَاعْتِيَادٍ ، يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَالْأَعْجَابِ الَّتِي تَكُونُ مِنْ

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ٣٦٠ .

(٢) نفس المرجع ١ / ٣٧٠ .

صنع الله سبحانه وتعالى ، لتكون آية للناس . حيث علّم الله سبحانه
وتعالى سليمان عليه السلام منطق الطير ، وعلّم إسماعيل عليه السلام منطق
العرب ، وذلك من غير تدريب وتلقين . وهذه آية من آياته سبحانه .

ولذلك نجد أنّ العرب قد فطِنوا لأثر التدريب في التعلُّم
لذلك كانوا يروّون صبيانهم الأُرجاز ويدربونهم عليها ، كما يَعلمونهم
المُنَاقلات ، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب حتى تتعود حلوقهم
على النطق الصحيح .

كما أنّ علاج بعض العيوب النطقية يكون بالتدريب والمثابرة
والجهد ، حيث إنّ التدريب ولا شك ، سوف يعطينا نتيجة مرضية فسي
إزالة العيوب النطقية وتعلم اللغة .

(١٢) - اهتمام الجاحظ بأصوات الحيوانات :

لم تقتصر جهود الجاحظ على دراسة الأصوات اللغوية عند البشر فقط ، بل تعدتها إلى دراسة الأصوات عند الحيوانات ، وذلك لمعرفة ما يتأتى في أصواتها من الحروف ، ومدى مقدرتها على تقليد الأصوات ، وفهمها للكلام وتأثرها بها ، إلى جانب تسمية بعض الناس لهذه الحيوانات بأصواتها ، وغير ذلك من الاهتمامات الأخرى التي تطرقت لها الجاحظ . وأكبر دليل على جهوده في هذا المجال ، ما ذكره في كتابه (الحيوان) من دراسات وملاحظات له أول غيره ، أظهرت مدى اهتمامه بهذا النوع من الدراسة .

وسيكون الحديث في هذا الموضوع من عدة نواحي :

أ - ما يتأتى في أصوات الحيوانات من الحروف :

لقد تعرض الجاحظ كثيرا لمسألة الحروف التي تتأتى من أفواه بعض الحيوانات والطيور وذلك في كتابيه (الحيوان) و (البيان والتبيين) وبين أن لعرضي اللسان تأثيرا في ذلك حيث قال : " زعم صاحب المنطق في كتاب الحيوان أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين ، وأحكي لما يلقن ولما يسمع ، كبحو الببغاء والفُداف وغراب البين " (١) . وذكر أرسطو أن

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/٦٢ .

• الطائر العريض اللسان يُنغم ببعض حروف الكتاب أكثر من الطائر الضيق اللسان . (١)

كما ذكر الجاحظ أنّ الهنود يزعمون أنّ الفيل لولا أنّه مقلوب اللسان لكان أنطق من كلّ طائر يتهيأ في لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة . (٢)

ومن الحيوانات والطيور التي يتهيأ منها الأصوات اللغوية: الببغاء ، والسّنور ، والشاة ، والعندليب ، والغراب ، والقطا ، والكلب . ونجد أنّ الجاحظ قد حدّد الأصوات اللغوية التي تتهيأ من أفواه هذه الحيوانات والطيور ، ولم يحدّد البعض الآخر حيث اكتفى بالتنويه إلى أنّه يتأتى منها أصوات لغوية ، دون التعرض لهذه الأصوات .

وسوف أعرض الآن لما ذكره الجاحظ عن هذه الحروف التي تتأتى من أصوات بعض الحيوانات والطيور ، وأول هذه الأصوات اللغوية: الألف :

لقد ذكر الجاحظ أنّ الألف من الأصوات اللغوية التي تتهيأ من أصوات بعض الحيوانات والطيور ، حيث ذكرها ضمن صوت

(١) انظر كتاب (أجزاء الحيوان) لأرسطو طاليس ص ١٧٠ . ترجمة

يوحنا بن البطريق . تحقيق د . عبدالرحمن بدوي الطبعة الأولى . ١٩٧٨ م ، الكويت .

(٢) انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/٦٤ .

(القَطَا) و (الشَّيَاه) ، فقال : " فلما تَهَيَّأَ لِلقَطَاةِ ثَلَاثَةُ أَحرفٍ :
قَاف ، وِطَاءٌ ، وَأَلْفٌ ، وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ صَوْتُهَا ، سَمَّوْهَا بِصَوْتِهَا ، ثُمَّ زَعَمُوا
أَنَّهَا صَادِقَةٌ فِي تَسْمِيَّتِهَا نَفْسَهَا قَطَاً " . (١)

وقال عن الشاة : " وَالذِي تَهَيَّأَ لِلشَاةِ قَوْلُهَا : مَا ، وَلِذَلِكَ
قَالَ ذَوَالرَّمَّةِ :

لَا يَرْفَعُ الصَّوْتُ إِلَّا مَا تَخَوَّنَهُ

(٢)
دَاعٍ يناديه باسم (الماء) مَبْفُومٌ

الطاء :

ذكر الجاحظ أَنَّ حَرَفَ (الطاء) من الحروف التي تتأْتى من
طائر القَطَا . وقد سبق أَنَّ أَشْرَنَّا إِلَى ذَلِكَ فِي حَرَفِ الألف .

العين غير المعجمة :

ذكر الجاحظ فِي كِتَابِيهِ : الحَيَوَانَ ، وَالْبَيَانَ وَالتَّبْيِينَ ، أَنَّ حَرَفَ
(العَيْن) من الحروف التي تتأْتى من أفواه الكلاب ، حيث قال : " وَقَدْ
تَهَيَّأَ لِلكَلْبِ مِثْلُ : عَفْ عَفْ ، وَوَوْ وَوْ ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ " . (٣)

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٢٨٧/٥ .

(٢) نفس المرجع ٢٨٧/٥ .

تخونه : تعهده ، أى تتعهد به بالنظر إليه .

مبفوم : يعني صاحته إلى ولدها بأرغم ما يكون من صوتها .

(٣) انظر الحيوان للجاحظ ٢٨٨/٥ .

وقال أيضا : " ويتهَيَّأُ من أفواه الكلابِ العينات والفاوات
والواوات ، كتحو قولها : وَوَوْوُ ، وكنحو قولها : عَفَّ عَفَّ " . (١)
يتضح من ذلك أَنَّ حرف (العين) من الحروف التي ذكر الجاحظ
بأنها تصدر من أفواه الكلاب .

الفاء :

ذكر الجاحظ أَنَّ (الفاء) من الحروف التي تتأْتى من أفواه
الكلاب أيضا ، وذلك كنحو قولها : عَفَّ عَفَّ .
وهذا قد سبق ذكره في حرف العين .

القاف :

ذكر الجاحظ أَنَّ (القاف) من الحروف التي تتهَيَّأُ من فم
القطاة والغراب . ولقد سبق أَنَّ أشرنا إلى القطاة . أما الغراب فهو
من الطيور التي ذكر الجاحظ بأنه يتهَيَّأُ منه أصوات لغوية كثيرة
وذلك في قوله : " يتهَيَّأُ لبعض الغرَّبان من الحروف والحكاية
ما لا يعشُرُه البيفاء " . (٢)

وقال : " وتهَيَّأُ للغرابِ القاف " . (٣)

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/٦٤ .

(٢) انظر الحيوان للجاحظ ٥/٢٩٠ .

(٣) نفس المرجع ٥/٢٨٩ .

فلو نظرنا إلى هذين القولين لوجدنا أَنَّهُ قد ذكر بَانَ الغراب
تصدر منه حرف القاف إلى جانب حروف كثيرة حتى إِنَّ الببغاء لا يأتي
عُشَرَ الغراب من ناحية إصدار الحروف . وبالرغم من ذلك لم يذكر الجاحظ
من الحروف التي تنتهيًا من الغراب إلا القاف ، ولعل السبب في ذلك
راجع إلى مدى وضوح هذا الحرف في صوت الغراب ، وذلك عندما يصيح
(غاق غاق) (١) ، الأٌمر الذي جعله يأتي بهذا الحرف كمثل لهذه
الحروف الكثيرة .

الميم :

ذكر الجاحظ أَنَّ (الميم) من الحروف التي تنتهيًا من أفسواه
الحيوانات ، فقد تأتي هذا الحرف من فم الشاة في قولها : (ما ، أو
ماء ، أو ماه) . وقد ذكرت هذا في أثناء ذكرى لحرف الألف . مع
ذكرى الشاهد الشعري الذي ذكره الجاحظ في معرض حديثه عن الشاة
وما ينتهيًا منها .

الهاء :

ذكر الجاحظ أَنَّ (الهاء) من الحروف التي تنتهيًا من فم
الشاة في قولها : (ماه) ، وقد سبق ذكر هذا الموضوع في حـرف
(الألف) و (الميم) .

(١) لقد ذكرني بعض نسخ الحيوان للجاحظ أن صوت الغراب (غاق
غاق) وهو مختوم بالقاف كما نرى ، ولعل هذا ما يقصده
الجاحظ .

الواو :

ذكر الجاحظ أَنَّ (الواو) من الحروف التي تتأْتى من أفواه الكلاب ، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك .

وقال أيضا : " قيل لصبي يلعب على بايهم : مَنْ أبوك يا غلام ؟ وكان اسم أبيه كلباً - فقال : وَو وَو " (١)

يتضح مما سبق أَنَّ الحروف التي ذكر الجاحظ أنها تتأْتى من أفواه الكلاب هي : (العين ، والفاء ، والواو) ، فالأبن سَمِع الواوات من الكلب ويعرف أَنَّ اسم أبيه كلبا فقرن بين الشئيين وجعل اسم أبيه وَو وَو ، الذى هو صوت الكلب .

وقبل الانتهاء من هذا الموضوع لا بد من الإشارة إلى أَنَّ الجاحظ قد ذكر أَنَّ هناك عِدَّة حيوانات وطيور تتأْتى منها أصوات لغوية ، إلا أَنَّهُ لم يُحدِّد هذه الأصوات .

ومن هذه الحيوانات والطيور : السَّنور ، والبَيْغاء ، والعندليب ،

والغُذاف .

قال الجاحظ : " وقد تَهَيَّأ للمهزاردستان - وهو العندليب - ألوانٌ آخر ، وقد تَهَيَّأ للبيغاء من الحروف أكثر . فإذا صرت إلى السنابير وجدتْها قد تَهَيَّأ لها من الحروفِ العِدَّة الكثير ، ومتى أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْرِفَ ذلك فتَسْمَعْ تجاؤِبَ السنابير ، وتَوَعَّدَ بعضها لبعض في جوف الليل ،

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٢٨٨/٥ ، ١٦٨/٢

ثم أحصى ما تسمعه وتتبعه ، وتوقف عنده ، فإنك ترى من عدد الحروف ما لو كان لها من الحاجات والعقول والاستطاعات ، ثم ألفتها لكنت لغة صالحة الموضع ، متوسطة الحال . (١)

فهو لم يحدد هنا هذه الحروف كما فعل في الحيوانات والطيور الأخرى ولعل السبب في ذلك راجع إلى كثرة هذه الحروف وتعدد ها ، فاكتمى بذكر القليل كمثال حتى يوضح به المراد .

ونجد أن الجاحظ لم يقتصر على ذكر الحروف التي تنتهي من بعض الحيوانات والطيور ، بل تعرض أيضا لمسألة ما ينتهي من صياح بعض الحيوانات وشبه صوتها بصوت الصبيان كابن آوى والخنزير . (٢)

ب - تسمية الحيوانات بأصواتها :

لقد ذكر الجاحظ أن هناك حيوانات وطيورا تُسمى بنفس الصوت الذى يصدر منها ، على الرغم من وجود أسماء حقيقية لبعض هذه الحيوانات فمن الحيوانات التي تُسمى بأصواتها : الشاة ، والكلب .

ومن الطيور : السمارو ، وقرب ، والقطا ، والببغاء .

فالشاة مثلا : تصدر صوتا متكررا عبارة عن (ما ، ما) أو

(ما ، ما) فسميت بهذا الصوت . قال زوالرمة :

(١) انظر كتاب الحيوان للجاحظ ٥/٢٨٩ .

(٢) نفس المرجع ٥/٢٨٨ . وابن آوى من فصيلة الكلاب .

لا يرفعُ الصَّوتَ إلا ما تخَوَّنَه

داعٍ يناديه باسم (الماء) مَبْفُومٌ (١)

وقال أبو عَبَّاد النَّمِيرِيُّ لخرَبِقِ العُمَيْرِي . وكان يتعشَّقه وراه قد
اشترى أَضْحِيَةَ ، فقال :

يا ذابِحَ الماءِ ماءً فَعَلْتَ فعلَ الجفاهِ

أما رَحِمَتْ مِنَ المَوِّ يا خُرَيْبِقِ شاةً (٢)

قال الجاحظ : " الصبيان هم الذين يسمون الشاة : ماء ، كَأَتَمِ سَمُوها
بالذي سموه منها ، حين جهلوا اسمها " . (٣)

هذا بالنسبة للشاة وما يصدر منها .

أَمَّا بالنسبة للكلب : فقد أورد الجاحظ قول هيثم بن عَدِي :

" أَنْ رجلاً كان يُسَمِّي كلباً ، وكان له بُنْيٌ يلعب في الطريق ، فقال له
رجلٌ : ابن من ؟ فقال : ابن وَؤُ وَؤُ وَؤُ ! " . (٤)

فالصبي هنا يعرف أَنَّ اسم أبيه كلب ، كما يعرف الصوت الذي

يصدر من الكلب ، فلذلك سمى الكلب بالذي سمعه منه .

(١) انظر (الحيوان) للجاحظ ٢٨٧/٥ .

(٢) نفس المرجع ٢٨٨/٥ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) نفس المرجع ١٦٨/٢ .

كما تعرض الجاحظ للطيور التي تسمى بأصواتها ، وذلك مثل :
السمارو وقرب . وهما طائران يكونان ببلاد السُّفالة (وهي مدينة
تُعرف بأرض الزنج) ، قال الجاحظ : " ويزعمُ البحريُّون أنَّ طائريَّين
يكونان ببلاد السُّفالة ، أحدهما يَظْهَرُ قَبْلَ قُودِ السَّفِينِ إِلَيْهِمْ ، وَقَبْلَ
أَنْ يُمَكِّنَ الْبَحْرَ مِنْ نَفْسِهِ ، لَخُرُوجِهِمْ فِي مَتَاجِرِهِمْ فَيَقُولُ الطَّائِرُ : قَسْرَب
آمَدُ ، فَيَعْلَمُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ دَنَا وَأَنَّ الْإِمْكَانَ قَدْ قَرَبَ .

قالوا : ويجي به طائرٌ آخر ، وشكل آخر ، فيقول : سمارو .
وذلك في وقت رجوع من قد غابَ منهم ، فيسمُّون هذين الجنسَيْن من
الطَّيرِ : قرب ، وسمارو ، لأنَّهم سمَّوها بقولهما ، وتقطيع أصواتهما " . (١)

كما نجد أيضا نوعا آخر من الطيور سمته العرب بالقطا ، وكان
ذلك هو صوتها ، لأنَّها حينما تصيح تقول (قطا قطا) فسموها بصوتها .
قال الجاحظ : " كما سمَّت العربُ ضربا من الطَّير القطا ، لأنَّ القَطَا
كذلك تصيح ، وتقطيع أصواتها قَطَا " . (٢) قال الجاحظ : " والقطة
لم تُردِّ اسمَ نفسها ، ولكنَّ النَّاسَ سمَّوها بالحروف التي تخرج من فيها ،
وزاد في ذلك أنها على أبنية كلام العرب ، فجعلوها صادقةً ومُخْبِرةً
(٣)
ومريدة (وقاصدة) " .

(١) انظر (الحيوان) للجاحظ ٥١٥/٣ ، ٥١٦ ،

(٢) نفس المرجع ٥١٦/٣

(٣) نفس المرجع ٥٢٩/٥

قال الكسيت :

لا تكذبُ القولَ إنَّ قالتَ قطاً صدقتُ

(١) إنَّ كلُّ ذى نسيبة لا بدُّ ينتحلُّ

وقال آخر :

وصادقةٍ قد خبَّرتُ ، ما بعثتها

(٢) طُروقاً ، وما قى الليل في الأرضِ مُسدِّفِ

وإذا نظرنا إلى أسماء هذه الطيور الثلاثة نجد أنَّها لا تُعرف إلا بهذه الأسماء التي هي أساساً أصواتها التي تصدر منها .

كما ذكر الجاحظ نوعاً آخر من الطيور تُسمَّى بأصواتها وهي :

(٣) البيفاء ، حيث قال : " كما سموا البيفاء بتقطيع الصوت الذي ظهر منه " .

ولي على هذا القول الذي أورده الجاحظ تعليق بيسير ، وقد

استخلصته من خلال معاشتي لهذا النوع من الطيور ، فالمعروف أن البيفاء من الطيور الأليفة المقلدة للأصوات ، فهي تصيح دائماً بأصواتٍ عِدَّة ، إلا أنني لم أسمع يوماً أنها تصيح بصوت يطابق اسمها ، أى أنها لا تصيح بصوت يُفهم منه أنها تقول (بيفاء بيفاء) ، لذلك أرى أنَّ ما قاله عن البيفاء خلاف للواقع .

(١) انظر (الحيوان) للجاحظ ٥٧٨/٥

(٢) نفس المرجع ٥٢٨٢/٥

(٣) نفس المرجع

كما أنّ هناك نوعاً آخر من الحيوانات تُسمّى بصوتها ، ولم يذكرها الجاحظ وهي السنور أو الهرة ، فقد ذكر الجاحظ أنه يتميّز منها بحروف كثيرة ، ولكنه لم يذكر أنّها تُسمّى بصوتها .

فالصبيان هم الذين يسمون الهرة (ناو) ، لأنّها حينما تصيح تقول : (ناوناو) فيسمونها بقولها وتقطع صوتها وذلك حين جهلوا اسمها . والله أعلم .

ج - تقليد الحيوانات للأصوات :

هناك بعض الحيوانات والطيور منحها الله سبحانه وتعالى القدرة على تقليد الأصوات ومحاكاتها . ولقد تعرّف الجاحظ لذلك في كتابه (الحيوان) و (البيان والتبيين) .

ومن الحيوانات والطيور المقلدة للأصوات : الإنسان ، والببغاء ، والغراب . وأول هذه الحيوانات هي :

الببغاء :

لقد ذكر الجاحظ أَنَّ الببغاء من الطيور المقلدة للأصوات حيث قال : " وَإِنَّمَا لِحَاكِيَةٌ مِنْ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْكَلْبِ وَالْقِرْدِ وَالسُّدْبِ وَالشَّاةِ السُّكِّيَّةِ . وَلَيْسَ عِنْدَ الْبَبْغَاءِ إِلَّا حَاكِيَةٌ صَوْرِ الْأَصْوَاتِ . " (١)

وقال : " وَكَذَلِكَ رَبِّمَا رَأَيْتَهُ (ويقصد الإنسان) يُلقِّنُ الْبَبْغَاءَ ضَرْوبًا مِنَ الْكَلَامِ ، وَالْبَبْغَاءُ تَحْكِيهِ . " (٢)

ولعلَّ ذلك راجع إلى عَرَضِ لِسَانِ الْبَبْغَاءِ ، كما زعم صاحب المنطق . فهو يريد أَنَّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ لَا تَقْلِدُ وَتَحْكِي إِلَّا الْأَفْعَالَ وَالْحَرَكَاتِ ، أَمَّا تَقْلِيدُ الْأَصْوَاتِ ، فَلَا قُدْرَةَ لَهَا عَلَى ذَلِكَ ، خِلَافًا لِلْبَبْغَاءِ .

الفراب :

وهو من الطيور المقلدة للأصوات . قال الجاحظ : " وَمِنْهَا غَرِبَانٌ تَحْكِي كُلَّ شَيْءٍ سَمِعَتْهُ ، حَتَّى إِنَّهَا فِي ذَلِكَ أَعْجَبُ مِنَ الْبَبْغَاءِ . " (٣)

فالجاحظ هنا يذكر أَنَّ بَعْضَ الْغَرِبَانَ أَقْدَرُ عَلَى الْمَحَاكَاةِ وَالتَّقْلِيدِ مِنَ الْبَبْغَاءِ . فهو يحاكي كل ما يسمعه من الأصوات ، ولعل ذلك راجع إلى عَرَضِ لِسَانِهِ . (٤)

(١) انظر كتاب (الحيوان) للجاحظ ١٠٤/٧ .

(٢) نفس المرجع ٢١٨/٧ .

(٣) نفس المرجع ٤٦٢/٣ و ٢١٨/٧ .

(٤) انظر كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ ٦٢/١ .

فالفداف وغراب البين من أنواع الغربان ، وهي تحاكي
الأصوات وتقلدها .

د - أثر الأصوات في الحيوانات وفهمها لها :

لقد تَعَرَّضَ الجاحظ لأنواع من الحيوانات والطيور التي تختلف
فيما بينها ، فمنها ما هي قابلة للفهم والتعلم ، ومنها ما تتأثر بالأصوات
سواء أكانت هذه الأصوات عزفاً أو صغيراً أو نقراً أو صوتاً شديداً ، فالدوابُّ
مثلاً تَصُرُّ آذانها وتنصيها للسمع إذا غَيَّ الحُكَّارِيُّ . كما أَنَّ الصَّفِيرَ
وسيلة من الوسائل التي يستخدمها الإنسان لكي تُسْقَى به الدوابُّ الماء .
ومن الحيوانات التي تتأثر بالأصوات وتفهمها :

الإبل :

لقد ذكر الجاحظ أَنَّ الإبل من الحيوانات التي تتأثر بالأصوات
حيث قال : " والإبل تَصُرُّ آذانها إذا حدا في آثارها الحادي ، وتزداد
نشاطاً ، وتزيد في مشيها " . (٢)

يريد أَنَّ الإبل تتأثر بصوت الحادي عندما يقصد حثها على
السير ، فيزجرها تارةً ، ويفغني لها تارةً أخرى ، مما يجعلها تزداد نشاطاً
وتُسرع في مشيها ، وهذا النشاط والإسراع دليل على تأثرها بالصوت .

(١) انظر (الحيوان) للجاحظ ١٩٣/٤ .

(٢) نفس المرجع . والصفحة .

الأَسَد :

وهو من الحيوانات التي تتأثر بالأصوات أيضا ، قال الجاحظ :
" وَيُضْرَبُ بِالطُّسَاسِ لِلأُسْدِ وَقَدْ أَقْبَلَتْ ، فتروعها تلك الأصوات " . (١)
وقال : " والأُسْدُ إذا رأت النار أجمت عن الإقدام ، وإذا
اشتدت الأصوات " . (٢) يريد الجاحظ هنا أن يبيِّن أَنَّ الأَسَد
يتأثر بالأصوات الشديدة العالية ويخاف منها . ولقد أَيْدِ قوله هذا
بما أورده عن قصة أبي ثعلب الأعرج الذي عرض له سبع عند مروره على
وادي السباع . (٣)

فخوف الأسد من الأصوات الشديدة وتأثره به ، جعل الناس
يستخدمون الطُّسَاسَ لابعاده .

الأَيَّلُ :

وهو حيوان ذو أظلاف وقرون تشبه الزرافة ، كما أنه يأكل
الحيات ويشعر بالظما عند أكلها . (٤)

ولقد أورد الجاحظ قول صاحب المنطق : " والأَيَّلُ تُصَارُ
بالصَّفيرِ والغناء . وهي لا تنام ما دامت تسمع ذلك من حاذق الصوت .

(١) انظر الحيوان ١٩٣/٤ ، ١٣٧/٧ .

(٢) نفس المرجع ٥٤١/٥ .

(٣) نفس المرجع ٤٨٥/٤ .

(٤) نفس المرجع ٢٤٢/٧ ، ٢٩ : ١٦٦/٤ .

فيشغلونها بذلك ويأتون من خلفها فإن رأوها مسترخية الآذان وشبوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سبيل . (١)

وهذا الذي أورده الجاحظ يدل على مدى تأثير الأيائل بالأصوات لدرجة أنها لا تشعر بما يدور حولها ، مما يجعل الصياد يتغلب عليها ويصطادها .

الدُّبُّ :

وهو من الحيوانات القابلة للفهم والتعلم ، ولقد وضع الجاحظ ذلك بقوله : " والدُّبُّ والِقِرْدُ إِذَا عَلِمَا وَالْفِيلُ وَالْكَلْبَةُ وَالْيَعْرُ " فَإِنَّ الحيوان الذي يَلْقَنُ وَيَحْكِي وَيَكْمِسُ وَيُعَلِّمُ فيزداد بالتعليم في هذه التي ذكرنا ، وهي الدُّبُّ ، والِقِرْدُ ، والفيل ، والكلب . (٢)

فالدُّبُّ قادرٌ على فهم الكلام والأصوات التي تصدر من الإنسان الذي يسيطر عليه ويدربه . فهو يحكي ويقلد كل ما يلقن ، لذلك نجد بعض الناس يستخدمونه في (السيرك) للقيام بحركات بهلوانية ، وهذا راجع لفهمه لكلام معلمه ومدربه .

السَّمَكُ :

لقد ذكر الجاحظ أَنَّ الأَسْمَاكَ تتأثر بالأصوات وتتنبه لها حيث قال : " وَيَجْمَعُ بِهَا (أَى الْأَصْوَاتِ) الصَّيَّادُونَ السَّمَكَ فِى

(١) انظر الحيوان ١٩٣/٤

(٢) نفس المرجع ٣١٦/٦

حظائرهم التي يتخذونها له . وذلك أنهم يضربون بِعَصِيٍّ معهم ، وَيُعْطِطُونَ ،
فَتُقْبِلُ أَجْنَامُ السَّمَكِ شَاخِصَةً الْأَبْصَارِ مَصْفِيَةً إِلَى تِلْكَ الْأَصْوَاتِ ، حَتَّى تَدْخُلَ
فِي الْحَظِيرَةِ . (١)

كما أورد الجاحظ زعم صاحب المنطق : فِي أَنَّ الرَّعْدَ الشَّدِيدَ
إِذَا وَافَقَ سِبَاحَةَ السَّمَكِ فِي أَعْلَى الْمَاءِ ، رَمَتْ بِبَيْضِهَا قَبْلَ انْتِهَاءِ الْأَجَلِ ،
وَرُبَّمَا تَمَّ الْأَجَلُ فَتَسْمَعُ الرَّعْدَ الشَّدِيدَ فَيَتَعَضَّلُ عَلَيْهَا أَيَّامًا بَعْدَ الْوَقْتِ . (٢)
وهذا دليل على تأثرها بالأصوات وفزعها منه ، مما جعل الصيادين
يستخدمون الأصوات في التأثير عليها وجمعها في المكان الذي يريدون .

الطيور :

ذكر الجاحظ أَنَّ الطيور تتأثر بالأصوات وتفهمها من ذلك قوله :
" وَيُضْرَبُ بِالطُّسَامِ لِلطَّيْرِ ، وَتُصَادُ بِهَا " . (٣)

وقال : " إِنَّ الْفُهُودَ وَهِيَ وَحْشِيَّةٌ تَقْبِلُ كُلِّهَا (يقصد تقبل
التأديب) كما تقبل البوازي والشواهين ، والصقورة ، والزُرَق ، واليُوءُ يُوءُ ،
والعُقَاب " . (٤)

(١) انظر الحيوان ١٩٣/٤ . والمعططة : تتابع الأصوات واختلاطها ،

(٢) (ذكر هذا المعنى محقق الحيوان) .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) انظر نفس المرجع والصفحة . وفيها ذكر أيضا (أن الطيور

تتفرغ عن البذور بالصغير) .

(٤) انظر الحيوان ٤٧/٤ .

وقال أيضا : وَالْبِرْذَوْنُ يُرَاضُ فَيَعْرِفُ مَا يَرَادُ مِنْهُ ، فَيَعِينُ عَلَى
نَفْسِهِ . وَرُبَّمَا اسْتَأْجَرُوا لِلطَّيْرِ رَجُلًا يُعَلِّمُهَا . فَأَمَّا الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَا فِي
الْبِلَابِلِ ، فَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يُدْعَى لَهَا فَيَطَارِحُهَا مِنْ شَكْلِ أَصْوَاتِهَا* (١)
نَخْلُصُ مَا سَبَقَ إِلَى أَنَّ الْجَاحِظَ أَرَادَ أَنْ يَبَيِّنَ أَنَّ الطَّيْرَ
قَابِلَةٌ لِلْفَهْمِ وَالتَّعَلُّمِ ، لِذَلِكَ كَانُوا يَسْتَأْجِرُونَ مِنْ يُعَلِّمُهَا وَيَلْقِنُهَا إِلَى جَانِبِ
أَنَّهَا تَتَأَثَّرُ بِالْأَصْوَاتِ ، الْأَمْرَ الَّذِي جَعَلَ النَّاسَ يَلْجَأُونَ لِلطَّسَّاسِ وَالصَّفِيرِ
لِاصْطِيَادِ الطَّيْرِ ، وَإِبْعَادِهَا عَنِ الْبِذُورِ وَالْمَحَاصِيلِ .
أَمَّا الْبَيْفَاءُ فَهِيَ مِنْ أَكْثَرِ هَذِهِ الطَّيْرِ فَهِيَ قَادِرَةٌ عَلَى الْمِحَاكَاةِ
وَتَقْلِيدِ الْأَصْوَاتِ . وَقَدْ سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْ ذَلِكَ . (٢)

عَنَاقُ الْأَرْضِ :

قال الجاحظ في وصفها : * وهي التي يقال لها التُّفَّةُ ، وهي
دَابَّةٌ نَحْوُ الْكَلْبِ الصَّغِيرِ ، تَصِيدُ صَيْدًا حَسَنًا ، وَرُبَّمَا وَاثَبَ الْإِنْسَانُ
فَعَقَرَهُ وَهُوَ أَحْسَنُ صَيْدًا مِنَ الْكَلْبِ* . (٣) هذا ما قاله الجاحظ عن
وصفها لها ، أَمَّا عَنْ فَهْمِ الْإِنْسَانِ وَقَبُولِهِ التَّعَلُّمِ وَالْأَدَابِ فَقَالَ فِيهِ الْجَاحِظُ :
* إِنَّ الْفُهُودَ وَهِيَ وَحْشِيَّةٌ تَقْبَلُ كُلَّهَا (الْأَدَبُ) كَمَا تَقْبَلُ الْبُوزَى ،
وَالشَّوَاهِينَ ، وَالصَّقُورَةَ ، وَالزُّرَّاقَ ، وَالْيُوءَ يُوْءَ ، وَالْعُقَابَ ، وَعَنَاقُ الْأَرْضِ ،

(١) انظر الحيوان ٣/٣٣٩ .

(٢) انظر ما قيل سابقا عن البيفاء . ص ١٦٢ .

(٣) انظر الحيوان ٦/٣٥٢ .

وجميع الجوارح الوحشيات". (١)

فهنا ذكر الجاحظ بأنَّ عَنَاق الأَرْض من الحيوانات التي تقبل الفهم والإنسان يوهِّدُها ويُعلِّمها ويدرِّبها حتى يستطيع أن يستفيد بها في الصيد ، لا تَنها أحسن صيدا من الكلاب .

الفُرُوج :

وهو فرخ الدجاج ، قال الجاحظ فيه : " ويخرجُ سريعاً الحركة شديداً الصَّوت حديده ، يُدعى بالنَّقْر فيجيب ، ولا يقال له : قَرَقْر ، ثلاث مرات - حتى يلقنه . فإن استدبره مستدبراً ودناه عطفاً عليه ويتبع الذي يطعمه ويلعبه ، وإن تباعد من مكانه الأول . " (٢)

يريد الجاحظ هنا أن يُبَيِّن بأنَّ الفروج قادر على الفهم ، فهو يُدعى بالنقر فيجيب ، واجابته دليل على فهمه لما يريد الإنسان منه .

الفهد :

وهو من الحيوانات التي ذكر الجاحظ أنها قابلة للتعلم والتوجيه حيث قال : " إنَّ الفهود وهي وحشيةٌ تقبل كلها (الأرب) ، كما تقبل البوازي والشواهين والصقور . . . ثمَّ يفضلها الفهد بخصلة غريبه ، وذلك أنَّ كبارها وسانها أقبلُّ للأرب ، وإن تقادمت في الوحش من

(١) انظر الحيوان ٤٧/٤ .

(٢) نفس المرجع ٣٣٣/٢ .

أولادها الصغار، وإن كانت تقبل الآداب، لأن الصغير إذا أُدبَ
فبلغ، خرج جبيناً مواكلاً. (١)

يريد الجاحظ هنا أن يبيّن أفضلية الفهد المُسنّ عن الفهد
الصغير رغم تقبلها للآداب. والفهود بالرغم من وحشيتها إلا أنها أقدر
على التوجيه والتعلّم وفهم ما يريد الإنسان منها، لذلك نجد بعض
الناس يقومون بتدريب الفهود على حركات وأفعال معينة يقومون بعرضها
في السيرك، وذلك لتسلية الناس ومرحهم.

الفيـل :

ذكر الجاحظ أنه قابل للفهم والتعليم
والتدريب حيث قال : " ذكر رسولٌ لي إلى سائسها أنه قد اتبعها إلى
دجلة، وأنّ بعض الفوغاء صاح بها يا حجّام بابك ! وهذا الكلام
اليوم ظاهرٌ على ألسنة الجهّال وأنّ فيلاً منها ركّله برجله ركّلةً صكّ
بها الحائط حتّى خيف عليه منها وأنه رأى منها الإنكار لذلك القول ،
وأنّ الفئال كان يحثّها على الانتقام كما صاح بها . وإذا عرف الكلب
اسمه وكذلك السنور وكذلك الشاة والفرس . . . فجائزاً أن يكون الفيـلُ
بفضل فطنته أن يفهم أضعاف ذلك . فإذا أمره بضرب إنسانٍ عند ضرب
من الكلام استعاد ذلك وأدامه ، لم ينكر أن يعرفه على طول الترداد ."
(٢)

(١) انظر الحيوان ٤٧/٤ ، ٤٧١/٦٠ .

جبيناً : الهيوب للأشياء لا يقدم عليها . ومواكلاً : يعني عاجزاً .

(٢) نفس المرجع ٧/٨٧ ، ٦٠٣١٦/٦٠ .

وقال : " والفيل أضخم الحيوان وهو مع ضخمه أملح وأظرف وأحكى وهو يفوق في ذلك كلَّ خفيف الجسم ، رشيق الطبيعة " . (١)

نَخْلُصُ من الأَقوال السابقة الى أَنَّ الفيل من أكثر الحيوانات فهما وإدراكا لما يُلقَن ويُعلِّم ، فبالرغم من حجمه الكبير وضخمه إلاَّ أَنَّهُ قادرٌ على تقليد وعمل كل ما يأمره به مُدَرِّبُهُ ، حتى إِنَّهُ يفوق في محاكاته الحيوانات الخفيفة الجسم .

ونتيجة لفهمه وإدراكه للكلام ، نجد أَنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ يُوهَّبه به هو السجود للملك . قال الجاحظ : " قالوا : خرج كسرى أبرويز ذات يوم لبعض الأعياد ، وقد صَفَّوا له ألفَ فيلٍ ، وقد أحدق به وسها ثلاثون ألفَ فارسٍ ، فلما بَصُرَتْ به الفيلة سجدت له ، فما رفعت ^{رأسها} حتى جُذِبَتْ بالمحاجن وراطنها الفَيَّالون ، وقد شهد ذلك المشهد جميعُ أصناف الدَّوابِّ : الخيلُ فما دونها وليس فيها شيءٌ يَفْصِلُ بين الملوك والرعيَّة ، فلما رأى ذلك كسرى قال : ليت أَنَّ الفيلَ كان فارسياً ، ولم يكن هندياً ، انظروا إليها وإلى سائر الدَّوابِّ ، وفضلوها بقدر ما ترونَ من فهمها وأدبها " . (٢)

القرود :

وهو من الحيوانات المُقلِّدة التي تحاكي تصرفات الإنسان قال الجاحظ : " وإثما الحكاية من جميع الحيوان في الكلب والقرود

(١) انظر الحيوان للجاحظ ٧ / ١٠٤ .

(٢) نفس المرجع ٧ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

وَالدَّبَّ وَالشَّاةَ الْمَكِيَّةَ. (١)

وقال : " وَرَبَّمَا رَأَيْتَ الْقَرَادَ يُكَلِّمُ الْقِرْنَ بِكَلِّ ضَرْبٍ مِنَ الْكَلَامِ ،
وَيُطِيعُهُ الْقِرْدُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ " . (٢)

فالجاحظ هنا يريد أن يبيِّن أن القرد قادرٌ على فهم الكلام
الذي يصدر عن الإنسان وذلك من خلال طاعته للقراد في كل ما يأمره
به ، ولقد ذكر الجاحظ أن القرد بطبيعته وفطرته يقلد الإنسان في
الحركات ، فإذا ما تعلَّم وتدرَّب فإنه يزداد فهما واستيعابا لكل
ما يطلب منه .

الكلب :

وهو من أكثر الحيوانات فهما للأصوات والتوجيه والتعليم
بالكلام قال الجاحظ : " وقد صار اليوم عند الكلب من الحكايات وقبول
التلقين ، وحسن التصرف في أصناف اللُّعب ، وفي فطن الحكايات ما ليس
في الجوارح المذلَّة لذلك ، المصرفة فيه ، وما ليس عند الدبِّ ، والقرد ،
والفيل ، والغنم السكية ، والبيغاه " . (٣)

وقال الجاحظ في أدب الكلب : " زعم لي غلماني وغيرهم من
أهل الدَّرب ، أنه كان ينبح على كلِّ راكبٍ يدخل الدَّرب إلى عراقيب
برذونه سائسا كان أو صاحب دابَّة إلا أنه كان إذا رأى (محمد بن
عبد الملك) داخلا إلى باب الدَّرب أو خارجا منه ، لم ينبح البتَّة .

(١) انظر (الحيوان) للجاحظ ٧/١٠٤ .

(٢) نفس المرجع ٧/٢١٨ .

(٣) نفس المرجع ٢/١٧٨ ، ١٧٩ .

لا عليه ولا على دابته، بل كان لا يقف له على الباب ولا على الطريق... فسألت عن ذلك فبلغني أنه ^{كان} إذا أقبل صاح به الخادم وأهوى له بالضرب، فيدخل الدهليز وأنه ما فعل ذلك به إلا ثلاث مرار، حتى صار إذا رأى محمد بن عبد الملك دخل الدهليز من تلقاء نفسه". (١)

وقد ذكر الجاحظ بأن الكلاب من الحيوانات القابلة للتلقين والتعلم والمحاكاة وخصوصاً إذا ما دُرِّبَتْ وطلِّمَتْ، فإنها تزاد فهما ومعرفة بالتعليم. (٢)

وذكر بأن الكلب الزينى الصينى يُسْرَج على رأسه ساعات كثيرة من الليل فلا يتحرك حتى ولو ألقوا إليه ببضعة من اللحم أو دعوه باسمه، فإذا ما أخذوا الصباح من رأسه، فإنه يثب على اللحم فيأكله. وقد يعلقون الزنبيل في رقبته وتوضع فيها رقعة بالمطلوب، فيمضي إلى البقال ويجيء بالحوائج. (٣)

وهذا دليل على حسن تلقيه وقبوله وفهمه للتأديب والتدريب.

اليعر:

لقد ذكر الجاحظ بأن اليعر هو صفار الفم حيث قال: "اليعر يعني صفارا للفم. ولعمري أن في المكبة ^{بنيته} والحبشية لعبا". (٤)

(١) انظر (الحيوان) للجاحظ ١٣٠/٢.

(٢) نفس المرجع ٢١٨/٧، ١٠٤، ٣١٦/٦.

(٣) نفس المرجع ١٧٩/٢.

(٤) نفس المرجع ٣١٦/٦.

حيث ذكر الجاحظ بأن اليعر من الحيوانات التي تلقن وتحكى
فقال : " والدُّبُّ والقِرْدُ إِذَا عَلَّمَا والفيل والكلبة واليعر . فإن الحيوان
الذي يُلْقَنُ وَيَحْكِي وَيَعَلِّمُ فيزداد بالتعليم " . (١)

وقال : " وإنما الحكاية من جميع الحيوان في الكلب والقرد والدُّبُّ
والشاة المسكية " . (٢)

نخلص من الأُقوال السابقة إلى أن اليعر أو الشاة المسكية من
الحيوانات التي تحاكي تصرفات الإنسان ، وهي قابلة للتعلُّم والتلقين ،
حيث أن التعلُّم يزيدُها فهما للتوجيه والتلقين فتصبح بذلك من
الحيوانات المحاكية كالقرد والكلب .

هذا بالنسبة للحيوانات التي تفهم الأصوات ويستطيع الإنسان
أن يوجهها ويعلمها بالكلام فتحكي وتقلد ما تسمعه ويطلب منها .

(١) انظر (الحيوان) للجاحظ ١٠٤ / ٧ .
(٢) نفس المرجع والصفحة .

(١٣) - دراسة الجاحظ للصوت دراسة طبيعية :

لقد أصبحت الدراسة الطبيعية للصوت ركنا أساسيا يأخذ مكانه دائما ضمن دراسة الأصوات اللفوية. (١)

ونجد الجاحظ ينظرته الموسوعية قد تطرق إلى لمحات من هذا الجانب الطبيعي للصوت في أثناء دراسته للأصوات بجميع نواحيها سواء كانت أصواتا لفوية أو كانت من سائر أصوات الإنسان أو عن أصوات الحيوانات.

وما تناوله في مجال دراسة الصوت دراسة طبيعية :

- أ - حِدَّة الصَّوْتِ وَغَلْظُهُ .
- ب- قوة الصَّوْتِ (أو شدته) وضعفه .
- ج- نوع الصوت (وبه يتميز جمالا وقبحا) .
- د - سرعة الصوت .

وقد تناول الجاحظ هذه الجوانب وهو يتحدث عن أصوات الناس والحيوانات على السواء . وسنقف عند كل منها وقفة يسيرة بقدر ما يُبرز تناول الجاحظ لها .

(١) انظر كتاب (الأصوات اللفوية) د . ابراهيم أنيس ص ٦٠

و (دراسة الصوت اللفوي) د . أحمد مختار عمر ٣ - ١٦٠

أ - حِدَّةُ الصَّوْتِ وَغَلْظُهُ :

والمقصود بحِدَّةِ الصَّوْتِ أن يكون دقيقًا غير غليظ ولا أجش .
وقد ذكر الجاحظ بأن هناك طيورًا تتسم بحِدَّةِ الصَّوْتِ ، من ذلك
العصفور والفروج ، حيث قال الجاحظ : " والعصفور لا يستقرُّ ما كان خارجًا
من وكروه حتى كأنه في دوام الحركة صبيُّ . له صوت حديدٌ موهٌ ز " . (١)

وقال : " خبَّرني من يصيد العصافير قال : ربما كان العصفور
ساقطًا على حائطٍ سطحٍ بهذا نبي ، فيغمني صياحه وحِدَّةُ صوته " . (٢)

وقال أيضًا : " ويخرج (ويقصد الفروج) سريع الحركة شديد
الصوت حديده يُدعى بالنقر فيجيب " . (٣)

فهذا الذي ذكره الجاحظ يدل دلالة واضحة على مدى حِدَّةِ
صوت الفروج والعصفور وشدته لدرجة مزعجة وموهٌ زيه .

أما بالنسبة لغِلْظِ الصَّوْتِ فقد ذكر الجاحظ أن الكلب
من الحيوانات ذات الصوت الغليظ ، وذلك عندما يسن ويكبر ،
حيث قال : " والكلبُ كلما كان أسنَّ كان صوته أجهرًا وأغلظ " . (٤)
أي أن كِبَرِ سن الكلب هو السبب في جهازة صوته وغلظه .

(١) انظر (الحيوان) للجاحظ ٥ / ٢٢٤ .

(٢) نفس المرجع ٢ / ٣٢٩ .

(٣) نفس المرجع ٢ / ٣٣٣ .

(٤) نفس المرجع ٢ / ٢١٨ .

ب - قوة الصَّوت (أو شدته) وضعفه : والمقصود بقوة الصَّوت أو شدته ،
صدوره بقوة وضغط يجعله صياحا بالنسبة لصاحبه .

وقد ذكر الجاحظ بأن هناك حيوانات وطيورا تتسم بقوة الصَّوت وبعُد

مداه ، حيث يصل الصوت ويسمع من مسافات بعيدة ، ومن هذه الحيوانات :

الجمال ، والحمار . ومن الطيور : الدَّيك ، والكَرْكِي .

فقد ذكر الجاحظ " أن (أبا عَتَّاب) دخل على (عمرو بن

هَدَّاب) وقد كَفَّ بَصْرَهُ والناس يُعَزُّونَهُ ، فمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وكان كالجمال
المحجوم ، وله صوتٌ جهير ، فقال : يا أبا أسيد ، لا يسوءُكَ زهاهُمَا ... (١)

فإذا عرفنا أن الجمال المحجوم - وهو الذي يوضع الحجام على فمه

لئلا يعرض - له صوت ضخم جدا ، تأكد لنا حقيقة ما أراده الجاحظ من

أن الجمال من الحيوانات ذات الصوت القوى والشديد .

أما الحمار فقط ذكر الجاحظ أن له

صوتا قويا وشديدا حيث قال : " إِنَّ الحمارَ أَبْعَدُ صوتاً ، وقد بلغ من

شِدَّةِ صوتِهِ ما إن حَلَفَ أَحْمَدُ بن عبد العزيز : إِنَّ الحمارَ ما ينام !

قيل له : وما ذاك ؟ قال : لَأَنِّي أَجِدُّ صياحَهُ ليس بصياح شيءٍ انتبه

تلك الساعة ، ولا هو صياحٌ من يريد أن ينام بعد انقضاء صياحه " . (٢)

يريد الجاحظ هنا أن يبيِّن أن الحمار من الحيوانات التي

لها صوت قوى وشديد يصل الى مسافات بعيدة لدرجة أن (أحمد بن

عبد العزيز) قد أقسم أن الحمار لا ينام ، لأن صياحه القوى والشديد

لا يدل على أنه كان نائما ، أو أنه سوف ينام بعد الصياح . لأنه من

(١) انظر (الحيوان) للجاحظ ٣ / ٣٥ .

(٢) نفس المرجع ٢ / ٢٥٥ ، ٢٥٨ .

العادة أن يكون صوت المستيقظ من النوم ضعيفا منخفضا .

أما الدّيك فهو من الطيور التي ذكر الجاحظ بأنه قوى الصوت شديده ، حيث قال : وللحمام أوقات صياحٍ ودعاءٍ مع الصّبح وقبيلَ ذلك على نسقٍ واحد ، ولكنّ النَّاسَ إنّما ذكروا ذلك في الدّيك والحمار ، لا متدار أصواتهما . (١)

يريد أن السبب في ذكر الناس لصياح الديك والحمار عند الصبح ، وعدم ذكرهم للحمام ، بالرغم من أن الحمام يصيح مع الصبح أيضا ، وذلك لأنّ الناس تسمع صوت الدّيك والحمار ، لقوة أصواتهما ووصولها إلى مسافات بعيدة ، أما الحمام فلا يصل صوته للناس لضعفه ، ولهذا ذكر الناس الدّيك والحمار ولم يذكروا غيره من الحيوانات الأخرى التي تصيح عند الصبح .

أما الكركي فهو من الطيور التي ذكر الجاحظ أن له صوتاً قويا ، حيث قال : " قال كسرى : كيف يكون الجملُ أبعدَ صوتا ونحن نسمعُ صوتَ الكركيِّ من كذا وكذا ميلاً ؟ قال الأعرابي : ضِع الكُركيِّ في مكان الجمل ، وضِعِ الجملِ في مكان الكُركيِّ حتى يُعرَفَ أيُّهما أبعدُ صوتاً . " (٢) وكان هذا الأعرابي قد أدخل على كسرى ليعجب من جفائه وجهله ، فسألَه كسرى عدّة أسئلة .

(١) انظر (الحيوان) للجاحظ ٢ / ٢٩٥ .

(٢) نفس المرجع ٧ / ١٩٤ .

نخلص من هذه القصة التي أوردها الجاحظ إلى أن الكُرْكِيَّ
ذو صوت قوى وشديد يسمع من مسافات بعيدة قد تصل إلى عدَّة أميال .

هذا بالنسبة لقوة الصوت وبعُدِ مداه . أما بالنسبة لضعف
الصوت وضآلته ، فقد ذكر الجاحظ أن الفيل من الحيوانات الضعيفة
الصوت حيث قال : " والفيلُ ضئيلُ الصَّوتِ ، وذلك من أشدِّ عيوبه " . (١)

وقال عن خرطوم الفيل : " وبه يقاتل ويضرب ، ومنه يصيح ، وليس
صياحُه في مقدارِ جُرمِ بدنِه " . (٢)

يريد أن الفيل على الرغم من حجمه الضخم إلا أن له صوتا ضئيلا
ضعيفا ، لا يلائم حجمه الكبير . وهذا من أشد عيوبه في نظر الناس .

(١) انظر (الحيوان) للجاحظ ١٩٣ / ٧ .

(٢) نفس المرجع ١١٨ / ٧ .

ج - جمال الصوت وقبحه :

وهو يدخل في ما يسمى حديثا (نوع الصوت) ، ولقد ذكر الجاحظ أن هناك أنواعا من الطيور تتصف بجمال الصوت وحسنه ، من ذلك : البلابلُ والدَّباسيُّ والشَّفانينُ ، والفراريجُ والفواختُ والقماريُّ والوراشينُ . وذلك في قوله : " ولا مَّا يَطْرِبُ بصوته وَيُشْجِي بِلحنه (ويقصد بذلك الدَّيك) ، كالقماريُّ والدَّباسيُّ والشَّفانينُ والوراشينُ والبلايلُ والفواختُ " . (١)

وقال : " وهذا مع ما أعطي من محبة النساء (ويقصد الفروج) ورحمة الرجال وحسن الرأى من جميع الدار ، ثم أتباعه لمن دَعَاه ، وإلفه لمن قَرَّبَهُ . ثم ملاحه صوته وحسن قَدِّهِ " . (٢)

فهذه الأنواع من الطيور والحمام لها أصوات جميلة يُطرب لها السامع وَيُشْجِي بها .

أما بالنسبة لقبح الصوت وسماجته ، فقد ذكر الجاحظ أن البفل والخنزير والدَّيك والطاووس والكلب ، من الحيوانات والطيور التي لها أصوات قبيحة سمجة ، حيث قال : " وأما سماجة الصَّوت فالبفل أسمَجُ صوتا منه (أى الكلب) ، وكذلك الطاووس على أنَّهم يتشَاءمون به " . (٣)

وقال : " وأما الدَّيك فَمِنْ بهائم الطير وبفائها . . . ، وليس مِنْ أحرارها ولا مِنْ عِتاقِها وجوارحها ، ولا مَّا يَطْرِبُ بصوته وَيُشْجِي بِلحنه " . (٤)

وقال أيضا : " ولولا أنَّ في الخنزير معنى مُتَقَدِّمًا سوى المسخ ، وسوى ما فيه من قبح المنظر وسماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل العذرة

-
- (١) انظر الحيوان للجاحظ ١ / ١٩٤ ، ٢٨٨ .
(٢) نفس المرجع ٢ / ٢٤٣ .
(٣) نفس المرجع ٢٨٨ .
(٤) نفس المرجع ١ / ١٩٤ .

(١)

... ما ليس في القرد الذي هو شريكه في المسخ - لما ذكره دونه .
فالجاحظ هنا ذكر أن هذه الحيوانات لها أصوات قبيحة
سجدة مُنكرة ، إلا أنه لم يذكر حيواناً آخر معروفاً ومشهوراً يقبح صوته ،
حيث ورد ذكره في القرآن الكريم بهذه الصفة ، ألا وهو الحمار ، الذي
قال الله تعالى عنه : ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (٢) . ولعل
اغفال الجاحظ لذكره ناتج عن شهرته بذلك ، ومعرفة أكثر الناس
لهذا الأمر .

د - سرعة الصوت :

لقد تنبه الجاحظ إلى سرعة الصوت ، حيث قارن بين سرعته
وسرعة الضوء ، وهي لحظة من لحاته العبقريّة أدركها في ذلك
الوقت المبكر واستنبطها ما في الحياة العملية . ولقد تجلّى ذلك من
خلال قوله : " ومتى رأيت البرق سمعت الرعد بعد . والرعد يكون في
الأصل قبله ولكن الصوت لا يصل إليك في سرعة البرق ، لأنّ البارق والبصر
أشدّ تقارباً من الصوت والسمع . وقد ترى الإنسان ، وبينك وبينه رجله
فيضرب بعضاً إما حجراً ، وإما دابةً ، وإما ثوباً ، فتري الضرب ثم تمكث
وقتا إلى أن يأتيك الصوت " . (٣)

يريد الجاحظ هنا أن يبين أن وصول الصوت إلى السمع ، أقل
سرعة من وصول الضوء إلى البصر ، وقد أيدّ قوله هذا بظاهرة البرق

(١) انظر الحيوان ٤ / ٤٠٠

(٢) سورة لقمان (آية ١٩)

(٣) انظر (الحيوان) للجاحظ ٤ / ٤٠٨

والرعد ، حيث ذكر أن صوت الرعد يكون في الأصل قبل البرق ، إلا أننا نرى البرق أولاً ثم نسمع الرعد بعدها ، ولقد علل هذا الأمر بقوله :
" إن البارق والبصر أشد تقارباً من الصوت والسمع . "

ونجد أن الدراسات الحديثة قد أثبتت هذا القول فيما بعد .
فروية الأشياء لا تستغرق وقتاً ، فالإنسان يرى الشيء بمجرد وقوع بصره عليه .

أما سماع الصوت فيستغرق وقتاً أطول بقليل من رؤية الشيء ، وذلك نتيجة لانتقال الصوت إلى السمع عن طريق الموجات الصوتية والذبذبات وهذا يستغرق وقتاً أطول .

ولقد قام الجاحظ بشرح هذه الظاهرة وتوضيحها للعقول ، حيث ذكر بأن رؤية إنسان وهو يضرب بعصاه حجراً ، أو دابة ، أو ثوباً ، أسرع من سماعنا لصوت الضرب .

(١٤) - وضع الجاحظ لأسس علم الأراء الصوتي :

إن من أبرز ما قدمه الجاحظ من إضافات وضعه لأسس علم الأراء الصوتي ، وكان ذلك نتيجة لاهتمامه بالأصوات اللغوية وطرق أدائها .

وهذا العلم من أحدث العلوم الصوتية ، وقد خصص له أستاذ عربي جليل وهو الدكتور (عبدالله ربيع محمود) كتاب (الملاح الأرائية عند الجاحظ في البيان والتبيين) ، وفيه تحدث عن أهمية هذا الموضوع ومدى عناية العلماء به ، مع تعليقه لأسباب اختياره للجاحظ ولكتابه البيان والتبيين بالذات . وبعد ذلك شرع - أخذاً عن الجاحظ - في توضيح معنى البيان ومعنى الأراء وما هي العلاقة بينهما . إلى جانب ذكره لمجمل الملاح الأرائية في البيان والتبيين .

وفي الفصل الثالث تحدث عن مادة الأراء وهو (الصوت) وأن بتقطيعه تتكون الحروف (أصوات الكلام) ، وبتأليف الحروف تتكون الكلمات ثم الكلام . وفي هذا الفصل تحدث عن أعضاء النطق ، حيث يذكر ضمن كل عضو محاسن تمامه ، وساوى عيوبه .

وفي الفصل الرابع تحدث عن عناصر الأراء الجيد والتي تعتمد

على :

- (١) - سهولة المخرج (وفيه تناول فكرة التنافر) .
- (٢) - وجهاة المنطق .
- (٣) - وتكميل الحروف (حيث مرّ على بعض عيوب النطق كاللثغة) .
- (٤) - إقامة الوزن والإيقاع (وفيه تكلم عن السجع والشعر وشيوع الاتزان في العربية) .

- (٥) - الهدوء والتسهل (والمراد به التزمين وضبط سرعة الكلام) .
(٦) - الصفات الجمالية العامة كالحلاوة والطلاوة والجزالة والغمامة
والعذوبة وجودة اللهجة .

وفي الفصل الخامس تحدث عن عيوب النطق والأداء حيث
قسمها إلى عيوب حركية ، وعيوب بيانية مثل العي والحصر والبكأ والفحم
والسلاطة والهذر ، وعيوب صوتية
مثل الجهورة ورقنة الصوت ودقتة ،
وضالة الصوت ، والتقمير ، وعيوب نطقية حيث قسمها تبعاً لمظهرها
الأدائي إلى استبدالية تشويبية ، إخفاشية ، اضطرابية ، تزمينية .

كما تحدث في الفصل السادس عن الأسباب التي تسهم اسهاماً
كبيراً في حسن الأداء وروعته ، من ذلك حديثه عن وحدة المنطوق
وانسجامه من حيث التلاوم والتناسب والانسجام الصوتي من ناحية ،
وعدم التنافر والتباعد وعدم التوافق بين الأصوات من ناحية أخرى ، وذلك
لبيان مدى العلاقة بين المنطوق والأداء . كما تحدث عن تنوع
الأداء .

وفي الفصل السابع تحدث عن معينات الأداء من إشارة وغيرها .

إلى جانب حديثه في الفصل الثامن والأخير عن اكتساب

الأداء . وسيكون الحديث على النحو الآتي :

وحدة المنطوق وانسجامه :

لقد ذكر د . عبدالله ربيع أن العلاقة بين المنطوق والأداء

جِدُّ وثيقه ذلك أن الإنسان لا يستطيع أن يُحسن أداءه كلاماً أو تجويد
نطقاً ما لم يكن ذلك المُوَدَى محتملاً لذلك التحسين والتجويد .
لذلك شرَّع الأُدباء وعلماء البيان في الحديث عن التلاوَم والتناسب
والانسجام الصوتي من ناحية ، وعن التنافر والتباعد وعدم التوافق بين
الأصوات من ناحية أخرى . وذلك لإدراكهم بمدى العلاقة الوثيقة
بين المنطوق والأداء .

وقد كان الكتاب يلجأون إلى الأُداء محتكبين إليه في تقويم
ما كتبوا وتصويب ما دونوا . وقد أشار الجاحظ منذ وقت طويل
إلى أن اللفظ إذا لم يكن رائعا والمعنى بارعا لم تُصغ له الأسماع ولم
تحفظه النفوس ولم تنطق به الأفواه ولم يخلد في الكتب . من
أجل هذا كان تحذيره من تنافر الألفاظ وتنافر الحروف ما ينشأ عنه
استكراه المتكلم وتَتَعْتَبِه وتَلْجُلِجِه ، فضلا عما يصيب السامع من
ضيق واستثقال .

ولقد أورد د . عبدالله ربيع قول الجاحظ موضحا هذه القضية
بقوله : " ومن أَلْفَاظِ الْعَرَبِ الْفَاظُ تَتَنَافَرُ ، وَإِنْ كَانَتْ مَجْمُوعَةً فِى
بَيْتٍ شَعَرَ لَمْ يَسْتَطِعِ الْمُنْشِدُ إِنْشَادَهَا إِلَّا بِبَعْضِ الْاِسْتِكْرَاهِ . فَمِنْ ذَلِكَ
قَوْلُ الشَّاعِرِ :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ (١)

(١) انظر كتاب (الملاح الأُدائية عند الجاحظ في البيان والتبيين)
د . عبدالله ربيع محمود ص ٢٩٠ ، ٢٩١ . ط / ١ ، عام ١٤٠٤ هـ .
وانظر البيان والتبيين للجاحظ ١ / ٦٥ .

كما يورد د. عبدالله ربيع أبياتا أخرى أوردها الجاحظ في كتابه موضحا كيف تكون الألفاظ مُتَبَرِّئة بعضها من بعض ، مما تُكْثِرُ لسان الناطق وتتعبه ، وذلك لعدم الانسجام الصوتي والاختلاف الأدائي .

ثم يعود د. عبدالله ربيع فيوه كد ارتباط الأراء بالمنطوق مشيرا إلى دوره في وحدة ذلك المنطوق وتماسكه ، فيورد قول الجاحظ : إذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب اختها مَرْضِيًا موافقا كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة ، وأجود الشعر ما رأيت ملاحم الأجزاء (١)

وبعد أن وضع الدكتور رأى الجاحظ في الكلام الجيد الذي انسجم تأليفه أسهل أراءه ، نجده يشير إلى ذكر الجاحظ لقضية الاقتران الصوتية ، واجتماع أصوات الكلام بعضها مع بعض مبينا أن حديثه فيما سبق كان عن اقتران الألفاظ وعدم اقترانها ، حيث يقول الجاحظ : " فهذا في افتراق الألفاظ فأما في افتراق الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الفين بتقديم ولا بتأخير " (٢) ولقد أشار الدكتور إلى أن ما ذكره الجاحظ هنا هو من نظام اللفظة . حيث إن أراءه أي لفظة مرتبط بنظامها ، بل إنه جزء من ذلك النظام ، فإذا اختلف النظام الصوتي للغة اختلف أيضا نظام أراءها . ولقد أتى الدكتور بمثال على ارتباط النظام بالأراء وهو كتاب الله الكريم والحديث الشريف ، وكلام فصحاء العرب .

(١) انظر الملاح الأراءية ص ٢٩١ . والبيان والتبيين ١ / ٦٧ .

(٢) انظر الملاح الأراءية ص ٢٩٢ . والبيان والتبيين ١ / ٦٩ .

ثم يعود الموه لـ ف فيبين أن العلاقة ليست مقصورة على نظام المنطوق وحسن الأراء ، لأن الجاحظ يرى أن هناك عوامل أخرى يمكن أن تحول بين الكلام الجيد والأراء الجميل ومن أهمها شخصية المتكلم وتكوينه الأرائي واللغوي حيث يضرب مثلا بنطق المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة ، بالعربية المعروفة بلفظ متخير فاخر ومعنى شريف كريم ، ومع ذلك فإن السامع لكلامه يعلم أنه نيطي . أي أن أراءه غير عربي وغير مرضي عند المستمعين العرب .

وبعد ذلك عرض الموه لـ ف لبعض المظاهر اللهجية التي ذكرها الجاحظ في الجانب الصوتي ، مُبَيِّنًا أنها غير مرضية ، وأن أراءها غير مقبول عند الذوق العربي العام . (١)

ولقد نوه الموه لـ ف إلى أن تلك المظاهر اللهجية لم يقبلها أصحاب اللغة وأرباب أراءها ، وعلى من يريد لكلامه نطقا صحيحا وأراء سليما وتأثيرا قويا أن يصوغ عباراته صياغة جيدة فعليه أن يراعي إمكانات الناطقين وقدرات القارئ . (٢) وهذا شأن البيان والبلاغة التي أرادها الجاحظ وقدم لها من الصورة والأمثلة شعرا ونثرا وخطابة وقصصا ومواعظ وأحاديث وغير ذلك من سائر فنون القول .

(١) انظر الملامح الأرائية ص ٢٩٣ . والبيان والتبيين ٢١٢/٣ ،

٢١٣ .

(٢) انظر الملامح الأرائية ص ٢٩٤ .

تنوع الأراء :

قال الدكتور عبدالله ربيع : إننا عندما نريد وصف حدث كلامي أو منطوق فإننا نستخدم تعبيرات مختلفة مثل : تكلم أو قرأ أو تلا أو أنشد أو غنى أو خطب أو حاضر أو قع أو وعظ أو حكى أو مثَّل ... الخ . ذلك أن الحدث الكلامي يتنوع تبعاً لأمور كثيرة من أهمها طبيعته وتكوينه ومصدره والفرض منه .

ومن ثم تتنوع طريقة إصداره ، وكيفية أدائه ، وتظهر آثار ذلك التنوع في نظام توزيع العناصر الأرائية وما يتصل بذلك من الصفات الصوتية العامة ونظم الإيقاع .

وذكر أن المستمع العادي يستطيع أن يفرق بين نوعيات الكلام ويدرك أن ما يسمعه هو من قبيل الشعر أو النثر .

كما أنه يستطيع التفريق بين ما يلقي ارتجالاً وما يتلى من صحيفة أو كتاب . ومن هنا كانت عناية علماء الأراء والصوتيات بنوعية الأراء المتصلة بنوعية الكلام .

وقد أدرك علماء العربية أن لكل لون من ألوان الكلام أراءه الخاص ، فليس من المقبول مثلاً أن تكون خطبة الجمعة بكيفية تلاوة القرآن الكريم وتسميحه . إلا أن العلماء لم يحاولوا تحديد النظم أو الصفات الخاصة بكل نوع من أنواع الأراء .

والجاحظ كغيره من علماء العربية الذين لم يعطوا هذا

الموضوع عناية كبيرة لكن اللّمحات التي ذكرها تكفي لإثبات أنه كان يدرك أن تنوع فنون الأراء واختلافها يكون تبعاً لاختلاف أجناس القول ومجالاته ، ويظهر هذا :

(١) - في تفرقه بين جودة الأراء وخلوه من العيوب في الكلام الطبيعي والكلام الفني الذي يحتمل الصنعة وتكلف التجويد ، فالفضل في الأول أظهر والفخر به أكثر ، ولذلك نجده قد أعجب بجودة أراء شيخه واصل بن مطاء عند حاجّة الخصوم ومفاوضة الإخوان^(١) وهذا يوضح إدراك الجاحظ للفروق الأدائية بين الخطب والرسائل والكلام التلقائي الذي يصدر من الإنسان عند الحاجة والمفاوضة والذي يعتمد على جودة الطبع .

(٢) - ويظهر أيضاً في تفرقه بين الأراء الأصلية ، وبين المحاكاة والتقليد مشيراً إلى أن المقلد يوءى الكلام المحكي بصورة مشابهة في كثير من النواحي لأراء المتكلم الأصلي . وتظهر هذه المشابهة فيما سماه الجاحظ بمخارج الألفاظ وصور الحركات والسكون .

(٣) - كما يفرق الجاحظ بين أراء الأجنبي عن اللغة وأراء الحاكي والمقلد ، مشيراً إلى أن الحاكي والمقلد قد يحقق من الصور المطلوبة ما يساويها أو يكاد على حين أن الأجنبي لا يبلغ

(١) انظر الملامح الأدائية ص ٢٩٧ . والبيان ١٤ / ١ ، ١٥ .

تلك الدرجة مهما كانت الظروف. (١)

ويواصل الحديث عن أداء الحكاية والتقليد ويربط بين
المحاكاة الصوتية والحركية فيقول : " فأما إذا حكي كلام الفأفأ
فكأننا قد جمعت كل طرفة في كل فأفأ في الأرض في لسان واحد... " (٢)

ولقد ذكر د. عبدالله ربيع أنه يفهم من كلام الجاحظ أن الحاكي
أو المقلد لمزيد عنايته بما يودّى لا يكاد يترك صغيرة ولا كبيرة إلا
أحياها في أدائه ، فهو يودّى عن وعي ويحاكي عن شعور . ثم
يعلل الجاحظ تلك القدرة على المحاكاة بأمرين :

(١) - ما منح الله للإنسان من القدرة والاستطاعة والتمكن ، وما فضله
به على سائر الحيوان من منطق وعقل .

(٢) - ما يقوم به الإنسان من محاولات وتدريبات حتى تتذلل الجوارح
لذلك وتتدرب .

ثم يعود د. عبدالله ربيع بعد ذلك فيبين لنا أن الجاحظ
قد ذكر أن عادة المنشأ والجنس اللغوي في أداء المتكلم لا يمكن أن تحوها
القدرة على التقليد أو الموهبة والتدريب وخاصة في ما يتصل بأداء حروف
الكلام " فإن حكما إذا تمكنت في الألسنة خلاف هذا الحكم " . (٣)

(١) انظر الملامح الأدائية ص ٢٩٩ . وانظر قول الجاحظ في هذا

المعنى في البيان ٦٩/١ .

(٢) نفس المرجع والصفحة . وانظر البيان ٦٩/١ .

(٣) انظر الملامح الأدائية ص ٣٠١ ، وانظر البيان ٧٠/١ .

وهو يشير هنا إلى ما يقرره علماء الصوتيات في العصر الحديث من أن جهاز النطق تتكيف تحركاته وتتحد مع أصوات لفة الأم التي ينشأ عليها الإنسان ما يجعل نطق بعض أصوات اللغات الأخرى مستحيلا على من ينشأ بعيدا عنها .

ولقد وضع الجاحظ فكرته هذه بقوله : " ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيرا فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايًا ، ولو أقام في عليا تميم وفي سفلى قيس ، وبين عجز هوازن خمسين عاما . . . (١) "

ولقد أيد د . عبدالله ربيع فكرة الجاحظ هذه من خلال تجارب الذين يعملون في ميدان تعليم العربية لغير أبنائها .

(٤) - ومن المواقف التي يظهر فيها إدراك الجاحظ وفهمه لتنوع الأراء إلى جانب وعيه بما لذلك الأراء من قيمة في حقيقة المؤدى ووجوده ما يظهر من حديثه عما يمكن أن نسميه بالأراء الروائي ، حيث إن من المعلوم عند أهل الفكر أن الأراء يمثل جزءا من حقيقة المؤدى .

والجاحظ وإن لم يفصل القول في هذا الموضوع إلا أنه قد التفت إلى أساس الفكرة ومجمل النظرية عند حديثه عن أراء النادرة وروايتها وبين أن جماليتها لا تتحقق إلا إذا نقلت صوتيا بالصورة التي سمعت بها أو قيلت عليها .

(١) انظر الملامح الأرائية ص ٣٠١ ، وانظر البيان ١/٧٠ .

ولو أردت التأكد من ذلك فارجع إلى قول الجاحظ: ومتى سمعت - حفظك الله - بنادرة من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها... (١) فالجاحظ هنا قد لفت أنظار المفكرين والأدباء إلى ذلك الأداة الروائي والفن التمثيلي منذ وقت مبكر. وهذا اللون من الأداة يتصل بأداة الحكاية والتقليد، وهما يشتركان في وجوب المحافظة على الصورة الصوتية لما يحاكي أو يروى.

(٥) - كما أشار الجاحظ إلى ما يعيب الأداة من الوسطية أو مائسيه بالترتابة وذلك في قوله: " كما أن النادرة الباردة جدا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدا، إنما الكرب الذي يختم على القلوب ويأخذ بالأنفاس، النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا هي باردة، وكذلك الشعر الوسط والفناء الوسط، وإنما الشأن في الحار جدا والبارد جدا." (٢)

(٦) - كما ذكر د. عبدالله ربيع أن الجاحظ كان على وعي بغنون أدائية أخرى كالخطابة، والوعظ، والقصص - وما يلزمها من قراءة القرآن وتلاوته - إلا أن الجاحظ كان شديد الاهتمام بالخطابة، وقد تجلّى ذلك في كتبه. وترجع أهمية الخطابة إلى أنه كان سلاح المناضلين في عصر الجاحظ من أهل الفكر وأصحاب المبادئ والشيع المختلفة كالمعتزلة

(١) انظر الملامح الأدائية ص ٣٠٤. وانظر البيان ١/١٤٥.

(٢) نفس المرجع ص ٣٠٥. وانظر البيان ١/١٤٥.

وغيرهم . ونتيجة لأهمية الخطابة في ذلك الوقت نجد
الجاحظ قد دعا إلى الجهر والجهارة وشدة الصوت وتجنب
عيوب الأصوات والكلام .

(٧) - كما اهتم الجاحظ أيضا بالقصص وذكر بأنه يتميز بلون خاص
من الأراء ، ذلك أن القصص كانوا يرون ان مهمتهم هي
تذكير الناس بالآخرة وتزهيدهم بالدنيا . ولقد أطلق د . عبد
الله ربيع على هذا اللون من الأراء صفة الباكي ، لأنه
غالبا ما كان باكيا أو مبكيا .

ولقد ذكر الجاحظ عددا من أهل البيان وحسن
الأراء من القصص مشيرا إلى حسن قراءتهم وأدائهم للقرآن ،
ومن هؤلاء جعفر بن الحسن ، وأبو بكر الهذلي ، وموسى
الأسواري . . . وغيرهم . (١)

(٨) - كما ذكر د . عبد الله ربيع أن الجاحظ قد تعرض أيضا للشعر
حيث كان على وعي بما يستلزمه الشعر من الإنشاد والترنم .
ولقد كثر في ثنايا حديثه لفظ (أنشدني) أو (أنشدنا) ،
وهذا يدل على أن معنى الإنشاد كان واضحا في عصره .

ولقد أشار الجاحظ إلى ما يَكْدُّ اللسان ويتعبه من الشعر ، ويحول
بينه وبين الأراء الجيد . (٢)

(١) انظر الملاح الأرائية ص ٣٠٨ . وانظر البيان ٣٦٧/١ ، ٣٦٨ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٠٩ . وانظر البيان ٣٦٧/١ .

ولقد استخلص د. عبدالله ربيع من كل ما ذكره أن الجاحظ قد أدرك أن تنوع فنون الأداء يتبع تنوع فنون الكلام . كما عرف أن أداء الشعر يختلف عن أداء النثر ، وأن لكل فن من فنون القول طريقته وكيفية أدائه .

(١)
التزمين وسرعة الكلام :

(٢)
يعتبر التزمين عنصرا من عناصر الأداء ، وذلك لأنه من أهم العناصر التي يقوم عليها أداء الكلام . إذ لا تقتصر معرفة المستمع العادي على التفريق بين نوعيات الكلام وإدراكه أن ما يسمعه من قبيل الشعر أو النثر ، بل نجده عارفا بكل ما يتعلق بالنظام التزميني وسرعة الكلام ، فالمستمع يعرف متى يستحسن الإسراع في الكلام ، ومتى يجب الإبطاء ، ومتى يكون بين هذا وذاك في موقف يقتضي أحد الجانبين .

(١) توزيع زمن التكلم على أصوات المنطوق توزيعا يتفق مع نظام اللغة

وقوانين الكلام فيها ، فينال كل صوت من أصوات المنطوق ما له من كم

زمني ، وتتحدد السرعة المطلوبة للمنطوق تبعاً لظروف الكلام والحالة

النفسية للمتكلم . انظر الملاحج الأدائية ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٢) عناصر الأداء الأخرى هي : سهولة المخرج ، جهازة النطق ، تكميل

الحروف ، إقامة الوزن ، الصفات الجمالية العامة . انظر الملاحج الأدائية

ص ١١٦ الى ص ١٢٨ .

ولقد تعرض د. عبدالله ربيع إلى التزمين من خلال ما التقطه من كلام الجاحظ ، إذ يرى أن المتكلم لا بد أن يراعي النظام التزميني وأن يعطى لكل وحدة من وحدات كلامه ما يناسبها من الزمن تبعاً لنظام اللغة ، وللسرعة التي يختارها لأدائه ، والتي يحددها مقام القول وظروفه وما يتصل بذلك من عواطف القائل وانفعالاته . ولكن المتكلم قد يصاب أحيانا بما يشوه ذلك النظام التزميني ، فتراه مسرعاً حين يجب الإبطاء ، أو مبطئاً حيث يلزم الإسراع أو بين هـذا وذاك في موقف يقتضي أحد الجانبين ، ومن ثم يأتي كلامه متراكب الأصوات ، خفي الحدود ، غامضاً في سمع المخاطب فينفر منه السمع ويمجه الذوق السليم .

ولقد تنبه الجاحظ في تصوره الأدائي لذلك العنصر المهم ، وأشار إلى العيوب التي تلحق الأداء من جهته . ومن العيوب التي ذكرها : اللَفُّ ، والمدُّ ، والتمطيط ، والرُّتَّةُ ، والعَجَلَةُ .^(١)

(١) انظر الملامح الادائية من ص ٢٨١ الى ص ٢٨٦ ، وسيرد ذكر هذه العيوب في موضعها من عيوب النطق .

وبذلك يكون الجاحظ قد أسهم من قديم في معالجة العنصر
الأدائي المعروف حالياً بالتزمين أو سرعة الكلام ، وقد وصف حديث
الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : ولا يبطني* ولا يعجل ولا يسهب
ولا يحصر .

ومع كل هذا فهو كعادته لم يضع لنا حدَّ العَجَلَة أو الهدوء
والتسهل تاركاً ذلك للذوق العام والمشافهة والسمع .
وهكذا نرى الجاحظ على وعيٍ بكل أنواع العيوب التي تصيب
المتكلم وتعتري الكلام والأداء ، وقد ضرب الأمثال لكل هذه الأنواع
وروى من عيون الأدب ما يدفع إلى النفرة منها والابتعاد عنها ، ليتم
حسن البيان ، وتتحقق روعة الأداء .
وإذا كان الجاحظ لم يُفصّل الحديث عن بعضها ، فإنه يكفيه
هنا التنبيه إلى خطرها وسوء أثرها .

معينات الأراء :

لقد ذكر د. عبدالله ربيع أن هناك معينات للأراء ذات أثر كبير في قيامه بوظيفته من اجتذاب السامع والتأثير في المخاطبين وذكر أن الجاحظ عرفها ، ومنها :

(١) - الإشارة أو الحركة الجسمية :

حيث ذكر أنها من أهم المعينات الأرائية ، بل إنها قد تنوب أحيانا عن الأراء الصوتي . وقد عدّها الجاحظ من أجل ذلك ضمن الخمس التي تحقق الدلالة وتُهيء التوصل^(١) وكان للجاحظ حديث عنها يرتبط في رأى بعض الباحثين بأكثر من مبدأ من مبادئ ذلك العلم الحديث الذى يسمونه بعلم الحركة الجسمية .

قال الجاحظ : " والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه " .^(٢)

(١) " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء

لا تنقص ولا تزيد أولها . اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة^٤ . انظر البيان والتبيين ١ / ٧٦ .

(٢) انظر الملامح الأرائية ٣١٦ . والبيان والتبيين ١ / ٧٨ .

ويرى الدكتور عبدالله ربيع أن الإشارة ذات أهمية كبرى في الآراء بصورة عامة ، وتكون الأهمية أكثر بروزا ، وأوضح ظهورا بالنسبة للآراء الخطابية والإلقاء التثليلي . وقد أشار الجاحظ إلى هذا ، وذكره . وهناك بعض الأعضاء التي ذكرها الجاحظ ولها ارتباط كبير بالعملية الكلامية والأدائية ، وهي بحق أعضاء للحركة والإشارة مثل الطرف والحاجب ، واليد ، والرأس ، والعين ، والمنكب (١) . قال الشاعر في دلالات الإشارة .

أشارت بِطَرْفِ العَيْنِ خيفةً أهْلِها إشارةً مَذعورٍ ولم تتكَلَّمْ
فَأيقنْتُ أن الطَّرْفَ قد قال مرحبا وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم (٢)

قال الجاحظ : " هذا ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت ، فهذا أيضا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت " . (٣)

وقال أيضا : " والمغني قد يوقع بالقضيب على أوزان الأغانى ، والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه ، ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ ، وضروب المعاني ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه " . (٤)

-
- (١) انظر الملامح الأدائية ص ٣٢٠ . والبيان والتبيين ٧٧/١ .
(٢) نفس المرجع ص ٣٢١ . والبيان والتبيين ٧٨/١ .
(٣) نفس المرجع ص ٣٢٢ . والبيان والتبيين ٧٩/١ .
(٤) نفس المرجع والصفحة . والبيان والتبيين ١١٩/٣ .

ولقد أورد د . عبدالله ربيع عدّة أقوال للجاحظ وعدّها من أنفس ما تحدث به الجاحظ عن الإشارة والحركات الجسمية .

كما تحدث الجاحظ عن أهمية الإشارات والحركات والمهيات المختلفة للمتكم في تصويره لحسن البيان والأداء . ولقد تجلّى هذا الأمر من خلال ما رواه عن أبي شمر الذي كان إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه / رأسه ، حتى كلفه إبراهيم بن سيار النظام ، فاضطره بالحجة حتى حرك يديه ، وجل حبوته ، وحباً إليه حتى أخذ بيديه .

ولقد علل الجاحظ سبب إعراض أبي شمر عن استخدام الإشارة والحركة بخفة موهونه الكلام عليه ، وقلة حاجته إلى ما يدعم قوله ويقوى أدائه . (١)

كما أشار الدكتور إلى الأرواح التي تزيد من فعالية الحركات العضوية وتقوى تأثيرها عند المستمعين ، إلى جانب الأفضاء التي يستخدمها الإنسان المتكم من اليد والحاجب والعين . . . الخ ومن أهم الأرواح التي تحدث عنها الجاحظ وبين أهميتها ، ورد أقوال الذين يعيبن استخدامها هي :

(العصا) وهي من أهم الأرواح عنده حيث قال : "ومن شأن المتكلمين أن يُشيروا بأيديهم ، وأعناقهم ، وحواجيبهم ، فإذا أشاروا بالعصا فكأنهم وصلوا بأيديهم أيدياً آخر" . (٢) ثم يأخذ الدكتور من كلام الجاحظ أنه يرى أن حمل العصا والمخصرة دليل

(١) انظر الملامح الأدائية ص ٣١٩ . انظر البيان والتبيين ١ / ٩١ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٢٣ . انظر البيان والتبيين ٣ / ١١٦ .

على التهيؤ للخطبة ، والاستعداد للإطالة فيها ، وأن ذلك صار
من عادات العرب . (١)

ومن الأرواات الأخرى التي يحملها المتكلم في يده غير العصا
: السيف ، والمصحف ، والكتاب ، والمسبحة ، والمخصره ، والقلم ،
وأوضحوا أثر ذلك في معونة الأروااة .

وإذا كانت هذه الأروااة تُغني أحيانا عن الكلام على نحو ما
يرى الجاحظ عن العصا ، فإنها أيضا تُسهم في القاء المهابه والروعاة
على المتكلم في مواقف القول المختلفة .

ومن أجل هذا كان حرص العرب في خطابتهم على استخدام
تلك الأروااة وحملها على حد قول الجاحظ .

ولقد أشار الدكتور عبدالله ربيع إلى أن الجاحظ قد ساق أمثلة
كثيرة من أشعار العرب وأقوالهم ، مما يدل على ارتباط القول عندهم
بتلك الأروااة ومزيد عنايتهم بها .

كما أنهم لم ينسوا طبيعة المكان من علو وانخفاض ، وما لذلك من
أثر في حسن التوصيل ، وجمال التبليغ ، ومن ثم كان حديثهم عن المنابر
(٢)
وخشبات المسارح .

(١) انظر الملاح الأوائية ص ٣٢٣ . والبيان والتبيين ١١٧/٣ .

(٢) انظر الملاح الأوائية ص ٣١٨ .

(٢) - الهيئة العامة للمتكم :

وتعني الصورة أو الكيفية التي يكون عليها المتكم في أثناء حديثه ، حيث يشمل حالته النفسية من ثبات أو خوف ، كما يشمل زيِّه ولباسه ، وصفاته الخلقية وسائر ما يتصل به . حيث ذكر د . عبدالله ربيع أنها ذات أهمية بالغة في الآراء والتوصيل ، وخاصة في مجالات الخطابة والتشيل . ذلك أن هيئة المتكم وما يتصل بها من لباس وغيره توه ثر دون شك في السامع الراي وتوحي إليه بكثير مما يجيش في صدر المتحدث من أفكار وانفعالات .

كما أن روية المتكم للمستمعين واحساسه بوجودهم له أثر كبير في صنع آرائه وتلوين كلامه . ومن أجل ذلك كله كانت عناية علماء الآراء بهيئة المتكم وحركاته وسكونه والتفاتاته وإشارات ، وتعبيرات وجهه ، وكانت دعوتهم للخطيب أن يكون وسطا بين الجمود والتراخي ، وأن تلائم أسارير وجهه حال كلامه وطريقة آرائه ، فلا تنبسط في مواقف الحزن ولا تنقبض مع نغمات السرور .

فوقفة المتكم أو جلوسه ، وسيره أو توقفه ، وثباته أو التفاتته كل ذلك وغيره يوه ثر دون شك في تصوير موقفه ، ودعم آرائه .

ولقد أدرك الجاحظ في هذا المقام أهمية عامل الثقة بالنفس وما لها من آثار في دعم موقف المتكم وتقوية قدرته على الآراء^(١) فالثقة تنفي عن قلبه كل خاطر يورث اللجاجة والنحنحة والانقطاع والبهر والعرق^(١) ،

(١) انظر الملامح الأدائية ص ٣٢٦ . والبيان والتبيين (١) / ٣٤٠

فهو يدعو المتكلم إلى الثبات ورباطة الجأش ، ويرى أن من أعيب الأُمور أن يعترى الخطيب الخوف والارتعاش والعرق^(١) فرباطة الجأش والثبات تدل على قوة الشخصية ، التي هي من أهم ما يشترط لمواجهة الناس في مقامات الأُراء .

أما حديثه عن الزُّى واللباس فقد ذكر الجاحظ فيه ما يدل على أن فنون القول والأُراء تقتضي تنوعا في صور اللباس والأُزياء . فههيئة الشاعر المنشد لا يشترط أن تتفق مع هيئة الخطيب المُلقى ، فالصواب أن يكون لكل فن هيئة ، ولكل مقام كيفية . فهو يحدثنا مثلا عن زى الشعراء فيروى قصة العنابي الراجز الذي نهاه الرشيد أن ينشده ، إلا وعليه عمارة عظيمة الكور ، وخفان دُماليقان^(٢) .

وقد علق الدكتور ربيع بقوله : " وهكذا يشير الجاحظ إلى تأثير الزُّى وكيف كانت أعرابيته مفتاحا إلى قلب الرشيد ، وسبيلا صالحا لتأثير الشعر في فؤاده .

كما أورد الدكتور تعليقا لأحد الباحثين المحدثين بيّن فيه اهتمام الخلفاء بأن يقف المنشدون أمامهم بزى معين وهيئة حسنة .

أما بالنسبة للصفات الخَلقية وسائر ما يتصل به ، فقد تحدث الجاحظ عن الجمال وبيّن أنه إذا لم يشترط في الخَلقة فإنه يستحسن في اللباس وما يملكه الإنسان .

(١) انظر الملاح الأُدائية ص ٣٢٦ وانظر البيان والتبيين ١/ ١٣٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٢٧ وانظر البيان والتبيين ١/ ٩٥ .

ونوه إلى ما يقتضيه أو تستحبه بعض فنون القول من صفات خاصة في المتكلم ، كأن يكون القاصُّ أعمى ويكون شيخاً بعيد مدى الصوت . . . ، وأن يكون الشاعر أعرابياً ، ويكون الداعي إلى الله صوفياً (١)

" ومن ثم نرى أن هناك ما يعزز الأداة الصوتية ، ويعينه على بلوغ هدفه وتحقيق غرضه ، وأن شيخنا كان على وعى بذلك قبل أن يلتفت إليه المحدثون اليوم ويضعوا فيه العلوم الخاصة والقوانين التي يلتزم بها العاملون في مجالات القول وفنون الأداة . " (٢)

اكتساب الأداة :

لقد ذكر د. عبدالله ربيع أن الأداة طبع وممارسة تتصل بالفريزة الكلامية عند الإنسان .

وذكر أن الظروف التي يمرُّ بها الأداة وغيره من نظم اللغة وظهر الانحرافات والعيوب تجعل المرء يتساءل عن كيفية تحصيل هذا الأداة ، وعن امكانية تعلُّمه واكتسابه .

والواقع أن الجاحظ قد صور لنا محاسن الأداة وعرفنا بعيوبه وأعطانا من النماذج البشرية والبيانية ما يمكن اعتباره أساساً للوصول إلى مقومات الأداة .

ومهما يكن فإن في بعض أوصاف الجاحظ ما يدل بوضوح ويهدى بدقة إلى كيفية الحصول على الصورة التي يربوها من حسن البيان وجميل الأداة .

(١) انظر الملاح الأداة ص ٣٢٦ . والبيان والتبيين ١/٩٣ ، ٩٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٢٧ .

قال الدكتور عبدالله ربيع : يرى المتأمل في كلام الجاحظ
أن تحصيل الأداة الجيد يعتمد على أمور أهمها :

الطبع والفطرة والاستعداد وما يتصل بذلك من السلامة
النفسية والعضوية . ويتجلى لنا ذلك في معالجة الجاحظ للمحاسن
والعيوب .

ولقد ذكر الجاحظ أن حسن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة ،
وإلى ترتيب ورياضة .

ويرى أن رأس الخطابة - وهي من أهم أنواع الأداة - الطبع
حيث قال : " رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدرب ، وجناحها رواية
الكلام . . . " (١) وهو ينقل عن بشر بن المعتمر شرط وجود الطبيعة
لمن يريد مزاولة ألوان البيان والخطابة .

كما يبين الصفات الأساسية في تلك الطبيعة من مدحهم
لشدة المعارضة ، وقوة المنّة ، وظهور الحجة ، وثبات الجنان ، وكثرة
الريق ، والعلو على الخصم وبهجون بخلاف ذلك .

كما يرى الجاحظ " أن الرجل قد يكون له طبيعة في التجارة
وليس له طبيعة في الفلاحة . . . وهكذا " (٢)

(١) انظر الملامح الأدائية ص ٣٣٣ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

قال الموهل : وهكذا ترى الجاحظ موهنا بالطبيعة والفترة والاستعداد في مجال البيان والأداء المرتبط به . وواضح له أن تلك الطبيعة ليست متحدة عند كل الناس .

وهنا يطرح الموهل لسوء الا عن موقف الجاحظ من الأداء على البديهة والارتجال ، وهل لذلك علاقة بالجنس أو العرق ؟

قال : إن الجاحظ فيما يبدو يوه من بأن طبيعة القول وسجيته الكلام والأداء ذات علاقة قوية بالجنس ، وذات ارتباط واضح بالعرق . ولقد اتضح ذلك من قولين للجاحظ ، أولهما : أن العرب يقولون ويتكلمون على البديهة والارتجال ودون تكلف للقول أو تفكير فيه ، وأنهم في ذلك على خلاف من الآدم . (١)

القول الثاني : أنه قد زعم بأن العرق ذو أثر في وراثة الخطابة والقيام بالبلاغة والفصاحة . (٢)

والجاحظ مع إيمانه بالطبع فإنه يرى أن العادة لها أثرها الفعال في تكوين الملكة الأدائية .

وقد أشار إلى هذا في شرحه لموقف الرسول صلى الله عليه وسلم من قول الشعر حيث يقول : " فلما طال هجرانه لقرض الشعر ، وروايته ، صار لسانه لا ينطق به ، والعادة توأم الطبيعة " . (٣)

(١) انظر الملاح الأدائية ص ٣٣٤ ، حيث يرى الجاحظ أن كلام

الفرس والعجم لا يصدر إلا عن طول فكر واجتهاد ومشاوره .

(٢) انظر نفس المرجع ص ٣٣٥ .

(٣) نفس المرجع ص ٣٣٦ . ذكر الجاحظ هذا القول ردا على شيخ من البصريين حينما قال أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان " لا يقرض الشعر ، ولا يتكلف الخطابة ، لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب " وقد رد عليه الجاحظ بقوله : " ولو زعم أن أداة الحساب والكتابة ، وأداة قرض الشعر ورواية جميع النسيب ، قد

فالجاحظ يرى أن الموه ثر الأول في تحصيل الأداة هو الطبيعة والاستعداد والعادة . ويتصل بذلك عامل السلامة النفسية والعضوية من المواضع التي تحول بين الإنسان وبرز ما لديه من المواهب وما يتمتع به من الاستعداد والفترة . ذلك أن تلك الطبيعة وهذا الاستعداد يمكن أن يذهب إذا ما أصيب المتكلم بلون من ألوان الأمراض النطقية أو النفسية .

ويعطينا الجاحظ مثالا لصاحب طبيعة واستعداد تغير حاله والتوى لسانه بسبب من تلك الأسباب المذكورة . قال أبو الزحف الراجز:

كَانَ فِيهِ لَفًّا إِذَا نَطَقَ مِنْ طَوْلِ تَحْبِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرْقٍ (١)

وأكثر الذين حدثنا عنهم الجاحظ في البيان والتبيين عند كلامه عن عيوب النطق كانوا من أصحاب اللسن والخطابة والأداة ، وإنما اعتراهم بعض ما عاب أداءهم وأفسد شيئا من طبيعتهم وعاداتهم .

كما ذكر الموه لـف أن الجاحظ كان يوه من بيان الكلام صناعة ويرى أن تلك الصناعة تحتاج إلى ما يقوى الطبع فيها .

وفي مقدمة ذلك سيكون العلم والرواية وما يرتبط بهما من السماع والدراية وما يحققهما من التكلف والتدريب ، والمحاكاة والتقليد ، والعرض والاختبار . أما العلم بصناعة الكلام وصناعة الأداة فإن أحدا لا يستطيع تصوراى فن أدائي من دونه .

====
كانت فيه تامة وافرة ، وجمعة كاملة ، ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة إلى ما هو أزكى بالنبوة فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها ، فلما طال هجرانه لقرض الشعر وروايته ، صار لسانه لا ينطلق به أهـ ٣٣/٤ من البيان والتبيين .

(١) انظر الملامح الأدائية ص ٣٣٧ . والبيان والتبيين ١/ ٣٨ .

ولما كان العلم بتلك الصنعة لا يكون إلا بالسمع والرواية ، فقد رأينا الجاحظ يذكر هذا ويلج عليه .

وقد سبق القول بأن جناحي الخطابة هما رواية الكلام والأصل في الرواية هو السماع ، لذلك دعا الجاحظ مرید البيان والأداء إلى السماع والاستماع حيث قال : " ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول " ولقد أكد الجاحظ هذا الأمر في أكثر من موضع (١) .

كما ذكر المؤلف أن الجاحظ قد حذر من الخطأ في الاستماع فقال : " ان سوء الاستماع يعقب العي " . (٢)

وشرة الاستماع تظهر أدايا عند محاولة المستمع التكلم بما سمع والتحدث بما وقر في ذهنه ليبرز أدائه وينجلي نطقه ، ومن هنا ندرك أهمية ما ساء الجاحظ بالتكلف ، وما أشار إليه من الدربة والتقليد ، وغير ذلك من وسائل التربية الأدائية والتعليم .

والذى يتعلم لا بد أن يتكلف النطق الصحيح ، والأداء الجميل ، وأن يجانب الصمت حتى لا يفسد لسانه .

فحقا إن التكلف يؤدى إلى الدربة ، ومن أجل هذا كانت عناية القدماء والمحدثين بالتمارين والتدريب على الأداء الصائب والمنطق السليم .

(١) انظر الملامح الأدائية ص ٣٣٩ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

ولما كانت الحكاية والتقليد من أهم وسائل التكلف ومن أقوى أدواته في التصحيح والتجويد ، لذلك نجد الجاحظ قد ذكر قدرة الإنسان على الحكاية وحسن استعداده فيها .

كما أشار إلى محاكاة بعض المتحدثين لغيرهم ممن اشتهروا بحسن الحديث وحلاوته ، فهذا أبو نضرة وعبيد الله بن أبي بكرة يحكيان حديث ابن الزبير ، وكان من أحسن الناس حديثاً . (١)

ولا ينسى الجاحظ وهو يتحدث عن تعليم الخطابة والبيان أن عنصر الاختبار والعرض من أهم العناصر التي تدفع بالمتكلم إلى ارتقاء سلم البيان ومن ثم فهو يدعو مرید البيان والأداء عندما يكون في مرحلة التكلف والتدريب إلى عرض كلامه على أهل الخبرة وأرباب الفن ليتم له بذلك العرض اختبار قدراته .

وإنها لطريقة رائعة ووسيلة جيدة ، أن يرى الإنسان درجة نفسه ومنزلة نجاحه أو فشله عند الآخرين ، فيستمر/أو يعدل عنه تبعاً لما يكشفه له هذا الاختبار ويبيِّن له ذلك العرض . (٢)

ويرى الجاحظ أن الأسماع والعيون هما الحكم الحقيقي على ما يقال والفيصل الأساسي على ما يوهى ، والمانع القوي من وقوع المتكلم في العي أو الإكثار . ومن هنا يظهر دور المستمع في تحقيق الأداء الجيد والنطق السليم . مما جعل الجاحظ يعنى بالربط بين القول والاستماع من ناحية ، وبين القائل والمستمع من ناحية أخرى .

(١) انظر الملامح الأدائية ص ٣٤١ . وانظر البيان والتبيين ١ / ٢٣ / ١ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٤٢ ، وانظر ما قاله الجاحظ عن هذا الأمر .

ويشير إلى قوة الارتباط بين المتكلم والمستمع ، وأنها تفتح بابا جديدا من العلم يمكن أن يعبر عنه ببلاغة القول ، وفصاحة التكلم قال : " قالت امرأة لزوجها : مالك إذا خرجت إلى أصحابك تطلقت وتحدثت ، وإذا كنت عندي تعقدت ، وأطرقت ؟ قال : لأنني أجل عن دقيقتك وتدقيقتين عن جليلي " (١) قال المؤلف : فعندما يوقن طالب الأداء بأهمية المستمع والاستماع في تكوينه فإنه لن يدع تدريب نفسه وتمارين فكره على مواجهة مواقف الاستماع ليرى أثر أدائه ، وتأثير كلامه ، وليقدم من عناصر الصوت والأداء ما يناسب أقدار هـؤلاء المستمعين .

فهؤلاء المستمعون هم الذين علموا واصل بن عطاء الأداء السليم عندما خشي سخريتهم من لثغته ، وتهكمهم بعيب أدائه .

وهذا يكون د . عبدالله ربيع قد حدد تصور أبي عثمان

لعملية تعلم الأداء واكتسابه ، وما للاستماع في ذلك من آثار خطيرة يعرفها المشتغلون بعلوم البيان والأداء .

وهكذا فصل الدكتور عبدالله ربيع وضع الجاحظ لأسس علم

الأداء الصوتي وهو ما تمثلت فيه الإضافة الرابعة عشرة من إضافات الجاحظ في مجال دراسة الأصوات اللغوية . وبها يتم هذا الفصل .

(١) انظر الملامح الأدبية ص ٣٤٦ .

الباب الثالث

الكلام عن عيوب النظم قبل الجاhez وعنده

ويشمل على الفصول التالية :

الفصل الاول : الكلام عن عيوب النظم قبل الجاhez .

الفصل الثاني : كلام الجاhez عن عيوب النظم .

الفصل الثالث : إضافات الجاhez في كلامه عن عيوب النظم .

الفصل الرابع : تقويم كلام الجاhez عن عيوب النظم .

الفصل الاول : الكلام عن عيوب النظر قبل الحائض .

الفصل الأول

الكلام عن عيوب النطق قبيل الجاحظ

من الملاحظ أن بعض السابقين على الجاحظ قد تعرضوا لعيوب النطق بالتفسير والتوضيح ، وكان هذا التفسير مندرجا ضمن كلامهم عن أعضاء البدن الإنساني في كتب خلق الإنسان ، لذلك نجدهم قد ذكروا عيوب النطق في أثناء حديثهم عن اللسان وما يَصِيبه من الآفات .
ونظرا إلى أن ثابت بن أبي ثابت قد ذكر في مقدمة كتابه (خلق الإنسان) أنه قد روى محتوياته عن سبقوه كالأصمعي ، فنسند كلامه عن عيوب النطق مثلا لكلام السابقين على الجاحظ .

ومن هذه العيوب التي ذكروها :

(١) - البكَمُ :

قال ثابت بن أبي ثابت إن الأَبْكَمَ هو : " الأَقْطَعُ اللِّسَانِ العَيُّ بالجواب ، يقال : رجلٌ أبْكَمٌ وامرأةٌ بَكْماءُ " . (١)

وقد اختلف الأئمة في التفريق بين الخرس والبكَم ، فبعضهم قال : إن الأَبْكَمَ والأَخْرَسَ شيءٌ واحد . (٢)

(١) انظر كتاب (خلق الانسان) لثابت ص ١٨٣ .

(٢) انظر لسان العرب مادة (بكَم) ١٢ / ٥٣ .

« وقلت : بَيْنَ الْخَرَسِ وَالْأَبْكَمِ فَرْقٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ .
فَالْأَخْرَسُ الَّذِي خُلِقَ وَلَا نُطْقَ لَهُ كَالْبَهِيمَةِ الْعَجْمَاءِ . وَالْأَبْكَمُ الَّذِي
لِلْسَانَةِ نُطْقٌ وَهُوَ لَا يَمْقِلُ الْجَوَابَ ، وَلَا يُحْسِنُ وَجْهَ الْكَلَامِ .
(١)

ويؤخذ من سياق ما ذكره ثابت عن البكم والخرس أنه يؤيد
الرأى الذى يقول إن هناك فرقا بين البكم والخرس ، والذى يؤيد هذا
القول هو ما أورده في كتابه من قول الراجز :

يَا سَائِقَ اللَّيْلِ أَمَا تَكَلَّمُ
أَكُلُّ هَذَا اللَّيْلِ أَنْتَ أَبْكَمُ

أى ساكت . (٢) فالبكم هنا يدل على أن انقطاع الكلام كان عن عمد ،
فهو يستطيع الكلام إلا أنه لم يتكلم .

كما أن تعريف ثابت للخرس يؤيد رأيه أيضا في أن هناك
فرقا بين الخرس والبكم ، حيث قال : « وَأَمَّا الْخَرَسُ فَهُوَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ الْبَيْتَةَ » .
(٣)

نخلص من هذا إلى أن تعريف ثابت للبكم يدل على أن البكم
عسىَّ يتمثل في الانقطاع عن الكلام لعائق ما ، أيا كان ذلك العائق .

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري ١٠/٢٩٦ .

(٢) انظر (خلق الانسان) لثابت ص ١٨٣ .

(٣) نفس المرجع ص ١٨٦ .

(٢) - التَّمْتَمَةُ :

لقد ذكر الأَصْمَعِيُّ وثابت أن التَّمْتَمَةَ هي تردد اللسان في التاء، قال الأَصْمَعِيُّ : " وَيَقَالُ فِي لِسَانِهِ تَمْتَمَةٌ وَهِيَ تَرْدُّدُ التَّاءِ يُقَالُ : رَجُلٌ تَمْتَمٌ ، وَامْرَأَةٌ تَمْتَامَةٌ " قال ربعة الرقسي :
فَلَا يَحْسِبُ التَّمْتَامُ أَنِّي هَجَوْتَهُ وَلَكِنِّي فَضَلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ (١)
وقال ثابت : " وَأَمَّا التَّمْتَامُ : فَالَّذِي فِي لِسَانِهِ تَمْتَمَةٌ ، وَهُوَ ثِقَلٌ وَتَرْدِيدٌ فِي التَّاءِ " . (٢)

كما أورد ثابت قول أبي زيد : " التَّمْتَامُ : الَّذِي يَعْجَلُ فِي الْكَلَامِ وَلَا يُفْهِمُكَ " . (٣)

فالتَّمْتَمَةُ تردد التاء على اللسان عند النطق ، أما التفسير الأخير المنسوب لأبي زيد فهو تفسير بما يوحي به عمل التمام ذاك من أنه يتعجل النطق .

(٣) - الْجَلْجَالُ :

قال الأَصْمَعِيُّ وثابت بن أبي ثابت إن الْجَلْجَالَ هو : " الَّذِي يَرْدُّ الْكَلِمَةَ فِي فِيهِ فَلَا يُخْرِجُهَا مِنْ ثِقَلِ لِسَانِهِ " . (٤)

-
- (١) كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٧ .
(٢) كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨٤ .
(٣) نفس المرجع ص ١٨٥ .
(٤) نفس المرجع ص ١٨٣ . وكتاب (المخصص) لابن سيده ١/١٢٢ .

هكذا جاء في خلق الإنسان لثابت ، وهذا التفسير ترديد
الكلمة في الفم لا يخرجها من ثقل لسانه * يوحد بين الجَلْجَال
واللَجَلَج ، حيث فسرت اللَّجْلَجَة بالتردد في الكلام ، ويثقل اللسان
ونقص الكلام وأن لا يخرج بعضه في إثر بعض . (١)

ومعنى العبارة الأخيرة هو معنى التردد في الكلام - أي أن
الجَلْجَال فسر بما يفسر به اللجلاج .

فإذا أضفنا إلى هذا أن تاج العروس وهو أكبر المعاجم العربية
لم يذكر الجَلْجَال في تركيب جَلْجَل (٢) ، ترجح الظن بأن لفظ
الجَلْجَال قلب للفظ اللَّجْلَج .

(٤) - الحُكْلَة :

لقد اتفق الأصمعي وثابت على تعريف الحُكْلَة ، وهي قولهما :
" وفي اللسان الحُكْلَة وهي كالعجمة تكون فيه لا يُبين صاحبها
الكلام " . (٣)

قال رؤبة بن العجاج :
لو أنني أوتيت علم الحُكْلِ
علم سليمان كلام النمل (٤)

- (١) انظر تاج العروس للزبيدي مادة (لَج) .
(٢) نفس المرجع مادة (جَلل) .
(٣) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٧ . وانظر مخطوطة
الغريب المصنف لأبي عبيد . باب الألسنة والكلام . وانظر أيضا
كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨٢ .
(٤) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٧ . وثابت ص ١٨٢ .

فالمراد بالعجمة هنا هو عدم بيان الكلام ووضوحه ، وذلك راجع لانخفاض الكلام وخفائه بحيث لا يسمع ، كما يدل عليه رجز روية ، فإن كلام النمل لا يسمع .

(٥) - الْخَرَسُ :

قال ثابت بن أبي ثابت : " وأما الْخَرَسُ فهو أن لا يتكلم البتة ^(١) . وهذا يعني أن الشخص المصاب بالخرس لا يستطيع أن يتكلم نهائياً ، أى خلق ولا نطق له كالبهيمة العجما .

وهذا التعريف الذى ذكره ثابت للخرس ، يؤيد ما قلناه سابقاً فى أن ثابتاً يؤيد رأى الذى يقول إن هناك فرقاً بين البكم والخرس .

(٦) - الرُّتَّةُ :

قال ثابت بن أبي ثابت : " الأَرْتُ : الذى لا تكاد كلمته تخرج من فيه ، وإنما يردُّ كلامه إلى حنكه ، بين الرتة والرتة ، قال العجاج :

حتى ترى البين كالأرَّت ^(٢) .

(١) كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨٦ .

(٢) نفس المرجع ص ١٨٤ .

هكذا فسر الرتة تفسيراً قريباً من اللججة وقد جاءت في
تاج العروس تفسيرات أخرى، أنسبها لما هنا ما حكاه عن التهذيب:
الرتة كالرتج تنع أول الكلام فإذا جاء منه اتصل به. (١)

(٧) - عَصَبُ الرِّيْقِ :

قال الأصمعيُّ : "وفي الفم العَصَبُ وهو أن يَخْرَجَ الرِّيْقُ
فَيَيْبَسُ عَلَى الْأَسْنَانِ وَالشَّفَتَيْنِ مِنْ عَطَشٍ أَوْ خَوْفٍ. يقالُ عَصَبَ الرِّيْقُ
بِقَمِ فُلَانٍ يُعْصِبُ عَصَباً". (٢)

فيُبَسُّ الرِّيْقُ وجفافه يكون بسبب الحرج أو الخوف والاضطراب
أو العطش ، مما يترتب عليه التعثر في إخراج الكلام بصورة سهلة ، لأن جفاف
الفم يعوق حركة اللسان داخل الفم عند النطق بالأصوات اللغوية .
قال ابن الأَحمَرُ :

[يُصَلِّي عَلَى مَنْ مَاتَ مِنَّا عَرِيفًا وَيَقْرَأُ] حَتَّى يُعْصِبَ الرِّيْقَ بِالْفَمِ (٣)

ولقد ذكر الأصمعيُّ أن (الطَّرَامَةَ) و (الدَّوَايَةَ) كلها أسماء تطلق
على الريق الذي ييبس على الفم من العطش .

(١) انظر تاج العروس رتت . وقوله كالرتج هي في طبعة الخيرية
كالريح .

(٢) كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٥ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

وذكر أنه يُقال للرجل إذا أصابه جهدٌ وعطشٌ : "عَصَبَتْ
طِلَاوَةً بِفِيهِ : وَهُوَ أَنْ يَخْشُرَ الرَّيْقُ حَتَّى يَتَلَطَّخَ بِهِ الشَّفْتَانِ وَالْأَسْنَانَ" (١)

وينتج عن هذا السُّبْسُ والتخشُّر ، صعوبة إخراج الكلام وتعشيره

في الفم .

(٨) - الْعَقْدُ :

قال ثابت بن أبي ثابت : " وفي اللسان العَقْدُ ، وهو انعقادٌ
فيه ، يقال : رجلٌ أَعَقَدَ ، وامرأةٌ عَقَدَاءُ اللسان " (٢)

وجاء في اللسان قوله " وفي لسانه عُقْدَةٌ وَعَقْدٌ أى التواء " .

وقيل : في لسانه عُقْدَةٌ أورتج " (٣)

وجاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَحْلَلُّ عَقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ (٤)

فعند النظر لما سبق نجد أن هذا العيب يكون بسبب شيء ما يعوق اللسان عن الحركة كفلظٍ فيه أو التواء ، مما يجعل الإنسان يشعر بنوعٍ من الثقل والتحبس في لسانه ، فلا ينطلق الكلام بصورة سليمة . وهذا يجعله لا يفصح ولا يُبَيِّن .

(١) كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٢) كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨٦ .

(٣) انظر لسان العرب مادة (عقد) ص ٢٩٨ .

(٤) انظر سورة طه آية ٢٧ .

(٩) - الفَأْفَاءُ :

لقد اتفق الأصمعيُّ وثابت على أن الفَأْفَاءَ ترديدٌ للفاء ، إلا أن ثابتاً لم يصرح بهذا الحرف ، بل نجده قد ذكره ضمناً عند شرحه لكلام الفَأْفَاءَ . قال الأصمعيُّ : " وَفِي اللِّسَانِ الفَأْفَاءُ وَهُوَ أَنْ يَرْتَدَّ صَاحِبُهَا فِي الغَمِّ الفَاءَ . يُقَالُ رَجُلٌ فَأْفَاءٌ ، وامرأةٌ فَأْفَاءَةٌ : (١)

وقال ثابت : " والفَأْفَاءُ : أَنْ تَسْبِقَ الرَّجُلَ كَلِمَتُهُ إِلَى شَفْتَيْهِ فَيَرْتَدُّ بِشَفْتَيْهِ مَرَّاراً لَا يُفْصِحُ بِهَا ، يُقَالُ : رَجُلٌ فَأْفَاءٌ / وامرأةٌ فَأْفَاءَةٌ . وَقَوْمٌ فَأْفَاءُونَ . (٢)

فهذا التوضيح الذي ذكره ثابت في تعريفه ، يقصد به (الفاء) . لأن ترديد النفس بين الأسنان العليا والشفة السفلى يُؤدِّد الفاء . وأنشد لرواية :

فَأْفَاءُ الفَأْفَاءِ لَحَجَّ هَذَرَمُهُ

قال أبو مالك : المَهْدَرِبُ والمَهْدَرِمُ : الذي يَخْلِطُ كَلَامَهُ . (٣)

من هذا نجد أن الفَأْفَاءَ عبارة عن تردد صوت الفاء في أفواه

بعض الناس عند إرادتهم الكلام .

(١) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٧ .

(٢) انظر كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨٥ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(١٠) - الفدامة :

قال ثابت بن أبي ثابت : " الفَدْمُ : العَيُّ اللسانِ الثَّقِيلَةُ ،
يقال : رجلٌ فَدْمٌ ، وامرأةٌ فَدَمَةٌ ، وقومٌ فَدْمُونَ " . (١)

فالعيُّ خلاف البيان ، وهو أن يأتي الشخص المصاب بكلام
لا يَهْتَدِي إليه .

جاء في اللسان : " الفَدْمُ من الناس : العَسِيُّ عن الحُجَّةِ
والكلام مع ثقل ورخاوة وقلّة فهم ، وهو أيضا الفليظ السمين الأحمق
الجافي " . (٢)

فلو أنعمنا النظر قليلا فيما قاله ثابت عن القدم ، وما ذكر في
اللسان لوجدنا أن المراد بثقل اللسان هنا ليس حقيقيا ، وإنما هو كناية
عن العجز عن التعبير المناسب في وقته ، نتيجة لقلّة الفهم والحمق
والغباء .

إلى جانب كون كلمة (فَدْم) في اللغة تعني تغطية للفم
سواءً كان تغطية لفم الإبريق أو الكوز بالخرقة لتصفية الشراب الذي فيه .
أوما تشده العجم على أفواهها عند السقي . ومن هذا أخذ هذا
التركيب ليدخل في عدم التعبير عن الحجة .

(١) كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨٤ .
(٢) انظر لسان العرب مادة (فدم) ٤٥٠/٢٢ .

(١١) - اللُّثْفَةُ :

قال ثابت بن أبي ثابت : * الأَلْثَغُ ، وهو الذى لا يُتِمُّ رَفْعَ لِسَانِهِ فى الكلام * . (١)

ومعنى كلام ثابت هذا أن اللُّثْفَةَ خاصة بالحروف التى تحتاج إلى رفع (طرف) اللسان ومنها الراء واللام وعدم تمام الرفع يعنى عدم وصوله إلى الموضع الذى ينبغى أن يصل إليه ، كما قد يعنى نقصاً فى مرونة طرف اللسان وقدرته على الحركة وكأن تعريف ثابت للثففة ينصب أساساً على اللُّثْفَةُ فى الراء بنطقها لاما إذا لم يستطع طرف اللسان أن يرتعد عند نطق الراء لفقدان مرونة طرفه ، كما يشمل نطق اللام ياء حيث لا يستطيع طرف اللسان أن يمتد ليلتقى بسقف الحنك كما ينبغى فى نطق اللام .

(١٢) - اللَّجْجَةُ :

لقد اتفق الأصمعيُّ وثابت على تعريف اللَّجْجَةِ ، حيث ذكرنا * أن اللَّجْجَاجَ ، وهو الذى سَجِيَّةُ لِسَانِهِ ثَقَلُ الكَلَامِ وَنَقَصُهُ * . (٢)
هكذا فسرا اللَّجْجَةَ ذلك التفسير العام : ثقل الكلام ونقصه ، وقد ذُكِرَ أيضاً فى المعاجم (٣) . وهو تفسير يصدق على صور كثيرة من النطق

-
- (١) انظر كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨٣ .
(٢) انظر كتاب (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨٤ . وكتاب (المخصص) لابن سيده ١ / ١٢٢ .
(٣) ذكر فى تاج العروس مادة (لجاج) .

المعيب . وقد فسرت اللَّجْلَجَةُ في تاج العروس بثقل اللسان ونقص الكلام ، وأن لا يخرج بعضه في إثر بعض ، كما فسرت بالتردد في الكلام . (١)

وهذا التفسير أخص وأوضح ، أي أن اللَّجْلَجَةَ أن يُرَدِّدَ الناطق الكلمة فـ في فيه أكثر من مرة قبل أن يتمكن من إخراجها . ولعل مما يؤيد صحة هذا الشبه بين ترديد الكلمة في الفم ، وبين ترديد اللقمة فيه للمضغ قولهم هو يلجلج اللقمة في فيه أي يرددها للمضغ .

(١٣) - اللَّفْفُ :

من الملاحظ أن الأصمعي وثابتا قد اتفقا في تحديد معنى اللفف ، قال الأصمعي : " الألفُّ هو الثقلُ اللسان " . (٢)

وقال ثابت : " الألفُّ : الثقلُ اللسان عند الكلام ، يقال : رجلٌ أَلْفٌ ، وامرأةٌ لَفَاءٌ ، وهي اللَّفْلَفَةُ " . (٣)

فاللفف عيب من عيوب النطق ، يتمثل في ثقل اللسان عند الكلام . ولقد جاء في اللسان : " أن اللَّفْفُ في الأكل : إكثار وتخليط ، وفي الكلام ثقل وعيٌّ مع ضعف . ورجل أَلْفٌ بين اللَّفْفِ أي عَيٌّ بطي " .

-
- (١) انظر تاج العروس مادة (لـجـج) .
(٢) انظر مخطوطة (الغريب المصنف) لأبي عبيد / باب الألسنة والكلام . وانظر لسان العرب مادة (لفـفـ) ٣١٩ / ٩ .
(٣) انظر (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨٥ .

الكلام إذا تكلم ملاً لسانه فيه^(١). فالشخص المصاب بهذا النوع من العي لا يستطيع أن يحرك لسانه بخفة وسهولة، لذلك نجده يخلط في الكلام ويَبْطِيء، لأن ثِقْلَ لسانه يعوقه عن الكلام بطلاقة.

(١٤) - اللَّقْلَقَةُ :

قال الأَصْمَعِيُّ : " اللَّقْلَقَةُ وَهِيَ ثِقْلُ اللِّسَانِ وَغِلْظُهُ فِي الفَمِّ، يُقَالُ إِنَّ فِيهِ لَقْلَقَةً شَدِيدَةً " .^(٢)

وجاء في اللسان أن اللَّقْلَقَةَ هي : تَقْطِيعُ الصَّوْتِ وَهُوَ الوَلْوَلَةُ .
ورجل مُلَقَّقٌ : حَادٌّ لَا يَقْرَأُ فِي مَكَانٍ .

وَاللَّقْلَاقُ وَاللَّقْلَقَةُ : شِدَّةُ الصَّوْتِ فِي حَرَكَةٍ وَاضْطِرَابٍ .^(٣)

نخلص ما سبق إلى أن اللققة هي : ثقل اللسان وغلظة في الفم الذي ينتج عنه اضطراب في حركة اللسان ، فلا يتخذ الأوضاع المناسبة للمخارج بسرعة ودقة ، مما يتسبب في تقطيع الصوت وعدم وضوحه .

- (١) انظر لسان العرب مادة (لف) ٣١٩/٩ .
(٢) انظر كتاب (خلق الإنسان) للأصمعي ص ١٩٧ .
(٣) انظر لسان العرب مادة (لقق) ٣٣١/١٠ .

(١٥) - اللَّوْثُ :

قال ثابت بن أبي ثابت : " وفي اللسان اللَّوْثُ ، وهو ثِقَلٌ فيه لا يكاد يُخْرِجُ الكلمةَ إلا بَعْدَ جَهْدٍ . يقال : رجلٌ أَلَوْتُ ، وامرأةٌ لَوْثَاءٌ " . (١)

فلونظرنا إلى دلالة هذا التركيب في اللسان لوجدنا أنه يشتمل

على عدّة معاني ، والذي يدخل في موضوعنا هو قول ابن الأعرابي : " اللَّوْثُ : الطِّي ، واللَّوْثُ : اللَّوْثُ ، واللَّوْثُ : الشَّرُّ ، واللَّوْثُ : الجراحات . . . (فالطِّي هو أن يتكلم بكلام مطوى لم يُبينه للاستحياء) .

وقال ابن سيده : اللَّوْثُ البُطُّ في الأمر .

وَاللَّوْثَةُ ، بالضم : الاسترخاءُ والبُطُّ . والألوث : البِطِّي .

الكلام ، الكليلُ اللسان . (٢)

والذي يتفق مع كلام ثابت هو كلام ابن سيده وما بعده ،

فَاللَّوْثُ هو البُطُّ الشديد في النطق ثقلاً وعجزاً بحيث لا يكاد يخرج الكلمة إلا بعد جهد .

(١) انظر (خلق الإنسان) لثابت ص ١٨٥ .

(٢) انظر لسان العرب مادة (لوث) ١٨٥/٢ .

وأخيرا نلاحظ أن أكثر آفات اللسان التي ذكرها
الأصمعي وثابت تندرج تحت ظاهرة ثقل اللسان ، فالعيوب
التي تدخل في هذا النطاق عندهما هي :
التَّمَمَةُ ، والقَمَقَمُ ، واللَّجَجَةُ ، وَاللَّفَفُ ،
وَاللَّقْلَقَةُ ، وَاللُّوْثُ .

فهذه الآفات التي تصيب اللسان تجعله ثقيلا
بطبيء الحركة ، مما ينتج عنه انعدام التناسب بين الكلام
وحركة اللسان .

الفصل الثاني : كلام الجاهل عن عيوب النظر .

الفصل الثاني

كلام الجاحظ عن عيوب النطق

سأتحدث في هذا الفصل عن العيوب النطقية التي ذكرها الجاحظ ، وهذه العيوب ولا شك لها تأثيرها السيء على خروج الأصوات اللغوية بصورة سليمة .

ولقد تعرض الجاحظ لكثير من عيوب النطق المختلفة الأنواع ، وكان يقف عند بعضها بالتعريف ، ويكتفى بالنسبة للبعض الآخر باعتداده معيبا ، ويذكر ما جاء في الشعر أو غيره من عيبه .

ولعل الأوفق أن نصنف نحن العيوب التي ذكرها الجاحظ أنواعا ، بحيث نضم العيوب المتشابهة بعضها إلى بعض تحت عنوان يجمعها . ويمكن تقسيم العيوب التي ذكرها الجاحظ إلى عيوب نطق عضوية وهي التي يرجع سببها إلى خلل أو عيب واضح في أى من أعضاء النطق ، وعيوب وظيفية - وهي التي تبد وأعضاء النطق فيها سليمة ، ولكن تلازم الناطق فيها طرائق معيبة لنطق اللغة تجعل نطقه غير سوى ، وعيوب أدائية وفيها تكون أعضاء النطق سوية ، ولكن الناطق يتكلف أوضاعا أو هيئات في تلك الأعضاء أو في الصوت تجعل نطقه معيبا .

ويمكن تحديد الفرق بين العيوب الوظيفية والأدائية بأن العيب الوظيفي ملازم لصاحبه وكأنه صفة قهرية يجمل سببها عادة وإن كان يمكن أن يكون لها سبب عصبي أو نفسي ، كما أن التخلص من هذه العيوب الوظيفية صعب ويحتاج إلى تدريبات شاقة . أما العيوب الأدائية فهي من صنع صاحبها ، فهو الذي يتكلف هيئات وأوضاعا لصوته وأعضائه ليتشبه بأهل الأداة الفصح فلا تطاوعه أعضاؤه أو يبالغ ولا يحكم التشبه فيخرج آداؤه معيبا .

وقد ردد الجاحظ في مجال عيوب النطق هذا مصطلحين عامين سوى سائر العيوب الخاصة التي يدخل كل منها في قسم من الأقسام الثلاثة المذكورة آنفا - هما الرعى والحصر ، ونرى أن نقف عند كل من هذين المعيبين أولا قبل الكلام عن كل من الأقسام الثلاثة .

العِيَّ:

قال الجاحظ : " وإنما وَقَعَ النَّهْيُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ جَاوَزَ الْمَقْدَارَ ، وَوَقَعَ اسْمُ الْعِيَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَصَرَ عَنِ الْمَقْدَارِ ، فَالْعِيَّ مَذْمُومٌ وَمَذْمُومٌ وَالْخَطْلُ مَذْمُومٌ " (١) ، كَمَا كَانَ حَدِيثُهُ مُشْتَمَلًا عَلَى عِدَّةِ جَوَانِبٍ مِنْهَا ، تَعَمُّدُ النَّاسِ قَدِيمًا مِنْ شَرِّ الْعِيَّ ، وَنُفُورُهُمْ مِنْهُ ، وَخُصُوصًا إِذَا مَا تَكَلَّفَ صَاحِبُهُ مَقَامَاتِ الْخُطْبَاءِ وَالْبُلْغَاءِ . قَالَ النَّرْبِنْجِيُّ :

(٢) أَعَذَّنِي رَبِّي مِنْ حَصْرِ وَعِيٍّ وَمَنْ نَفْسٍ أَعَالَجَهَا عِلَاجًا

وَيَتَضَحَّ الْمَعْنَى أَكْثَرَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ : " وَلَيْسَ حَفِظَكَ اللَّهُ ، مَضْرُوبَةً سُلْطَانَةً لِسَانٍ عِنْدَ الْمَنَازَعَةِ ، وَسَقَطَاتِ الْخَطْلِ يَوْمَ إِطَالَةِ الْخُطْبَةِ ، بِأَعْظَمِ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْعِيَّ مِنْ اخْتِلَالِ الْحُجَّةِ ، وَعَنِ الْحَصْرِ مِنْ فُوتِ دَرَكِ الْحَاجَةِ " (٣) .

فَقَدْ جَعَلَ الْعِيَّ ضِدَّ السُّلْطَانَةِ ، وَالسُّلْطَانَةُ هِيَ طَوْلُ السُّلْطَانِ وَحَدَّثَهُ أَيْ الْإِكْتِثَارُ مِنَ الْكَلَامِ فِي اقْتِدَارٍ ، وَفُسِّرَتْ كَذَلِكَ بِالصُّخْبِ . فَيَكُونُ الْعِيَّ نَوْعًا مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْكَلَامِ قَدْ يَتِمُّثَلُ فِي عَيْبٍ فِي السُّلْطَانِ يَفْسُدُ بِهِ أَدَاءُ الْحُرُوفِ أَوِ الْكَلِمَاتِ أَدَاءً صَحِيحًا ، كَمَا قَدْ يَتِمُّثَلُ فِي قُصُورِ الْفِكْرِ أَوِ الْفِشْلِ فِي التَّعْبِيرِ السَّلِيمِ أَوِ الدَّقِيقِ عَمَّا فِي النَّفْسِ .

(١) انظر البيان والتبيين ١/٢٠٢ .

(٢) انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/٣٠ .

(٣) نفس المرجع ١/١٢٠ .

(٤) فِي السُّلْطَانِ ان السُّلْطَانَةَ وَالسُّلْطَانَةَ : الطويل اللسان ، (والفعل سَلَطَ سَلْطَةً وَسَلُوطَةً) . وَرَجُلٌ سَلِيطٌ أَيْ فَصِيحٌ حَدِيدُ السُّلْطَانِ ، وَامْرَأَةٌ سَلِيطَةٌ : حَدِيدَةُ السُّلْطَانِ / طَوِيلَةُ السُّلْطَانِ / صَخَابَةٌ .

انظر لسان العرب (سلط) ٧/٣٢٠ .

كما أورد الجاحظ قول ثمامة بن الأشرس في مدح جعفر
ابن يحيى البرمكي حيث قال : " ما رأيتُ أحداً كان لا يتحبس ، ولا يتوقف
ولا يتلجلج ، ولا يتنحج ، ولا يرتقب لفظاً قد استدعاه من بُعد ، ولا يلتبس
التخلص إلى معنى قد تعصى عليه طلبه ، أشدَّ اقتداراً ، ولا أقلَّ تكلفاً ،
من جعفر بن يحيى " . (١)

فكلمة ثمامة هذه كأنها تُفصّل أنواع العيِّ وصوره من التحبس
والتوقف إلى التلجلج والتنحج إلى عدم مواتاة اللفظ المناسب ، ثم إلى
عسر تلخيص المعنى المراد .

ويجمل ذلك كله من معنى العيِّ أنه عدم احسان القول والفداه
وعدم الاتجاه للحجة . (٢) فالعيِّ قد لا يُحسن النطق ، وقد لا يُحكم
التعبير عن حاجته ، وقد يأتي بكلام لا يُيهتدى إليه ، إما لغياب الفكرة ،
أو لغياب اللفظ أو العبارة المناسبة .

وقد عم الجاحظ معنى العيِّ من حيث هو عدم احسان العمل
مستشهداً بوصفهم الجمل الذي لا يُحسن الضراب بأنه عياياء ، ويقول
بشار الأعمى :

وعِيُّ الفَعَالِ كَعِيِّ المَقَالِ وفي الصَّمْتِ عِيٌّ كَعِيِّ الكَلِمِ . (٣)

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/١٠٦ .

(٢) انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/١١٠ .

(٣) انظر نفس المرجع ١/٤ .

والاحتكام إلى المعجم يوه يد ذلك التعميم لمعنى العيِّ :
فقد جاء في اللسان : "أَعْيَا الماشي : كَلَّ ، وأَعْيَا السير البعير ونحوه
أَكَلَه وَطَلَّه ، وَعِيَّ بِالْأَمْرِ وَعَيْيَ وَهُوَ عِيٌّ وَعَيْيٌّ وَعِيَّانٌ : عجز عنه ولم
يُطِيقْ إِحْكَامَهُ . والرجل يتكلف عملاً فَيَعْيَا به وعنه إذا لم يهتد لوجه
عمله " أ . هـ

فالتركيب يدل على العجز عن أداء الشيء أو عن إحكامه
ومعرفة وجهه . ومنه المعاياة : أن تأتي بكلام لا يهتدى له .
ويقال عَيْيْتُ فلانا / أي جهلته " . ومن ذلك قالوا : " عَى نسي
المنطق حصر " . وقالوا : " عَى الرجل عن حجته " . قال الجوهري :
" ورجلٌ عَيَايَا إِذَا عَى بِالْأَمْرِ وَالْمَنْطِقِ " . (١)

نخلص من هذا إلى أن العيِّ في مجالنا هذا يعني العجز
عن الكلام بصورة ما . وإذا نظرنا إلى ما أسلفنا من كلام الجاحظ وما
رواه عن ثامة ، وإلى ما عني بوصف البعير بأنه عيايا ، وإلى تفسير
العيِّ بالعجز ، وعدم الاهتداء للوجه ، والجهل . ترجح لدينا أن العيِّ
قد يعني العجز الحقيقي الكلي عن الكلام لعله بدنية أو نفسية مثلا .
ثم قد يُطلق على العجز غير الحقيقي كالعجز الموهقت لخرج أو
خجل أو زهاب الفكرة أو العبارة ، وعلى العجز الجزئي كالأداء المعيب
من لُغْة وُرْتَّة وُحْبَسَةُ الخ . . . على سبيل المبالغة في وصفها .

(١) انظر لسان العرب مادة (عَيَا) (١١٢/٥)

ويوه يد هذا ما جاء في اللسان (حَصْر) : " الحَصْرُ ضَرْبٌ
من العِيِّ " (١) . وهذا فإن العِيَّ يصلح عنوانا عاما لكل عيوب النطق
والأداء اللغوي . قال حميد بن ثور الهلالي :

أَتَانَا وَلَمْ يَعْدِ لَهُ سَحْبَانِ وَأَسْلَلِ
بَيَانًا وَعِلْمًا بِالذِي هُوَ قَائِلٌ
فَمَا زَالَ عَنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ
مِنَ الْعِيِّ لَمَّا أَنْ تَكَلَّمَ بِأَقْلٍ (٢)

ولقد أورد الجاحظ عدّة أمثلة ونماذج لأقوال أشخاص عرفوا
بالعِيِّ من ذلك قول أبي عبد الملك : كان عياش - وثمامة حي - يُعظِّمني
تعظيما ليس في الدنيا مثله .

وقال له عياش بن القاسم : بأيّ شيء تزعمون أن أبا عليّ
الأسواريّ أفضل من سلام أبي المنذر ؟ قال : لأنه لما مات سلام أبو المنذر
ذهب أبو عليّ في جنازته ، فلما مات أبو عليّ لم يذهب سلام في جنازته . (٣)

ووجه العِيِّ هنا هو هذه المبالغة الفجّة ، وطلبه مثلا للتعظيم ،
وافتيقاره هذا المثل في الدنيا وانفكاك ترحب^{على} هذا التعظيم الذي لا مثل
له على حياة ثمامة . كما يتمثل الحمق أيضا في العيب على ميت سابق ، أنه

- (١) انظر لسان العرب مادة (حصر) ٤ / ١٩٣ .
(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١ / ٦ ، واللقم هو : مصدر لقم بمعنى سدّ فمه
قال الجاحظ سحبان مثل في البيان ، وما قل مثل في العي .
(٣) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ٢٣٤ .

لم يشترك في جنازة ميت لاحق .

وكتب إلى بعض الأمراء : " أبقاك الله ، وأطال بقاءك ، ومدد في عمرك " (١) فهذا تكرار لمعنى واحد بعبارات ثلاث تكفي إحداها لأن ذلك المعنى . ومر ابن أبي علقمة ، فصاح به الصبيان فهرب منهم ، وتلقاه شيخ عليّة ضفيرتان ، فقال له : ﴿ يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ﴾ (٢) .

فليس في الأطفال وصياحهم به نسبة إلى كثرة يأجوج ومأجوج وفسادهم في الأرض .

وقال المهلب لرجل من بني ملكان ، أحد بني عدى : متى أنت (أى متى ولدت ؟ أو كم سنك ؟) قال : أيام عتيبة بن الحارث بن شهاب (فربط تاريخ مولده بواحد من عامة الناس) . وأقبل على رجل من الأزد فقال : متى أنت ؟ فقال : أكلت من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامين (فعبر عن تاريخ مولده أسوأ تعبير) . فقال له المهلب : أطعمك الله لحمك : (٣)

فهذه الروايات والنماذج التي أوردها الجاحظ تدل دلالة واضحة على أن الشخص العيسى يأتي بكلام لا وجه له .

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ٢٣٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

كما تعرض الجاحظ لصفات ذميمة منها العي حيث قال : " ويقال :
فلان أحق فلذا قالوا مائق ، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه ، وكذلك
إذا قالوا أنوك . وكذلك إذا قالوا رقيق . ويقولون : فلان سليم الصدر ،
ثم يقولون عي ، ثم يقولون أبله . وكذلك إذا قالوا معتوه ومسلس وأشباه
ذلك " . (١)

فبالرغم من أن العي يأتي متوسطا هذه المجموعة إلا أنه
من أكثر العيوب كراهةً وبغضاً عند الناس . قال أبو عبيدة : إن رؤوبة
صاح في بعض الحروب حينما أبصر رجلا منهم قد طعن فارسا طعنة ،
فصاح : " لا عييا ولا شللا " والعرب تقول : عي آياس من شلل . قال
الجاحظ : لأن العي فوق كل زمانة " . (٢)

فالشخص العي ملامٌ وخصوصا إذا ما تكلف مقامات البلغاء
قال الجاحظ : " وليس ، حَفِظَكَ اللهُ ، مَضَرَّةٌ سَلَاةُ اللِّسَانِ عِنْدَ
الْمَنَازَعَةِ ، وَسَقَطَاتُ الْخُطَلِ يَوْمَ إِطَالَةِ الْخُطْبَةِ ، بِأَعْظَمِ مَا يَحْدُثُ عَنِ
الْعِيِّ مِنْ اخْتِلَالِ الْحُجَّةِ وَعَنِ الْحَصْرِ مِنْ فَوْتِ دَرَكِ الْحَاجَةِ ،
وَالنَّاسُ لَا يُعَيِّرُونَ الْخُرْسَ ، وَلَا يَلْمُونَ مَنْ اسْتَوْلَى عَلَى بَيَانِهِ الْعَجِزُ .
وَهُمْ يَذْمُونَ الْحَصِرَ ، وَيُوَيِّبُونَ الْعِيَّ ، فَإِنْ تَكَلَّفَا مَعَ ذَلِكَ مَقَامَاتِ الْخُطْبَاءِ ،
وَتَعَاطَيَا مَنَازِرَةَ الْبُلْغَاءِ ، تَضَاعَفَ عَلَيْهِمَا الذَّمُّ وَتَرَادَفَ عَلَيْهِمَا التَّأْنِيبُ " .
ولهذا نجد الناس يتعوزون من شرهما .

(١) البيان والتبيين ١ / ٢٥٠ .

(٢) نفس المرجع ١ / ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٣) نفس المرجع ١ / ١٢ .

الحَصْرُ :

لم يذكر الجاحظ تعريفا واضحا للحصر وإنما كان حديثه عنه يشتمل على عدّة جوانب منها ، تهوون الناس قديما من شر العيِّ والحَصْر وكان الجاحظ ممن تعوذ من شرهما وذلك في مقدمة كتابه البيان والتبيين . ولقد آورد قول النمرين تولى :

أَعِدْنِي رَبِّ مِنْ حَصْرٍ وَعَيٍّْ
وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجَهَا عِلَاجًا

كما تحدث الجاحظ عن نفور الناس من الحَصْرِ إذا ما تكلف مقامات الخطباء . قال أبو عثمان : " وليس ، حَفِظَكَ اللهُ ، مَضْرَعُ سُلْطَنَةِ اللِّسَانِ عِنْدَ الْمُنَازَعَةِ وَسَقَطَاتِ الْخَطْلِ يَوْمَ إِطَالَةِ الْخُطْبَةِ ، بِأَعْظَمِ مَا يَحْدُثُ عَنِ الْعَيِّْ مِنْ اخْتِلَالِ الْحُجَّةِ ، وَعَنِ الْحَصْرِ مِنْ فَوْتِ دَرَكِ الْحَاجَةِ " .^(١)
يؤخذ من كلام الجاحظ هذا أن الحَصْرَ هو أن يعجز الإنسان - بصورة ما - عن التعبير أو إحسان التعبير عن حاجته ، فتفوته إدراك حاجته فلا يتحصّلها . وقد يكون سبب ذلك المعجز هو الحرج أو الحياء أو خلل عضوي أو عصبي أو عجز فكري أو لفظي .

وفي لسان العرب لابن منظور تعريف يوء يد ما أرادَه الجاحظ قال : " الحَصْرُ : ضَرْبٌ مِنَ الْعَيِّْ . حَصَرَ الرَّجُلُ حَصْرًا مِثْلَ تَعَيَّبَ تَعَيَّبًا ، فَهُوَ حَصِرٌ : عَيٌّ فِي مَنْطِقِهِ وَقِيلَ : حَصِرَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ .

وقيل : الحَصْرُ : نَشْبُ الدُّرَّةِ فِي الْعُرُوقِ مِنْ خَيْبِ النَّفْسِ وَكَرَاهَةِ الدُّرَّةِ . وَحَصَرَهُ وَأَحْصَرَهُ : كَلَاهُمَا حَبْسَةً عَنِ السَّفَرِ . وَأَحْصَرَهُ الْمَرَضُ مَنَعَهُ مِنَ السَّفَرِ أَوْ مِنْ حَاجَةٍ يَرِيدُهَا .

(١) انظر البيان والتبيين ١/١٢٠

ويؤخذ من هذا أن تركيب (ج ص ر) يستعمل في الدلالة على الحبس أو الاحتباس عن أداء الشيء لمانع عارض، أى غير أصيل أو دائم، كما تحصر الناقة عن الحلب، أى تحتبس عنه مع وجود اللبن بدليل قوله "نَشَبَ الدَّرَّةَ فِي العُرُوقِ" أى أن الدَّرَّةَ موجودة لكنها لا تنزل. وكذلك الأمر في منع المرض الإنسان عن السفر أو من غيره. فالمرض عارض حبس القدرة الموجودة أصلاً. ثم جاء في اللسان ما يوضح ذلك في موضوعنا قال "وفي حديث زواج فاطمة رضوان الله عليها، فلما رأت علياً جالساً إلى جنب النبي صلى الله عليه وسلم حَصِرَتْ وركت أى استحييت وانقطعت (يعني عن الكلام الذى كانت تريد أن تقوله) كَأَنَّ الأَمْرَ قد ضاقَ بها كما يضيق الحبس على المحبوس" (١) أ. هـ

وواضح أن السيدة فاطمة رضي الله عنها كان عندها القدرة الكاملة على الكلام وعندها الفكر الذى تريد أن تصوغه كلاماً ولكنها لما رأت علياً مع أبيها صلى الله عليه وسلم حَصِرَتْ، أى احتبست عن الكلام حياءً لا عجزاً. فالحصر إذا الاحتباس عن الكلام كليةً في موقف معين لعارض كالحياء.

ثم يؤخذ من قوله في اللسان "حَصِرَ لم يقدر على الكلام. والحَصْرُ ضيق الصدر. قال تعالى ﴿أَوْجَاءُ وَكَمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معناه ضاقت صدورهم عن قتالكم وقاتل قومهم". يؤخذ من هذا ومن الحديث عن حَصْرِ السيدة فاطمة أن الحَصْرَ بمعنى الاحتباس عن الكلام لعارض قد يكون العارض فيه ضيق الصدر أو الحرج لأن الموقف مهيب مثلاً، أو لفقدان الفكر الذى يمكن أن يعبر عنه، أو القدرة على تكوين الكلام المعبر عن الفكرة، كما قد يكون العارض فيه الخوف من الكلام في الموقف أو من عاقبته.

وبعد الكلام على المصطلحين العامين اللذين ذكرهما الجاحظ :
العِيَّ والحَصْر ، نتكلم الآن عن كل من أقسام عيوب النطق الثلاثة التي
أسلفنا ذكرها .

أولا : عيوب النطق العضوية :

أسلفنا أن هذه العيوب هي التي سببها خلل أو عيب واضح في جهاز
النطق أو أحد أعضائه . وها نحن أولاء نتناولها :

١ - الخرس :

لقد ذكر الجاحظ الخرس في أثناء حديثه عن العيوب النطقية
وعده من ضمن عيوب النطق ولكنه لم يضع له تعريفا واضحا
ولم يحدّد معناه ، وإنما أشار إليه في أثناء حديثه عن العِيَّ والحَصْر
حيث قال : " وليس ، حَفِظَكَ اللهُ ، مَضْرَةً سَلَاطَةَ اللُّسَانِ عِنْدَ الْمَنَارِزَةِ ،
وَسَقَطَاتِ الْخُطْلِ يَوْمِ إِطَالَةِ الْخُطْبَةِ ، بِأَعْظَمِ مَا يَحْدُثُ عَنِ الْعِيَّ مِنْ
اِخْتِلَالِ الْحُجَّةِ ، وَعَنِ الْحَصْرِ مِنْ فَوْتِ دَرَكِ الْحَاجَةِ ، وَالنَّاسِ لَا يُعَيِّرُونَ
الْخَرَسَ ، وَلَا يَلْمُونَ مَنْ اسْتَوْلَى عَلَى بَيَانِهِ الْعَجْزُ .

وهم يذمون الحَصِرَ وَيُؤَيِّبُونَ الْعِيَّ . . . " (١)

كما أورد قول جرير : " الْخَرَسُ خَيْرٌ مِنَ الْخِلَابَةِ " (٢)

وقال أبو عمر الضَّرِيرُ : " الْبَكْمُ خَيْرٌ مِنَ الْبِدَاءِ " . (٣)

فالأقوال الثلاثة التي ذكرها الجاحظ آنفا لم يُشر فيها إلى معنى

الْخَرَسِ أو تعريفه . وبالرجوع إلى لسان العرب وجدنا أن " الْخَرَسُ :

زَهَابُ الْكَلَامِ عِيًّا أَوْ خِلْقَةً ، خَرَسَ خَرَسًا وَهُوَ آخِرَسٌ " (٤) . إذا فمعنى

الْخَرَسِ هنا هو عدم القدرة على الكلام نهائيا . أي أنه لا يمنع أول الكلام

فقط كما في الرُّتَّةِ ، وإنما لا يتكلم نهائيا . وقد سلفت لنا موازنة بين

(١) انظر البيان والتبيين ١/١٢٠ .

(٢) نفس المرجع ٢/٦٩ .

والخِلَابَةُ : هي الخداع انظر لسان العرب مادة (خَلَب) ١/٣٦٧ .

(٣) انظر البيان والتبيين ٢/٦٩ .

الْبِدَاءُ : الأزدراء والاحتقار . وقيل : المُفَاخِشَةُ . انظر لسان

العرب مادة (بَدَأ) ١/٣٠ .

(٤) انظر لسان العرب مادة (خَرَس) ٦/٦٣ .

(١) الخرس والبكم ذكرنا فيها أن ثابتا، والأزهري قطعاً بأن الخرس من ذهب الكلام نهائياً خلقة، وأن البكم هو عدم احسان وجه الكلام والجواب وإن كانت القدرة على النطق موجودة وكلام الجاحظ هنا يؤيد ذلك لأنه يقرر أن الناس يلومون العمي والحصر، ولا يلومون الاخرس. وإنما ذلك لأنه خلق ذهاب الكلام هكذا فلا ذنب له. أما العمي والحصر فلوما لم يعدم احسانهما الكلام مع قدرتهما عليه.

٢- اللُّثْفَةُ :

لقد تكلم الجاحظ عن اللُّثْفَةِ دون أن يضع لها تعريفاً أو يحدِّد معناها، وإنما كان حديثه عنها من جوانب أخرى.

ومن خلال تقصينا لهذه الجوانب وجدنا أن ما قاله عن اللُّثْفَةِ وكيفيتها يطابق في معناه ما جاء في الكامل للمبرد من تعريف، فقد جاء في الكامل أن اللُّثْفَةُ هي : " أن يعدل بحرف إلى حرف " (٢).

أما ما ذكره الجاحظ عن اللُّثْفَةِ ويُطابق هذا التعريف فهو قوله : " فاللُّثْفَةُ التي تعرض للسَّيْن تكون ثاءً ، كقولهم لأبي يكسوم : أبي يكسوم ، وكما يقولون بُشْرَةً ، إذا أرادوا بُسْرَةَ . وبِشْمِ الله ، إذا أرادوا بِسْمِ الله .

والثانية : اللُّثْفَةُ التي تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول : قلت له ، قال : طُلت له ، وإذا أراد أن يقول : قال لي ، قال : طال لي .

ثالثاً : اللُّثْفَةُ التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياءً فيقول بدل قوله : اعتلت : اعتلَّيت ، وبدل جمل : جَمِي . وآخرون يجعلون اللام كافاً ، كالذي عرض لعمر أخي هلال ، فإنه إذا أراد أن يقول : ما العلة في هذا ، قال : مَكْعَكَّة في هذا .

(١) انظر ص ٢١١ - ٢١٢ من هذه الرسالة .

(٢) انظر الكامل للمبرد ٥٧٨/٢ .

رابعاً : اللثفة التي تقع في الراء ، فإن عددها يضعف على عدد لثفة اللام ، لأن الذي يعرض لها أربعة أحرف : فمنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عني ، فيجعل الراء ياءً ، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عمنغ ، فيجعل الراء غينا . ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو ، قال : عمد فيجعل الراء ذالا ، وإذا أنشد قول الشاعر :

واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

قال :

واستبدت مذة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

فمن هو لاء علي بن الجنيد بن فريدي .

ومنهم من يجعل الراء ظاءً معجمة . . . (١) .

ويلحظ أنه لم يذكر من يجعل الراء لاما ، مع كثرة ذلك .

وجاء في لسان العرب لابن منظور أن اللثفة هي : " أن تعدل

الحرف إلى حرف غيره .

والألثغ : الذي لا يستطيع أن يتكلم بالراء ، وقيل : هو

الذي يجعل الراء غيناً أو لاماً ، وقيل : هو الذي يتحول لسانه عن

السين إلى الثاء ، وقيل : هو الذي لا يتم رفع لسانه في الكلام ،

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/٣٤، ٣٥ .

وقيل : هو الذي قَصَرَ لسانه عن موضع الحرف وَلَحِقَ مَوْضِعَ أَقْرَبِ الحروف من الحرف الذي يَمَسُّ لسانه عنه .^(١)

فبالنظر لما سبق نجد أن معظم الأَقوال والتعريفات التي وردت في الكامل واللسان تطابق - في معظمها - ما قاله الجاحظ عن اللُّثْفَةِ ، فبهذا يكون المعنى الذي أرادَه الجاحظ عن اللُّثْفَةِ هو المعنى المعروف عموماً ولذلك نجد أن التعريفات كلها قد وافقت المعنى الذي يقصده الجاحظ ، ولكن ذلك التعريف الذي ذكره المبرد ووجدنا أنه يفسر ما قاله الجاحظ في هذا الصِّدْر ، يصدق أيضاً على العدول بحرف إلى حرف بسبب العُجْمَةِ ، أي عُجْمَةِ المتكلم . وهذا النوع الذي بسبب العُجْمَةِ يدخل في تعريف اللُّكْنَةِ . وعلى ذلك فإنه للفصل بين الظاهرتين ينبغي أن نضيف قيداً إلى تعريف المبرد فنقول : إن اللُّثْفَةَ هي أن يعدل بحرف إلى حرف بغير عجمة . وهناك أمثلة كثيرة عن أصحاب اللُّثْفِ وردت في كتاب البيان والتبيين للجاحظ منها : لثْفَةُ واصل بن عطاء وسليمان بن يزيد العدويُّ الشاعر ، والتي ليس إلى تصويرها سبيل ، وأيضاً اللُّثْفَةُ التي تعرض لمحمد بن الحجاج ، كاتب داود بن محمد ، كاتب أم جعفر ، فإن تلك أيضاً ليس إلى تصويرها سبيل ، وإنما يصورها اللسان ، وتتأدى إلى السمع .

(١) انظر لسان العرب مادة (لثغ) ٨ / ٤٤٨ .

كما ذكر الجاحظ أن هناك من تجتمع فيه لُثْفَتَانِ في حرفين ،
مثل لثفة شَوْشِي ، فإنه كان يجعل اللام ياءً والراء ياءً . قال مرةً :
مَريايَ وَيِيَّ أَيِّي . يريد مولاى وليَّ الرِّى .

وهناك أيضا (محمد بن شبيب) الذى يجعل الراء غينا .
ولقد ذكر الجاحظ أن اللثفة التي في الراء إذا كانت بالماء
فهي أحقرهنَّ وأضعفهنَّ لدى المروءة ، ثم التي على الظاء ، ثم التي على
الذال . فأما التي على الفين فهي أيسرهنَّ ، وأقلها قبحا وأوجدها في ذوى
الشرف وكبار الناس وبلغائهم وعلماهم . (١)

كما نوه الجاحظ إلى أن الناس كانوا يستملحون اللثفاء إذا
كانت حديثة السن ، ومقدودةً مجدولةً فإذا أسنتُ واكتمهلتُ تغيرَ ذلك
الاستلاح . (٢)

وخلاصة الأمر أن اللثفة هي العدول بحرف إلى حرف آخر
بغير عجمة .

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) نفس المرجع ١ / ١٤٦ .

(٣) - العُقْلَةُ :

قال الجاحظ في تحديد معنى العقلة : " ويقال في لسانه
عُقْلَةٌ ، إِذَا تَعَقَّلَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ " . (١)

وهذا يعني أنه لا يستطيع الكلام والإبانة عن نفسه . فكأن
لسانه قد ثَقُلَ وَرُبِطَ عَنِ الْكَلَامِ ، أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِمْ : عَقَلْتُ الْبَعِيرَ ، أَيْ
شَدَرْتُ وَظَيْفَهُ مَعَ زِرَاعِهِ فِي وَسْطِ الذَّرَاعِ بَعْدَ ثَنِيهِ عَلَيْهِ .

وفي الكامل للمبرد ما يؤيد هذا القول فقد قال : " العُقْلَةُ
التواء اللسان عند إرادة الكلام " . (٢)

فهذا الالتواء يربط اللسان ويعوقه عن الإفصاح والإبانة .

وفي لسان العرب ورد قوله : " اَعْتَقَلَ لِسَانَهُ إِذَا حُبِسَ وَنُوعِ
الْكَلَامِ . وَاعْتَقَلَ لِسَانَهُ : اِمْتَسَكَ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : مَرِضٌ فُلَانٌ فَأَعْتَقَلَ

لسانه ، إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ . قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

وَمَعْتَقَلَ اللِّسَانَ بِغَيْرِ خَبَلٍ يَمِيدُ كَأَنَّهُ رَجُلٌ أَمِيمٌ

وَالْخَبَلُ : الشَّلَلُ (٣) . وَيُؤَيَّدُ خِذَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْعُقْلَةَ قَدْ

تكون بسبب الشلل أو ما يشبهه ، كالذي يقع عند الاحتضار . كما

يؤيد خذ من اعتقال اللسان عند المرضى كما في قول الأصمعي ، ولهذا
وضعناها في العيوب العضوية .

نخلص من هذا كله بأن العقلة : احتباس عن الكلام بسبب

توقف اللسان . كالذي يحدث عند المرض والاحتضار أحيانا .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٣٩/١ .

(٢) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ٥٧٨/٢ .

(٣) انظر لسان العرب مادة (خبل) ١٩٧/١١ .

٤- الحُكَّة :

قال الجاحظ في تحديد معنى الحُكَّة : " إذا قالوا في لِسَانِهِ حُكَّةً فإنما يذهبون إلى نُقْصَانِ آلةِ المنطق ، وَعَجْزِ أَدَاةِ اللُّغْظِ ، حَتَّى لَا تُعْرَفَ مَعَانِيهِ إِلَّا بِالِاسْتِدْلَالِ " . (١)

وقال أيضا : " يُقَالُ فِي لِسَانِهِ حُكَّةٌ . إِذَا كَانَ شَدِيدَ الْحُبْسَةِ مَعَ لَشَعٍّ " . (٢) قال محمد بن زوءب في مديح عبد الملك بن صالح :
وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحَكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تَسَاوَدَ أُخْرَى لَمْ يَغْتَهُ سِوَاهَا (٣)
ونجد في لسان العرب عِدَّةُ أقوالٍ للحُكَّةِ تَقْرِبُ مَا قَالَه الجاحظ ، مِنْهَا مَا قَالَه ابن سيدة : " الْحُكْلُ مِنَ الْحَيَوَانِ مَا لَا يُسْمَعُ لَهُ صَوْتٌ كَالذَّرِّ وَالنَّمْلِ " .

وقال ثعلب : " كَلَامُ الْحُكْلِ ، كَلَامٌ لَا يُفْهَمُ . وَقِيلَ : " الْحُكَّةُ كَالعَجْمَةِ ، لَا يُبَيِّنُ صَاحِبُهَا الْكَلَامَ . وَالْحُكَّةُ وَالْحَكِيلَةُ : اللُّثْفَةُ " .
وقال ابن الأعرابي : " فِي لِسَانِهِ حُكَّةٌ أَيْ عَجْمَةٌ لَا يُبَيِّنُ الْكَلَامَ " . (٤)

إذا فالحكمة كلام لا يبين لخفائه وخفاء أصواته ومقاطعته ،
إما لضياح بعض الأصوات الأبهجدية لعيب ونقص في آلة النطق ، وإما لانخفاضه ودخول بعضه في بعض فلا تتبين معالمه .
فالمراد بالحُكَّةُ عموماً هو عجز اللسان عن إبانة الكلام ووضوحه .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٤٠/١ .

(٢) نفس المرجع ٣٢٥/١ . وانظر الحيوان للجاحظ ٢١/٤ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ٤٠/١ . السواد : السرار .

(٤) انظر لسان العرب مادة (حكل) ١١٦٢/١١ .

هـ - دِقَّةُ الصَّوْتِ : (الصَّيِّئُ)

دقة الصوت من العيوب النطقية التي لم يذكر لها الجاحظ تعريفاً ،
لوضوح معناها الذي يفهم - كما يفهم سببها - من قول " وَأَعْيَبُ عِنْدَهُمْ
مِن دِقَّةِ الصَّوْتِ وَضِيقِ مَخْرَجِهِ ، وَضَعْفِ قُوَّتِهِ أَنْ يَفْتَرِيَ الْخَطِيبَ الْبُهْرَ الخ .
فالدِّقَّةُ هنا ضد الغلظ أي كون الصوت رفيفاً حاداً كأصوات الأطفال
والنساء . وسبب هذا هو " ضيق المخرج وضعف القوة " كما ذكر - إذا فهمنا
ضيق المخرج على أن يشمل ضيق الحنجرة الذي يترتب عليه قصر الأوتار
الصوتية ، ويشمل ضيق تجاويف الجهاز الصوتي : الحلق والغم وغيرهما .
ومن هنا عدنا هذا عيباً عضوياً .

والصوت الدقيق يُشبهه أصوات الفراريج وهو الصَّيِّئُ : جاء في اللسان
أَنَّ الصَّيِّئُ صَوْتُ الْفَرْخِ . صَايَ الطَّائِرُ وَالْفَرْخُ وَالْفَأْرُ وَالْخِنْزِيرُ وَالسَّنُورُ . (٢)
وقد جاء تشبيه الصوت الدقيق بصوت الفروج في شعر ذكره الجاحظ فسي
كلامه عن عيب دقة الصوت هذا .

قال الجاحظ : " وكانوا يمدحون الجهمير الصوت ، ويذمون الضئيل
الصوت ، ولذلك تشادقوا في الكلام ، ومدحوا سعة الغم ، وذموا صغر
الغم " . (٣)

وقال : وَأَعْيَبُ عِنْدَهُمْ مِنْ دِقَّةِ الصَّوْتِ وَضِيقِ مَخْرَجِهِ ، وَضَعْفِ قُوَّتِهِ
أَنْ يَفْتَرِيَ الْخَطِيبَ الْبُهْرَ وَالْارْتِعَاشَ وَالرَّعْدَةَ ، وَالْعَرَقَ ، (٤) . وأورد قول
سلمة بن عياش :

كَأَنَّ بَنِي رَأَانَ إِذَا جَاءَ جَمْعُهُمْ فَرَارِيجٌ يَلْقَوْنَ بَيْنَهُنَّ سَوِيْقُ

وعقب عليه بقوله " فقال ذلك لدقَّةِ أصواتهم ، وعجلة كلامهم " . (٥)

- (١) البيان والتبيين ١/١٣٣ .
(٢) لسان العرب (صاى) ١٤/١٤٤٩ .
(٣) البيان والتبيين ١/١٢٠ .
(٤) نفس المرجع ١/١٣٣ .
(٥) نفس المرجع ١/٣٩ .

٦ - العُقْدَةُ :

العُقْدَةُ من العيوب النطقية التي لم يضع لها الجاحظ تعريفاً محدداً وإنما تحدث عنها حديثاً عاماً وشاملاً ، وقد تعرض فيها لعُقْدَةِ موسى عليه السلام الذي بعثه الله سبحانه وتعالى إلى فرعون لِيُبَلِّغَ رسالته ، فطلب موسى عليه السلام مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَحِلَّ لَهُ عُقْدَةُ لِسَانِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ (١) . فهناك آيات كثيرة تتحدث عن لُثْغَةِ موسى وَرَدَّ فرعون عليه ، منها قوله تعالى :

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾ (٢) ، أما رَدُّ فرعون الذي يجحد فيه ويعاند فهو ما خبرنا به الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكْفُرُ يَبِينٌ ﴾ (٣) .

فبالنظر لما سبق نجد أن الآيات الكريمة والتي أوردتها الجاحظ في كتابه تشير إلى أن العُقْدَةَ في اللسان تجعل الشخص المصاب بها لا يَكْفُرُ يُبَيِّنُ عما يريد ، إلى جانب كونها تُقيد اللسان ولا تجعله ينطق بالحديث . والآيات السابقة أكبر شاهد على ذلك .

ولقد جاء في اللسان قوله : " وفي لِسَانِهِ عُقْدَةٌ وَعَقْدٌ أَبِي التَّوَاءِ . وَرَجُلٌ أَعْقَدَ وَعَقِدٌ : فِي لِسَانِهِ عُقْدَةٌ أَوْ رَتَجٌ ، وَعَقْدَ لِسَانَهُ يَعْقِدُ عَقْدًا " .

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٧/١ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

فالالتواء في اللسان يسبب ثقلاً يعوق اللسان عن
الحركة السريعة ما يؤدى بالشخص المصاب بها إلى الإبهام وعدم
الوضوح والإبانة في أثناء الحديث ، لذلك نجد أن النبي موسى
عليه السلام قد دعا رَبَّهُ أن يُرسل معه أخاه هارون ليساعده في
دعوته وذلك في الآيات التي أخبرنا بها الله عز وجل حيث قال :

* قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ، يَفْقَهُوا
قَوْلِي ، وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي ، هَارُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ
فِي أَمْرِي * إِلَى قَوْلِهِ * بِعَمَلٍ قَدَّأَوْتِيتَ سُوءَ لَكَ يَا مُوسَى * (١)

فاستجاب الله تعالى لدعوته وحقق له جميع ما طلب وأطلق
لسانه ليقوم بدعوته على أكمل وجه ، رغم ما أعطاه من الحُجَّة البالغة
والعلامات الظاهرة ، والبرهانات الواضحة ، إلى أن حلَّت تلك العُقْدة
وأطلق تلك الحُبْسة ، وأسقط تلك المحنة وذلك من أجل الحاجة
إلى حُسن البيان وإعطاء الحروف حقها من الفصاحة . (٢)

إذاً نخلص من هذا كله إلى أن العُقْدة صفة مشتركة مع الحُبْسة
فكلاهما يؤدى إلى احتباس الكلام وتوقفه وتعذر خروجه عند إرادته
ما يؤدى إلى الإبهام وعدم الإبانة .

(١) سورة طه من آية ٢٤ إلى آية ٣٦ .

وانظر البيان والتبيين ١ / ٨٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

ثانيا : عيوب النطق الوظيفية :

وقد أسلفنا أن هذه العيوب تكون أعضاء النطق فيها سليمة حسب ما يبدو لنا ، لكن صاحبها - بالرغم من ذلك - لا ينطلق في استعمال اللغة بصورة سليمة . ومن المحتمل أن يكون لتلك العيوب أسباب عصبية أو نفسية ، أو يكون أصلها مجرد عادات نطق سيئة تولدت عند صاحبها ثم لازمته بحيث أصبح التخلص منها صعبا . وسنتناول هنا ما ذكره الجاحظ مما يدخل في هذا النوع .

١ - الحُبْسَةُ :

قال الجاحظ في تحديد معنى الحُبْسَةِ " وَيُقَالُ فِي لِسَانِهِ حُبْسَةٌ ، إِذَا كَانَ الْكَلَامُ يَثْقُلُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الْفَأْفَاءِ وَالتَّمَامِ " . (١)

وكلام الجاحظ هنا صريح في أن من معنى الحُبْسَةِ ثِقَلُ الْكَلَامِ . وهذا يعني بطء صاحب الحُبْسَةِ في ابتداء نطق الكلام ، وفي متابعة الكلام أيضا ، بحيث قد يتوقف قبل النطق ، أو أثناءه ، ويكون بطيئا في متابعة الكلام أيضا . كما يؤخذ من قول الجاحظ عن صاحب الحُبْسَةِ أنه لا يبلغ حدَّ الفأفأ والتتمام ، أن صاحب الحُبْسَةِ قد يردد بعض بدايات الكلمات أو بعضها ولكنه لا يلزم ذلك كما ونوعا كالتتمام والفأفأ .

وقد جاء بعض تعريف الحُبْسَةِ هذا في كلام المبرد حيث قال :

" الحُبْسَةُ تَعَذُّرُ الْكَلَامِ عِنْدَ إِرَادَتِهِ " (٢) فهذا التعذر يتعلل في التوقف

قبل النطق أو أثناءه ، على ما ذكرنا من قبل . وكذلك جاء في لسان العرب (٣) أن الحُبْسَةَ وَالْإِحْتِبَاسَ فِي الْكَلَامِ يَعْنِي التَّوَقُّفَ قَالَ " وَتَحَبَّسَ فِي الْكَلَامِ : تَوَقَّفَ " .

(١) البيان والتبيين ٣٩/١ ، وانظر الحيوان للجاحظ ٢١/٤ .

(٢) الكامل للمبرد ٥٧٨/٢ .

(٣) لسان العرب (حبس) ٤٦/٦ .

٢ - الرُّتَّةُ :

أشار الجاحظ إليها في قوله : " وليس اللِّجَالَجُ والتَّتَمَامُ والأَلْشَغُ
وَالْفَأْفَاءُ وذو الحُبْبَةِ والحَكْلَةُ والرُّتَّةُ وذو اللَّفْفِ والعَجَلَةُ ، في سبيل
الحَصْرِ في خُطْبَتِهِ ، والعَيْبِيُّ في منازلة خصومه ، كما أن سبيل المُنْحَمِ
عند الشعراء ، والبيكبيء عند الخطباء ، خلاف سبيل المُسَهَبِ الثَّرَارِ ،
والخَطِطِ المِكْثَارِ " . (١)

ويقصد الجاحظ بهذه العبارة أن جميع هذه العيوب النطقية
أخف وأهون من الإنسان الحَصْرِ العيِّ الذي يعجز عن التعبير عما في نفسه
أو عن حُجَّتِهِ ، ورغم ذلك يقف مقام الخطباء .

فالجاحظ هنا قد ذكر الرُّتَّةَ من ضمن هذه العيوب دون تحديد
معناها ، ولقد جاء في الكامل للمبرد أن الرُّتَّةَ هي : " تَعَذُّرُ الكَلَامِ
إِذَا أَرَادَهُ الرَّجُلُ . وقال : هي كَالرَّتَجِ (٢) تمنع أول الكلام ، فإذا
جاء منه شيء اتصل " . (٣)

أما في لسان العرب فقد وردت فيه عدَّة أقوال وتعريفات ، إلا
أنني اعتمدت على التعريفات التي تشابهت في معناها عند أكثر الأئمة ،
من ذلك قول أبي عمرو : الرُّتَّةُ رَدَّةٌ قَبِيحَةٌ في اللِّسَانِ من العيب ، وقيل :
هي العُجْمَةُ في الكَلَامِ ، والحَكْلَةُ فيه .

(١) انظر البيان والتبيين ، ١ / ١٢٠ .

(٢) للرَّتَجِ صورتان : الصورة الشائعة أن يكون الإنسان في موقف
يتطلب منه الكلام فيرتج عليه ، فلا يجد ما يقوله وهذا ليس
عييبا في اللسان وإنما هو من غياب الفكر .

الصورة الثانية : وهي ما سميت بالرُّتَّةِ وهي أن يجد عوائق في نطق
الكلام ، فقد يعتقل لسانه عن الكلام ثم ينطلق به بعد ذلك .

والمبرد يقصد في تعريفه للرُّتَّةِ الصورة الثانية للرَّتَجِ وذلك في
قوله : " الرُّتَّةُ : كَالرَّتَجِ تمنع أول الكلام ، فإذا جاء منه شيء اتصل " .
انظر الكامل للمبرد ٢ / ٥٧٧ - ٥٧٨ .

والرُتَّةُ : كالرُتَجِ (١) ، تمنع منه أول الكلام ، فإذا جاء منه اتصل به . قال : الرُتَّةُ عزيزةٌ ، وهي تكثُرُ في الأُشرافِ .

ابن الأعرابي : رَتَّتَ الرجل إذا تَعَتَعَ في التاء وغيرها* . (٢)

وإذا رجعنا إلى ما سبق نجد أن ثابت بن أبي ثابت قد عرف الرُتَّةَ بقوله : "الأرَّتُ" : الذي لا تَكَارُ كَلِمَتُهُ تسخرج من فِيهِ ، وإنما يُرَدُّ كلامه إلى حَنَكِهِ ، بَيِّنَ الرَّتِّ والرُتَّةَ* . (٣)

نستخلص من هذه التعريفات أن الرُتَّةَ هي : "تَحَبُّسٌ وَتَعَدُّرٌ" عند بدء الكلام ، ويتمثل ذلك في تردد اللسان بحرف أو ترده وتعلقه في كلمة أو جملة ، ثم ينطلق بعد ذلك الكلام ويتصل . فالمنع والاستفلاق لا يكون إلا في بداية الكلام ، بعدها يتصل ويستمر .

ومن هنا نجد أن أكثر التعريفات والمعاني الموجودة في لسان العرب عن الرُتَّةِ توه يد ما قاله المبرد . وبما أن أبا العباس المبرد قد توفي في سنة (٢٨٦) ، والجاحظ توفي في سنة (٢٥٥) ، إذا فهما تقريبا متعاصران ، وعدم تحديد الجاحظ لمعنى الرُتَّةِ لم يكن عن جهل بها أو بمعناها ، وإنما كان ذلك من باب التجاوز عن شيء معروف وواضح في ذلك الوقت .

-
- (١) لقد وردت في اللسان (كالريح) ، وهذا تصحيف . انظر مادة (رت) ٣٤/٢ .
- (٢) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (رت) ٣٤/٢ .
- (٣) انظر ما سبق ص ٢١٥ .

٣ - التَّمَتُّعَةُ :

لقد أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين قول الأصمعيّ
عن التَّمَتُّعَةِ : " إِذَا تَمَتَّعَ اللِّسَانُ فِي التَّاءِ فَهُوَ تَمَامٌ ، وَإِذَا تَمَتَّعَ
فِي الْفَاءِ فَهُوَ فَأْفَاءٌ " . (١)

كما أورد بيتا من الشعر تنافرت ألفاظه قال فيه الشاعر :

وقبر حربٍ بمكانٍ قَفْرٍ وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

قال الجاحظ : " ولما رأى مَنْ لا عِلْمَ له أن أحدا لا يستطيع
أن يُنشدَ هذا البيت ثلاثَ مرّاتٍ في نَسَقٍ واحدٍ فلا يَتَمَتَّعُ ولا يَتَلَجَّحُ ، وقيل
لهم إن ذلك إنما اعتراه إذ كان من أشعار الجن " . (٢)

فالذي يَتَمَتَّعُ ويتردد لِسَانُهُ فِي التَّاءِ يقال له تَمَامٌ ، والذي
يَتَمَتَّعُ ويتردد لِسَانُهُ فِي الْفَاءِ يقال له فَأْفَاءٌ .

وَمِنَ الْكَبَائِرِ يَقُولُ مَتَمَّتْعِمْ جَمُّ التَّنَحْنَحِ مَتْعَبٌ مَبْهُورٌ (٣)

قال الجاحظ : إن بشر بن المَعْتَمِرِ قال هذا البيت عندما شهد
رَيْسَانَ ، أبا بَجِيرِ بْنِ رَيْسَانَ يَخْطُبُ وقد شهدَ الجاحظ هذه الخطبة أيضا
وقال : " لم أرجبانا قطُّ أجراً منه ، ولا جريئاً قطُّ أجبن منه " . (٤)

(١) انظر البيان والتبيين ٣٧/١ م : درويش .

(٢) نفس المرجع ٦٥/١ .

(٣) نفس المرجع ٤١/١ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

والمراد بهذا القول هو : أنه رغم عِيهِ الذي يفرض عليه أن يجنب عن التعرض لموقف الخطابة نراه يقدم ويتقدم ليخطب ، وفي هذا جرأة مذمومة ، ثم إنه عندما يتخذ هذا الموقف يخذله عِيَهُ فيبدو جنبه ويسبهر .

ولقد جاء في اللسان أن التَعْتَعَةَ هي : الحركة العنيفة ، وقد تَعْتَعَهُ إِذَا عَتَلَهُ وَأَقْلَقَهُ .

وَتَعْتَعَةُ الدَّابَّةِ : ارْتِطَامُهَا فِي الرَّمْلِ وَالْخَبَارِ وَالْوَحْلِ مِنْ ذَلِكَ .
وقد تَعْتَعَ البعيرُ وغيره إِذَا سَاخَ فِي الْخَبَارِ أَيْ فِي وُعُوشِ الرَّمَالِ ، قال الشاعر :

يَتَعْتَعُ فِي الْخَبَارِ إِذَا عَلَاهُ ،

وَيَعَشُرُ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ

والتعتععُ : الفأفأ . والتتعتععُ في الكلام : أن يعيا بكلامه ويتردد

من حصر أو عي ، وقد تعتعع في كلامه وتتعتمه العي . ومنه الحديث :
" الذي يقرأ القرآن ويستمتع فيه أي يتردد في قراءته ويتبدل فيها
(١)
لسانه " .

ونخلص من هذا كله إلى أن المعنى الذي جاء في اللسان عن

التعتععة إنما هو تأييد وتأکید لما قاله الجاحظ ، فالمراد بالتعتمعة عندهما هو عسر النطق والتردد في النطق عيًّا .

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (تعع) (٨/٣٥٠)

وإن ما ذكره الجاحظ ، وما جاء في اللسان من قوله تَعْتَمَهُ
إذا عتله وأقلقه ومن أن تَعْتَمَةَ الدابة هي أرتطامها في الرَّمْلِ
والخَبَارِ يعني أن التَعْتَمَةَ في النطق هي الثقل في نطق الكلام
والعجز عن أدائه في طلاقة . ويتشمل ذلك أساسا في التردد في
نطق الكلام أو الحروف لسبب حسي أو غيره ،

٤ - اللَّجْلَجَةُ :

أشار الجاحظ إليه في أثناء تعديده لعيوب النطق الناتجة عن أسباب
عضويه ، (١) كما لم يُعرِّفه المبرد ، ولكن من خلال تفصيلنا لما قاله
الجاحظ وجدنا أن المقصود باللَّجْلَجَةُ عنده هو اضطراب في نطق الكلام
بحيث تتردد بعض ألفاظه فلا يسترسل ، أو تتداخل ويختل نظام الكلام
فيصير غير بيِّن .
ولا يكون هذا التلجلج أو التردد في الكلام ناتجا عن عِيْوٍ
ومرض فقط ، إنما يكون أحيانا بسبب تنافر الألفاظ فيما بينها إذا كانت
مجتمعة مع بعضها البعض قال الشاعر :

وَقَبْرٌ حَرْبٌ بِمَكَانٍ قَفْرٍ وليس قَرَبٌ قَبْرٍ حَرْبٍ قَبْرٍ (٢)

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ١٢/١ .

(٢) نفس المرجع ٦٥/١ .

وجاء في اللسان أن اللَّجْلَجَةَ هي : "ثَقَلُ اللِّسَانِ ، وَنَقَصُ الكَلَامِ ،
وَأَنْ لَا يَخْرُجَ بَعْضُهُ فِي أَثَرِ بَعْضٍ" (١)

"وَاللَّجْلَجَةُ : كَلَامُ الرَّجُلِ بِلِسَانٍ غَيْرِ بَيِّنٍ ، وَهُوَ يَلْجُلُجُ لِسَانَهُ وَقَدْ
تَلْجَلَجَ لِسَانُهُ . . . وَكَلَامٌ مُلْجَلَجٌ : مُخْتَلَطٌ" (٢)

فعند النظر لما سبق نجد أن اللَّجْلَجَةَ في معناها العام هي :
ثَقَلُ اللِّسَانِ واضطراب في نطق الكلام بحيث تتردد بعض ألفاظه مع عدم
الاسترسال وهذا واضح من تعريف اللسان وقول الجاحظ .
ولقد أورد الجاحظ أبياتا عدة قيلت في اللَّجْلَجَةِ منها قول
الشاعر :

ليس خَطِيبُ القومِ بِاللَّجْلَاجِ ولا الذى يَزْحَلُ كَالهَلْبَاجِ
وَرُبَّ بَيْدَاءٍ وَليْلِ دَاجٍ هتَكَتَهُ بِالنَّمْرِ وَالإِزْجَاجِ (٣)

كما أورد الجاحظ في كتابه مدح ثمامة بن الأشرس لجعفر بن يحيى
البرمكي بأنه كان لا يَتَحَبَّسُ ولا يَتَلْجَلَجُ ولا يَتَنَحَنَحُ . (٤)

فجعفر بن يحيى كان خاليا من العيوب إلى جانب كونه أقل تكلفا .

(١) انظر لسان العرب مادة (لجج) ٢/٣٥٥ .
(٢) انظر العين ٦/٢٠ ت : المخزومي والسامري .
(٣) انظر البيان والتبيين ١/٣٩ ، يزحل : يزل عن مقامه .
والهلباج : الأحمق الشديد الحمق . وهناك أبيات أخرى قيلت في
اللَّجْلَجَةِ ، انظر البيان ١/١٣١ ، ١٣٤ .
(٤) نفس المرجع ١/١٠٦ .

٥ - التَّمْتَمَةُ :

لقد أتى الجاحظ في كتابه البيان والتبيين بعبارة الأَصْمَعِيُّ
عن التَّمْتَمَةِ حيث قال : " إِذَا تَتَمَّتِ اللِّسَانُ فِي التَّاءِ فَهُوَ تَمَّتَمَ وَإِذَا
تَتَمَّتِ فِي الْفَاءِ فَهُوَ فَافَأَ " ، وأُشْدَ لِرُؤْيَا بِنِ الْعَجَّاجِ :

يَا حَمْدُ ذَاتِ الْمَنْطِقِ التَّمَّتَمِ كَأَنَّ وَسْوَأَسَكَ فِي اللَّمَامِ
حَدِيثُ شَيْطَانِ بَنِي هِنَّامِ (١)

كما أتى بقول الخولاني :

إِنَّ الشَّيْطَانَ تَرَكَّنَ لِاسْتِكَ مَنْطِقًا كَقَالَةِ التَّمَّتَمِ لَيْسَ بِمُعْرَبٍ

قال الجاحظ : لقد جعل الخولاني التَّمَّتَمَ غيرَ مُعْرَبٍ عن
معناه ولا مَفْصَحٍ بِحَاجَتِهِ " . (٢)

وجاء في الكامل للمبرد ان " التَّمْتَمَةُ هِيَ التَّرْدُّ فِي التَّاءِ " . (٣)

وفي لسان العرب ما يؤيد قول الجاحظ والمبرد حيث قال :
" التَّمْتَمَةُ : رَدُّ الْكَلَامِ إِلَى التَّاءِ وَالْمَمِّ " . (٤)

-
- (١) البيان والتبيين للجاحظ ٠٣٧/١
(٢) نفس المرجع ٠٣٨/١
(٣) انظر كتاب الكامل في اللغة والأدب والنحو والصرف لأبي العباس
المبرد / ٢٠٥٧٨/٣٠
(٤) انظر اللسان مادة (تم) ٠٧١/١٢

” وَالتَّئِمَّةُ فِي الْكَلَامِ أَلَّا يَبِينُ اللِّسَانَ ، يُخْطِئُ
مَوْضِعَ الْحَرْفِ فَيَرْجِعُ إِلَى لَفْظِ كَأَنَّهُ التَّاءُ وَالْمِيمُ ،^(١)“

قال محمد بن يزيد : ” التَّئِمَّةُ التَّرْدِيدُ فِي التَّاءِ ، وَالْفَأْفَاءُ التَّرْدِيدُ فِي الْفَاءِ . وَقِيلَ : هُوَ أَنْ يَعْجَلَ بِكَلَامِهِ فَلَا يَكْفُرُ يَفْهَمُكَ ” .^(٢)
فواضح من هذا كله أن التَّئِمَّةَ تكون بثقل اللسان وتردده في نطق التاء فينتج عن ذلك الإبهام وعدم الإبانة والافصاح عن الحاجة ، على ما نسب إلى الليث .

٦- الْفَأْفَاءُ :

لقد أورد الجاحظ قول الأصمعي في معنى الفأفأة : ” إذا تَتَعَتَعَ اللِّسَانُ فِي التَّاءِ فَهُوَ تَتَعَتَمٌ وَإِذَا تَتَعَتَعَ فِي الْفَاءِ فَهُوَ فَأْفَاءٌ ” .^(٣)
فالشق الأول من العبارة وهي : (إِذَا تَتَعَتَعَ اللِّسَانُ فِي التَّاءِ فَهُوَ تَتَعَتَمٌ) قد سبق أن أشرنا إليه في أثناء حديثنا عن التَّئِمَّةَ ، أما الشق الآخر من العبارة وهو قوله : ” إِذَا تَتَعَتَعَ فِي الْفَاءِ فَهُوَ فَأْفَاءٌ ” فالمراد به أن اللسان يتردد عند النطق بالفاء ، فينتج عن هذا التردد تكرار الفاء .
(٤) وجاء في الكامل للمبرد أن الفأفأة هي : ” التردد في الفاء ” .

(١) انظر العين ٨ / ١١١ ت : المخزومي والسامرائي .

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (تم) ١٢ / ٧١٠ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١ / ٣٧٠ .

(٤) الكامل للمبرد ٢ / ٥٧٨ .

أما في لسان العرب فقد ذكر أن الفأفأة: "الذي يُكثِرُ تَرَدُّدَ الفاء إذا تكلم . والفأفأة: حُبْسَةٌ في اللسان وَغَلْبَةُ الفاءِ على الكلام . وقد فأفأ . ورجل فأفأ وفأفأ يمدُّ وَيَقْصُرُ وامرأة فأفأة ، وفيه فأفأة" (١) : "الفأفأة في الكلام إذا كان الفاء يَغْلِبُ على اللسان . فأفأ فلان في كلامه يَفَأِي فَأْفَاءً" (٢) .

فمن هنا نجد أنهم قد اتفقوا جميعا على معنى الفأفأة ، وهذا المعنى هو ما أراده الجاحظ لأنه قال أيضا : "ويقال في لسانه حُبْسَةٌ ، إذا كان الكلام يَثْقُلُ عليه ولم يبلغ حدَّ الفأفأة والتستام" وهذا القول يوه يده ما جاء في اللسان من قوله : "والفأفأة : حُبْسَةٌ في اللسان وَغَلْبَةُ الفاءِ على الكلام" .

وهكذا نجد أن الاتفاق بينهم في معنى الفأفأة ظاهر وواضح .

٧ - التطبيق :

ذكرها الجاحظ .
التطبيق من العيوب التي / في قوله : " ويُقال في الفحل إذا لم يُعَسِّن الضراب :

جمل عيآياء ، وجمل طبآقاء ، وقالت امرأة في الجاهلية تشكو زوجها
" زوجي عيآياء طبآقاء ، وكل داء له داء" (٣) .

(١) انظر لسان العرب مادة "فأفأة" (١/١١٩) .

(٢) العمين ٨/٤٠٧ ، ت : المخزومي والسمراي .

(٣) ورد هذا النص أيضا في فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ونصه " قالت السابعة : زوجي عيآياء - عيآياء - طبآقاء كل داء له داء ، شجك أو فلك أو جمع كلالك" . وهذا انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩/٢٥٥ ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان .

حَتَّى جَمَلُوا ذَلِكَ مِثْلًا لِلْعَيِّْ الْقَدَمِ (١) ، وَالَّذِي لَا يَتَجَسَّه
لِلْحَجَّةِ . قَالَ الشَّاعِرُ : (٢)

طَبَاقَاءَ لَمْ يَشْهَدُ خُصُوصًا وَلَمْ يَقْدُرْ رِكَابًا إِلَى أَكْوَارِهَا حِينَ تَعَكَّفُ (٣)

فَالطَّبِيقُ عَمُومًا تُطْلَقُ عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يُحْسِنُ الْمَرْءُ فِعْلَهَا
عَنْ عَيٍّْ ، كَمَا يُطْلَقُ هَذَا الْمَعْنَى عَلَى الْحَيَوَانَاتِ فَيُقَالُ : جَمَلُ عَيَايَا ،
وَجَمَلُ طَبَاقَاءَ .

وَجَاءَ فِي اللِّسَانِ أَنَّهُ يُقَالُ رَجُلٌ طَبَاقَاءٌ : أَي أَحْمَقُ ، وَقِيلَ هُوَ
الَّذِي لَا يَنْكَحُ ، وَكَذَلِكَ الْبَعِيرُ الَّذِي لَا يَضْرَبُ . وَالطَّبَاقَاءُ : الْعَيْيُّ
الثَّقِيلُ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الطَّبَاقَاءُ ، الْأَحْمَقُ الْقَدَمُ ، وَقِيلَ هُوَ الَّذِي
يَعْجِزُ عَنِ الْكَلَامِ فَتَنْطَبِقُ شَفَتَاهُ . (٤)

فَبِالنَّظَرِ لِمَا سَبَقَ نَجَدْنَا أَنَّ الْكَلِمَةَ مُسْتَعْمَلَةٌ فِيهَا
لَا يُحْسِنُ ، كَالرَّجُلِ الَّذِي لَا يَنْكَحُ ، وَكَالْفِعْلِ الَّذِي لَا يُحْسِنُ الضَّرَابَ .
وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَيْضًا عَدَمُ احْتِسَانِ التَّعْبِيرِ عَنِ الْحَجَّةِ ، فَالطَّبَاقَاءُ : عِنْدَهُ
الْقُدْرَةُ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَحْكُمُ الْأَدَاءَ ،

(١) الْقَدَمُ مِنَ النَّاسِ : الْعَيْيُّ عَنِ الْحَجَّةِ وَالْكَلامِ مَعَ ثِقَلٍ وَرِخَاوَةٍ وَقَلَّةِ
فَهْمٍ . وَالْقَدَامُ : شَيْءٌ تَشَدَّدَ الْعَجْمُ عَلَى أَفْوَاهِهَا عِنْدَ السَّقْيِ
وَقِيلَ : هُوَ مَا يُوَضَعُ عَلَى فَمِ الْإِبْرِيْقِ وَالْكُوزِ مِنْ خِرْقَةٍ لِتَصْفِيَةِ
الشَّرَابِ الَّذِي فِيهِ . أ. هـ . (انظر لسان العرب مادة : قدم) .
إِنَاءً فَالْقَدَمُ تَفْطِيَةٌ الْفَمِ ، وَهِيَ تَدْخُلُ فِي عَدَمِ التَّعْبِيرِ .

(٢) الْبَيَانُ وَالتَّيْبِيْنُ لِلْجَاهِظِ (١/١٠٩ ، ١٠١٠) .

(٣) نَفْسُ الْمَرْجِعِ (١/١١٠) وَالْكُورُ : الرَّحْلُ بِأَدَاتِهِ . تَعَكَّفُ : تَحْبَسُ .

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (طبق) (١٠/٢١٤) .

فخلاصة الأمر أن الطَّبِقَ هو : العِيُّ عن وجه الحُجَّة حمقاً وغباءً ،
فهو لا يُحَسِّن التعبير عن حجته رغم أن أعضاء نطقه سليمة ، فالمعجز هنا
، مما يجعل المرء يعجز عن الكلام فتنتطبق شفاهه . وكثيراً ما نجد
أن العرب كانوا يهجون الرجل الطباقاء ويذمونهُ . قال الشاعر :

طَبَاقَاءُ لَمْ يَشْهَدْ خُصُوماً وَلَمْ يَعْشَ حَمِيداً وَلَمْ يَشْهَدْ جِلَالاً وَلَا عِظْراً

قال الجاحظ : إن المراد بالطباقاء في هذا البيت هو : الرجل
الذي لا يتجه للحجة . الحِلَالُ : الجماعات ، ويقال حيٌّ حِلَالٌ إِذَا
كانوا متجاورين مقيمين . والعِظْرُ هنا : العُرْسُ . (١)

ولكراهية العرب للطبق ، نجدهم قد ذموا الشخص المصاب به ،
والذي يتسم بقلة الحُجَّة .

٨ - عَصْبُ الرِّيْقِ :

وهو يبس الريق . ويؤخذ من مقابلة الجاحظ إياه هنا بكثرة الريق
كناية عن سلاسة النطق . والانطلاق فيه أن المراد جفاف ريق المتكلم جُبناوسهرا .
قال الجاحظ : " وكانوا يمدحون كثرة الريق وذلك في قوله : " وكانوا
يَمَدِّحُونَ شِدَّةَ الْعَارِضَةِ ، وَقُوَّةَ الْمُتَنَّةِ ، وَظَهْرَ الْحُجَّةِ ، وَثَبَاتَ الْجَنَانِ ،
وَكثْرَةَ الرَّيْقِ ، وَالْعُلُوَّ عَلَى الْخَصْمِ ، وَيَهْجُونَ بِخِلَافِ ذَلِكَ " . (٢) وذلك

(١) انظر كتاب البيان والتبيين للجاحظ ١/١٧٦ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

لأن وجود الريق في الفم يساعد اللسان على التحرك بسهولة في الموضع الذي يتطلبه الحرف . قال الشاعر في ذكر الريق :

وَإِنْ خَطَرَتْ أَيْدِي الْكُمَاةِ وَجَدْتَنِي نَصُورًا إِذَا مَا اسْتَيْبَسَ الرَّيْقُ عَاصِبَهُ
عاصبه : يابسه ، يعتصم به حتى يُتِمَّ كَلَامَهُ ... (١)

وجاء في لسان العرب أن الرِّيق هو : ماءُ الفمِ غُدوةٌ قبل الأكل ، ويؤث في الشعر فيقال : رِيقتُها .

وريقُهُ : لعبه ، وجمع الرِّيقِ أَرْيَاقٌ ورِيَّاقٌ .

وعصب الفم قيل : يَبِسُ رِيْقُهُ . وفوه عاصِبٌ ، وَعَصَبَ الرِّيقُ بِفِيهِ ،
بِالْفَتْحِ ، يَعْصِبُ عَصَبًا ، وَعَصَبَ : جَفَّ وَيَبِسَ عَلَيْهِ .

قال ابن أحرر :

مُضَلِّي عَلَى مَنْ مَاتَ مِنَّا عَرِيفُنَا وَيَقْرَأُ حَتَّى يَعْصِبَ الرَّيْقُ بِالْفَمِ
ورجل عاصِبٌ : عَصَبَ الرِّيقُ بِفِيهِ . (٢)

ويبس الريق أحيانا يكون نتيجة حرج أو خوف أو اجتهاد ، ثم يترتب على يبس الريق التعثر في إخراج الكلام بسهولة ووضوح ، فيعد ذلك عيبا من عيوب الأداء .

-
- (١) انظر البيان والتبيين ١/١٧٩-١٨٠ .
خطرت : ارتفعت ، الكُمَاة : جمع كمي وهو الرجل المتستر بالسلاح ،
عاصبه : يابسه . وانظر اللسان مادة (خطر) و (عصب) .
- (٢) انظر اللسان مادة (ريق) ١٠/١٣٥ ، ومادة (عصب) ١/٦٠٧ .

٩- الفَهْمُ :

الفَهْمُ من العيوب النطقية التي ذكرها الجاحظ ضمن بيتين

من الشعر ، حيث أورد قول الشاعر :

(١)
وَلَمْ تُلْفِنِي فَمَّا وَلَمْ تُلْفِ حَجَّتِي مَلْجَلَجَةً أَبْغِي لَهَا مَنْ يُقِيمُهَا

كما أورد قول أبي قيس بن الأسلت :

الكَيْمُ وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْإِشْفَاقِ وَالْفَهْمَةُ وَالْهَاعِ

قال : وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه . (٢)

فهنا نجد أن الفهْمَةُ ذُكِرَتْ دون أن يُعْرَفَهَا الجاحظ أو يُحَدِّدَ معناها ، وإنما جاءت عندما أورد الجاحظ قول العائشي : بأن عمر كان أعلم الناس بالشعر ، وكثيرا ما كان يُعْرَضُ عليه الشعر ، ليروا رأيه فيه ، وغالبا ما كان يُعْجِبُ به ويستحسنه .

ولقد جاء في اللسان أن الفَهْمُ هو : الكليلُ اللسانِ العَيْيُّ عن حاجته ، والأُنْثَى فَهْمَةٌ ، بالهاء . والفَهْمِيَّةُ والفَهْمَةُ كالفَهْمِ . وقد فَهَمْتُ وفَهَمْتُ تَفَهًا وتَفَهًا وفَهَمًا وفَهَامَةً : أي عَيَّيتُ ، وَفَهَمْتُ العَيْيُّ عن حاجته .

(١) البيان والتبيين ١/١٣١ .

(٢) نغم المرجع ١/٢٤١ . والهاع : شدة الحرص .

وَفَهَّ الْعِيِّ عَنْ حَاجَتِهِ . وَخَرَجَتْ لِحَاجَةٍ فَأَفَهَّنِي عَنْهَا فُلَانٌ
حَتَّى فَهَّمْتُ أَيَّ أَنْسَانِيهَا . شَفَّلَنِي عَنْهَا حَتَّى نَسِيْتُهَا .^(١)

ونخلص من تفسير الفَهَّ بالعيِّ والنسيان ، ومن قول ابن شميل -
في اللسان أيضا - فَهَّ فِي حُطْبَتِهِ وَحَجَّتِهِ إِذَا لَمْ يُبَالِغْ فِيهَا وَلَمْ يَشْفِهَا ،
وقوله : تقول أَتَيْتُ فُلَانًا فَبَيَّنْتُ لَهُ أَمْرًا كَلَّمَهُ إِلَّا شَيْئًا فَهَّمَّتُهُ ، أَي نَسِيْتُهَا ،
بأن الفهمة هي مظهره عدم إشباع الفكرة تفصيلا وتوضيحا ، وإغفال جوانب
منها بسبب غياب هذه الجوانب عن ذهن المتكلم غفلة أو نسيانا . وقد
يدخل في هذا غياب الكلمة أو العبارة المناسبتين ، فلا توفي الفكرة
حقها في العرض .

ولقد أشار الجاحظ إلى أن الفَهَّ يأتي بمعنى النسيان من
خلال ما أورده عن عامر بن الظرب العدواني * الذي حكم العرب في
الجاهلية ، فلما أَسَّنَّ واعتراه النسيان ، أمر ابنته أن تقرع بالعصا
إذا هَوَّفَتْهُ عَنِ الْحُكْمِ ، وجار عن القصد .^(٢)

فهذه القصة تدل على أن الجاحظ كان على علم بأن الفَهَّ
يأتي بمعنى العيِّ عن الحجة ، وأيضا يأتي بمعنى النسيان .

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (فَهَّه) ١٣/٥٢٥ .

(٢) انظر البيان والتبيين ٣/٣٨ .

١- الرَّطَانَةُ:

لقد ذكر الجاحظ الرطانة في قوله: " فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة، والملحون والمُعرب، كله سواءً، وكله بيانا. وكيف يكون ذلك كله بيانا، ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسامعه للفاسد من الكلام، لما عرفه، ونحن لم نفهم عنه إلا للنقص الذي فينا. وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء بكلامهم، كما لا يعرفون رطانة الرومي والصقلي، وإن كان هذا الاسم (يعني البيان) إنما يستحقونه بآثار نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم. فنحن قد نفهم بحممة الفرس كثيرا من حاجاته... " (١)

فهنا نجد أن الجاحظ قد تكلم عن الرطانة كلاما
عاما . . . والمفهوم من السياق السابق
أن المراد بالرطانة عنده هو: كلام أعجمي لا يفهمه العرب وذلك في

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/١٦٢.

قوله : * كما لا يعرفون رطانة الرومي والصقلي * وفي لسان العرب
معنيان للرتانة أحدهما يوافق ما قاله الجاحظ عنها . قال : "رطن العجمي
يرطن رطناً : تكلم بلغته . والرطانة والرطنة والمرطنة : التكلم
بالعجمية ، وقد ترأطنا . تقول : رأيت أعجميين يتراطنان ، وهو كلام لا يفهمه
العرب . قال الشاعر :

* كما ترأطن في حافاتِها الروم *

ويقال : ومارطيناك هذه آى : ماكلامك ومارطيناك بالتخفيف أيضا . وتقول :
رطنت له رطانة وراطنته اذا كلمته بالعجمية . وتراطن القوم فيما بينهم . وقال طرفة :

فأثار فارطهم غطاطا جثما أضواتهم كترأطن الفرس

وفي حديث أبي هريرة قال : أنت امرأة فارسية فرطنت له .

قال : الرطانة بفتح الراء وكسرهما ، والترأطن : كلام لا يفهمه

الجمهور ، وإنما هو مواضع بين اثنين أو جماعة ، والعرب تخص بها غالبا

كلام العجم .

أما المعنى الثاني للرتانة فهو حديث عبدالله بن جعفر النجاشي :

قال له عمرو : أما ترى كيف يرطنون بحزب الله أى يكتنون ، ولم يصرحوا
بأسمائهم . (١)

نخلص من هذا أن المراد بالرتانة عموما هو : كلام الأعجمي

الذى لا يفهمه العرب . وهذا هو المعنى الذى أرادَه الجاحظ ولم
يحدده بتعريف ، وإنما فهم من سياق كلامه .

وأما المعنى الآخر للتراطن وهو التعبير بالكنايات . فواضح

أنه فرع على المعنى الأول ومحمول عليه .

(١) انظر لسان العرب مادة (رطن) ١٨٦/٣

١١ - اللَّفْفُ :

لقد أورد الجاحظ قول أبي عبيدة في معنى اللَّفْفِ فقال :
" إِذَا أَنْخَلَ الرَّجُلُ بَعْضَ كَلَامِهِ فِي بَعْضٍ فَهُوَ أَلْفٌ ، وَقِيلَ بِلِسَانِهِ
لَفْفٌ . وَقَدْ قَالَ فِيهِ الرَّاجِزُ :

كَأَنَّ فِيهِ لَفْفًا إِذَا نَطَقَ مِنْ طُولِ تَعْبِيسٍ وَهَمٍّ وَأَرْقٍ (١)

فتداخل الكلام بعضه في بعض يوهى إلى عدم الإبانة
والإفصاح في أثناء الكلام . وجاء في الكامل للمبرد أن اللَّفْفَ " إدخال
حرف في حرف " (٢) ، بمعنى تداخل الكلام بعضه في بعض وعدم إبانته
واستعمال تركيب لَفَفَ يوهى بذلك ، إذ يقال : " لف الشيء
جمعه " واللَّفِيفُ الجمع العظيم من أخلاط شتى فيهم الشريف والدنيء
والمطيع والمعاصي ، والقوى والضعيف " (٣) .

وجاء في اللسان أيضا ما يوهى يد ما قاله الجاحظ والمبرد وهو
قوله : " اللَّفْفُ فِي الْكَلَامِ : ثِقَلٌ وَعِيٌّ مَعَ ضَعْفٍ . وَرَجُلٌ أَلْفٌ بَيْنَ اللَّفْفِ ،
أَيَّ عَيْبٍ بَطِيءِ الْكَلَامِ ، إِذَا تَكَلَّمَ مَلَأَ لِسَانَهُ مِنْهُ . وَقَدْ لَفَّ لَفْفًا وَهُوَ أَلْفٌ
وكَذَلِكَ اللَّفْلَفُ وَاللَّفْلَافُ وَقَدْ لَفَّلَفَ .

قال أبو زيد : الألفُ العيبيُّ ، وقد لَفَفْتُ لَفْفًا ، وقال الأصمعي :

هو الثقل اللسان " . أ. هـ

وثقل اللسان يتمثل هنا في عدم تخليصه الحروف بعضها

من بعض . فالملاحظ أن جميع الأقوال التي قيلت في معنى اللَّفْفِ

توهى يد ما قاله الجاحظ وهو : تداخل الكلام بعضه في بعض مع ثقل في اللسان .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/٣٨٠

(٢) انظر الكامل للمبرد ٢/٥٧٨ (٣) انظر لسان العرب مادة (لفف) .
ج ٩/٣١٩ ص ٩٦

١٢ - اللُّكْنَةُ :

قال الجاحظ في تحديد معنى اللُّكْنَةُ : " وَيُقَالُ فِي لِسَانِهِ
لُكْنَةٌ إِذَا أَدْخَلَ بَعْضَ حُرُوفِ الْعَجَمِ فِي حُرُوفِ الْعَرَبِ ، وَجَذِبَتْ لِسَانَهُ
الْعَادَةُ الْأُولَى إِلَى الْمَخْرَجِ الْأَوَّلِ " (١)

قال أبو عثمان : " وَإِنَّمَا تَهَيَّأَ وَأَمَكْنَ الْحَاكِيَةَ لِجَمِيعِ مَخَارِجِ
الْأُمِّ ، لِمَا أُعْطِيَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْإِسْتِطَاعَةِ وَالتَّمَكِينِ وَحِينَ فَضَّلَهُ
عَلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانَ بِالْمَنْطِقِ وَالْعَقْلِ وَالْإِسْتِطَاعَةِ . فَبَطُولِ اسْتِعْمَالِ التَّكْلِيفِ
ذَلَّتْ جَوَارِحُهُ لِذَلِكَ فَأَمَّا حُرُوفُ الْكَلَامِ فَرِنْ حُكْمُهَا إِذَا تَمَكَّنَتْ فِي
الْأَلْسِنَةِ خِلَافَ هَذَا الْحُكْمِ . أَلَا تَرَى أَنَّ السُّنْدِيَّ إِذَا جَلِبَ كَبِيرًا فَإِنَّهُ
لَا يَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ الْجِيمَ زَايًّا وَلَوْ أَقَامَ فِي عُليَا تَمِيمٍ ، وَفِي سَفَلِي
قَيْسٍ وَبَيْنَ عَجْزِ هَوَازِنَ خَمْسِينَ عَامًا " (٢)

نفهم من هذا أن الجاحظ أراد أن يبين لنا أن اللُّكْنَةُ هي قُجْمَةٌ
في اللسان بمعنى أن الشخص الأعجمي إذا تكلم باللغة العربية فإنه
لا بد من أن يدخل بعض حروف العجم في حروف العرب . ويشمل ذلك
إبدال الحروف العربية في الكلام بسبب العُجْمَةِ .

فهذا التحديد لمعنى اللُّكْنَةُ تحديد دقيق وواضح ولقد اعتمد
الجاحظ فيه على الشرح والتعليل فنجد أنه قد بَيَّنَّ أَنَّ التَّقْلِيدَ
والمحاكاة تختلف تماما عن اللُّكْنَةُ ، لأن اللُّكْنَةَ تلزم الأعجمي مهما

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/٤٠ .

(٢) انظر البيان والتبيين للجاحظ ١/٧٠ .

حاول التغلب عليها أو اخفاءها حتى ولو مكث معظم حياته بين العرب .
وجاء في الكامل للمبرد أن اللُّكْنَةَ هي : " أن تعترض على
الكلام اللغة الأعجمية ، يُقال فلان يَرْتَضِخُ لُكْنَةَ رومية أو حبشية أو
سندية أو ما كانت من لغات العجم " (١) . بمعنى أن يدخل على اللغة
العربية بعض حروف أعجمية ، وذلك من لغته السابقة .

وفي لسان العرب تعريف يوه يد ما قاله الجاحظ والمبرد وهو
قوله : " اللُّكْنَةُ : عَجْمَةٌ فِي اللِّسَانِ وَعِيٌّ " . يقال : رَجُلٌ أَلْكَنُ بِمِثْلِ
اللُّكْنِ .

ابن سيده الأَلْكَنُ الذي لا يُقِيمُ العربية من عجمة في لسانه ،
لَكِنَّ لَكْنًا وَلُكْنَةً وَلُكُونَهُ . ويقال : به لُكْنَةٌ شَدِيدَةٌ وَلُكُونُهُ وَلُكْنُونُهُ " (٢)

وبالنظر لما سبق نجد أن الأئمة قد اتفقوا على تحديد معنى
اللُّكْنَةَ ، وهذا المعنى هو ما أرادَه الجاحظ .

ولقد أورد الجاحظ عدَّة أمثلة عن لُكْنَةَ بعض الشعراء والخطباء
والكُتَّابِ والرُّوِّسَاءِ ، كما أتى بأمثلة عن لُكْنَةَ العامة منها قوله : بِأَنَّ
التَّبَطِّيَّ القَحَّ يجعل الزاي سينا ، فإذا أراد أن يقول زورق قال : سَوْرُق .
ويجعل العين همزة ، فإذا أراد أن يقول مُشْمَعِلٌ ، قال مُسْمَلٌ .

(١) انظر الكامل للمبرد ٥٧٨/٢

(٢) انظر لسان العرب مادة (لکن) ٣ / ١٣٩٠

وقال : إن النخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها
رومية وأهلها يزعمون أنها مولدة ، بأن تقول ناعمة ، وتقول شمس ، ثلاث
مرات متواليات .

كما ذكر الجاحظ أمثلة عن لكن الخطباء أو الشعراء ومنهم
(زياد بن سلمى أبوأمامة) وهو زياد الأعجم فقد كان ينشد قوله :

فتى زاده السلطان في الودّ رفعةً
(١) إذا غير السلطان كلّ خليل

فكان يجعل السين شينا والطاء تاء ، فيقول " فتى زاده الشلتان " .
ومنهم (سحيم عبد بني الحساس) فقد أنشد قوله :

عميرة ودّع إن تجهزت غادياً
(٢) كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً

فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو قدمت الإسلام
على الشيب لأجزتك ، فقال له : ما سعت . يريد ما شعرت ، فجعّل
السين المعجمة سينا غير معجمة .

ومنهم (عبيد الله بن زياد) والي العراق ، قال لهاني بن
قبيصة : أهروري سائر اليوم ، يريد أحروري .

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ٧١ .

(٢) نفس المرجع ١ / ٧١ - ٧٢ .

ومنهم (صَهَيْبُ بْنُ سِنَانَ النَّمَرِيُّ) ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : إِنَّكَ لِهَائِنٌ ، يريد إِنَّكَ لِحَائِنٌ (يعني هالك) ، فصهيب يرتضخ لُكْنَةً روميَّةً ، و(عبيد الله بن زياد) يرتضخ لُكْنَةً فارسيَّةً . وقد اجتمعا على جعل الحاء ها .

ومنهم أيضا (أبو مسلم الخراساني) كان إذا أراد أن يقول : قلت لك ، قال : كُتُّتْ لَكَ . وشارك في تحويل القاف كافا عبيد الله بن زياد . فهذه كلها أمثلة للُكْنَةِ اليلفاء والخطباء والشعراء والرؤساء . فأما لُكْنَةُ العامة فتتمثل في (فيل) مولى زياد . فقد قال له مرَّةً (أَهْدُوا لَنَا هِمَارًا وَهَشًّا) ، يريد : حمار وحش . فقال له زياد : ما تقولُ ويَلِكُ ! قال : (أَهْدُوا لَنَا أُيْرًا) ، يريد : عيرا . فقال زياد : الأُولُ أَهْوَنُ ، وفهم ما أراد .

وقالت أمُّ ولدٍ لجبر بن الخطافي ، لِبَعْضِ وَلَدِهَا : * وَقَعَ الْجُرْدَانُ فِي عِجَانِ أُمَّكُمْ * ، فأبدلت الذال من الجرذان دالا وضمت الجيم وجعلت العجين عجانا .

وذكر الجاحظ قول بعض الشعراء في أمِّ ولدٍ له ، يذكر لُكْنَتَهَا :

أَوَّلَ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّحَرِ تَذَكِيرُهَا الْإِنْتَى وَتَأْنِيثُ الذِّكْرِ

وَالسَّوَاءُ السَّوَاءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ (١)

لأنها كانت إذا أرادت أن تقول القمر ، قالت : الكمر .

وذكر الجاحظ بابا آخر من اللكنة ، قيل لنبطي : لِمَ ابْتَعَسْتَ
هذه الأتان ؟ قال : (أركبها وتلد لي) ف جاء بالمعنى بعينه
ولم يبدل الحروف بغيرها ، ولا زاد فيها ولا نقص ، ولكنه فتح المكسور
حين قال (وتلد لي ، ولم يقل تلد لي) (١)
إِذَا فَالْلُكْنَةُ تكون في إبدال حرف مكان حرف ، وتكون أيضا
في الحركات ، بمعنى أنه يأتي بحركة بدل أخرى كما حصل في مثال
النبطي الذي ابتاع الأتان .

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ ٧٠/١ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
فقد وردت فيها كل الأثلة السابقة .

١٣ - العَجَلَة :

العجلة من العيوب التي استغنى يوضح معنى اسمها عن

تعريفها . قال الجاحظ :

" وليس اللَّجَلَجُ والتَّتَمُّمُ ، والأُلُثْغُ ، والفَأْفَاءُ ، وذو الحَبَسَةِ والحَكْكَةُ والرُّتَّةُ وذو اللَّفْفِ والعَجَلَةُ ، في سبيل الحَصْرِ في خطبته ، والعيّ في مناضلة خصومه ، كما أن سبيل المَفْعَمِ عند الشعراء ، والبيكي عند الخطباء ، خلاف سبيل السَّهَبِ الشَّرِثَارِ والخَطِيطِ المِكَثَارِ " (١) فهنا نجد أنه قد عدَّ العَجَلَةَ وهي السرعة في الكلام من ضمن عيوب النطق .

كما نجد أن المبرد وصاحب اللسان لم يَعْرِفا العَجَلَةَ أيضا ، وإنما جاء ابن منظور في اللسان بمعنى آخر ، ولم يُشر إلى أن العَجَلَةَ عيب من عيوب النطق .

وبالنظر فيما أورده الجاحظ من أشعار عن العَجَلَةَ نجد أنه يقصد بها سرعة الكلام مما ينتج عنه الإبهام وعدم الوضوح ، ومن ذلك ما أنشده الأصمعي حيث قال :

حديث بني قُصْرَطٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ كَنْزُوا الدَّبَا فِي العَرْفِجِ المِتْقَارِبِ

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/١٢٠ .

(١) قال الجاحظ : " قال الشاعر ذلك لأن في كلامهم عَجَلَةٌ ".
كما أورد الجاحظ قول سلمة بن عيَّاش :

كَأَنَّ بَنِي رَأْيَانَ إِذْ جَاءَ جَمْعُهُمْ فراريجٌ يُلْقَى بَيْنَهُنَّ سَوِيْقٌ
فقال ذلك لدقسة أصواتهم وعَجَلَةٌ كلامهم " (٢).

لذا فالمراد بالعَجَلَةُ عموماً هو السرعة في الشيء ، ووصف الكلام
بالعَجَلَةُ يدل على سرعة الكلام لدى الشخص المتصف بهذه الصفة لدرجة
أن كلامه يكون غير واضح أو مفهوم ، لذلك شبههم الشاعر بالفراريج التي
يُلْقَى بَيْنَهُنَّ السَوِيْقُ .

(١) البيان والتبيين ١/٣٩٠

(٢) نفس المرجع والصفحة.

١٤- الفمّمة :

لقد ذكر الجاحظ الفمّمة في أثناء حديثه عن أفصح الناس حيث قال : " قال معاوية يوماً : من أفصح الناس ؟ فقال قائل : قوم ارتفعوا عن لُخْلُخَانِيَةِ الْفُرَاتِ ، وتيامنوا عن عننة تميم وتياسروا عن كسكسة بكرٍ ، ليست لهم غمّمة قضاة ولا طُمّمانية حمير . قال : من هم ؟ قال : قریش . قال : من أنت ؟ قال : من جرّم . قال : اجلس . " (١)

ولعل لفظ (الفمّمة) مأخوذ من (الفمام) ، وبما أن الفمام يحجب عنا الرؤية فلا نتبين ما وراءه . بوضوح ، فكذلك الفمّمة التي تحجب عنا الفهم ، لأن الشخص الذي يفمّم في كلامه لا تكون ألفاظه ومقاطععه واضحة ولا بيّنة .

(٢)
جاء في اللسان أن الفمّمة والتفمّم : الكلام الذي لا يبيّن .

ونظراً إلى أن الفمّمة لا تقتصر على قضاة بل هي صفة ملازمة لبعض الناس في كلامهم فإنها تستحق أن يشار إليها هنا كعيب من عيوب النطق الوظيفية . وقد ذكرها المبرد عيباً من عيوب النطق . (٣)

(١) انظر البيان والتبيين ٢١٢/٣ ، ٢١٣ .

(٢) انظر اللسان مادة (فم) ١٢/٢٤٤ .

(٣) قال المبرد في الكامل (تحقيق محمد احمد الدالي ٢/٧٦٢) :

" الفمّمة أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف . "

الثالث : عيوب الأراء :

لقد تحدثنا آنفا عما ذكره الجاحظ من عيوب النطق التي لها سبب عضوي ظاهر،
وسميناها نحن عضوية ، كما تحدثنا عما ذكره من عيوب سميناها وظيفية ، والآن سوف
نتحدث عن عيوب الأراء التي ذكرها الجاحظ وهي : التخلُّ باللسان
والتشادق والتعق والتعيب والتقمير والتطيط والحنحة ، والشرشرة .

(١) - التخلُّ باللسان :

لقد أشار الجاحظ بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عاب
الإنسان الذي يتخلَّل بلسانه تَخَلَّلَ الباقرة بلسانها ، حيث أورد حديث الرسول
صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه : " إن الله يُبغِضُ البليغ الذي يتخلَّلُ
بلسانه ، تَخَلَّلَ الباقرة بلسانها " . (١)

فذكر الجاحظ للتخلُّ باللسان كان عرضا بحيث لم يُعرِّفه أو

يُفصِّل في معناه ، بل اكتفى بذكر الحديث فقط .

وجاء في النهاية شرح وتعريف لحديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم الذي قال فيه : " إن الله يُبغِضُ البليغ من الرجال الذي يتخلَّل

الكلام بلسانه كما تتخلَّل الباقرة الكلاء بلسانها ، قال ابن الأثير : هو

الذي يتشدَّق في الكلام ويَفخُّ به لسانه ويَلْفُه كما تَلْفُ البقرة الكلاء

بلسانها لَفًا " . (٢)

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/٢٧١ .

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢/٧٣ . تحقيق :

محمود محمد الطناحي ، طاهر أحمد الزاوي .

فعلى هذا يكون التخلل باللسان عبارة عن تشدق في القول
وتفاح مع كَيْ اللسان وَلَفَّه بطريقة تجعل الكلام واللسان مفخما ،
وهذا شيء عابه الرسول صلى الله عليه وسلم وعلينا اجتنابه لأنه تكلف
ومبالغة مقبته تشوه وقع الكلام.

(٢) - التَّشَادُقُ :

وهو من عيوب الأثر التي تعرض لها الجاحظ بقوله : "الأعرابيُّ
التَّشَادُقُ ، وهو الذي يصنع بكفيه وبشديقه ما لا يستجيزه أهل الأثر من
خطباء أهل المدر ، فمن تكلف ذلك منكم فهو أعيب ، والذمُّ له ألزم" . (١)
ومعناه أنه يلوى شدقه في أثناء الكلام للتفصيح بطريقة تجعل
أهل اللغة والأثر يستقبحون ذلك منه ، وخصوصا إذا ما تكلف ذلك
فإن الذم له أشد .

ولقد أتت الجاحظ قوله هذا في ذم التشادق بما أورده من
قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلساً
يوم القيامة ، الثرثارون المتشدقون المتغيبقون" . (٢)
وقوله صلى الله عليه وسلم : " إِيَّايَ وَالتَّشَادُقُ" . (٣)

كما أورد قول أبي العاص : "أنشدني أبو محرز خلف بن حيان ،

(١) انظر البيان والتبيين ١/٢٧١ .

(٢) نفس المرجع ٢/٢١٠ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

وهو خلف الأحمر مولى الأشعريين في عيب التشادق :

لَهُ حَنْجَرٌ رَحْبٌ وَقَوْلٌ مَنْقُوحٌ

(١)
وَفَضْلٌ خِطَابٍ لَيْسَ فِيهِ تَشَادُقٌ

فالشاعر هنا قد مدحه بأن نفى عنه صفة مذمومة وهي

التشادق .

كما أورد الجاحظ قول دَعْفَلِ بْنِ حَنْظَلَةَ النَّسَّابَةِ حِينَ سَأَلَهُ

معاوية عن قبائل قريش فذكر بأن بني المغيرة فيهم تشادق في الكلام

حيث قال عن بني مخزوم : " مِعْزَى مَطِيرَةٌ ، عَلَتْهَا قَشْعَرِيَّةٌ ، إِلَّا بِنَى

المغيرة ، فَإِنَّ فِيهِمْ تَشَادُقَ الْكَلَامِ ، وَمَصَاهِرَةَ الْكِرَامِ " . (٢)

وقال أيضا : " أنه لما اجتمعت الخطباء عند معاوية في شأن

يزيد ، وفيهم الأُحذف ، قام رجلٌ من حمير ، فقال : إنا لا نطبق أفواه الكمال

- يريد الجمال - عليهم المقال ، وعلينا الإفعال . وقول هذا الحميري :

إنا لا نطبق أفواه الكمال يدلُّ على تشادق خطباء نزار " . (٣)

نستخلص من الأَقوال السابقة عدَّة أمور :

أولا : أن الكلام الذي أورده الجاحظ عن التشادق يوه خذ

منه أن هناك تشادقا مدوحا وآخر مذموما .

فمن التشادق المذموم ما ذكره الجاحظ من لِي الشدق في أثناء

الكلام بطريقة متكلفنة مستقبحة .

(١) انظر البيان والتبيين ١/١٢٩ .

(٢) نفس المرجع ١/١٢١-١٢٢ .

(٣) نفس المرجع ١/٣٩٨ .

وأما التشادق المدوح فيظهر ما أورده الجاحظ من سوء ال
معاوية عن قبائل قريش ، فقيل له إن بني المغيرة فيهم تشادق الكلام ،
ومصاهرة الكرام . والمراد بالتشادق هنا هي الفصاحة .

كما أن ما رواه من أن الخطباء قد اجتمعوا عند معاوية فسي
شأن يزيد وفيهم الأحنف ، وقيام الرجل الحميرى وقوله : إنا لا نطبق
أفواه الكمال ، وتعليل الجاحظ بأن هذا يدل على تشادق خطباء
نزار ، معناه فصاحتهم في الخطابة ، وخصوصاً أن معهم الأحنف .

الأمر الثاني المأخوذ من الأقوال السابقة : هو أن هناك تشادقاً
حسياً ، وتشادقاً معنوياً .

والمراد بالتشادق الحسي هو تحرك الفك أو الشدق من اليمين
إلى اليسار ، أو من الأعلى إلى الأسفل ، وتكلف ذلك ، وهذا أمر معيب .
أما التشادق المعنوي ويكون في الكلام ، وذلك كما في قول الشاعر :

✽ وفصلُ خطابٍ ليس فيه تشادقُ ✽

فالتشادق المعنوي يكون بكثرة الكلام مع تكرار معانيه ، فهو
لا يصل إلى القول الفصل إلا بعد كلام كثير .

والذي يؤيد الكلام السابق هو ما جاء في لسان العرب من قوله :
" المتشددُ الذي يُلوى شِدْقَهُ للتفصُّح . ويقال : هو مُتَشَدِّدٌ في منطقهِ
إذا كان يتوسع فيه ويَتَفَهِّقُ .

وتَشَدَّدَ في كلامه : فتح فيه واتسع .

ورجل أشدق إذا كان متفوهاً ذا بيان . ومنه قيل لعسروين سعيد ، الأشدق ، لأنه كان أحد خطباء العرب . وجاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ الثَّرَثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ ، فهُمْ الْمُتَوَسِّعُونَ فِي الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ احْتِيَاظٍ وَاحْتِرَازٍ " . (١)

فهذا الذي ذكر في اللسان يوه كد قولنا من أن هناك تشادقاً مدوحاً ، وتشادقاً مذموم ، كما أن هناك تشادقاً حسياً وتشادقاً معنوياً . ولا بد لنا من التفريق بين الشدق والشادق ، وذلك لاختلافهما في الدلالة .

ونلاحظ أيضاً أن الجاحظ قد ذكر أن أقبح اللحن لحن أصحاب التعمير والتعميب والتشديق (٢) . حيث أورد قول يحيى بن نوفل ، في خالد بن عبدالله القسري :

وَأَلْحَنُ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ قَاطِبَةً
(٣)
وكان يولع بالتشديق في الخطب

فهو إلى جانب لحنه المشين نجده يكره من التشديق في الخطب ، ولذلك هجاه يحيى بن نوفل .

(١) انظر اللسان مادة (شدق) ١٠ / ١٧٣ .

(٢) انظر البيان والتبيين ١ / ١٤٦ .

(٣) نفس المرجع ٢ / ٢١٦ .

(٣) - التعمُّقُ :

ذكر الجاحظ التعمُّقُ في الكلام في سياق ما يكرهه الأُدباء والبلغاء وأهل المعرفة ، وذلك لما فيه من التكلُّف والتشديد في الأمر ، قال الجاحظ : " قال بعض الرِّبَّانِيِّينَ (١) من الأُدباء ، وأهل المعرفة من البلغاء مَنْ يكره التَّشَادُقَ والتَّعَمُّقَ وَيُبْغِضُ الإِغْرَاقَ فِي الْقَوْلِ وَالتَّكْلُفَ وَالجِتْلَابَ ، وَيَعْرِفُ أَكْثَرَ أَدْوَاءِ الْكَلَامِ وَدَوَائِهِ ... " (٢)

ف نجد أن الجاحظ قد ذكر التعمُّق دون أن يعرِّفه أو يحدِّد معناه .

وبالنظر لما جاء في اللسان نجد أن قولهم : رَجُلٌ عُمُقِيُّ الْكَلَامِ : أي لكلامه غورٌ .

وعمق النظر في الأمور تعميُّقاً ، وتعمُّق في كلامه أي تنطُّع - () والتَّطَّعُ في الكلام : التَّعَمُّقُ فِيهِ ، مَأْخُوذٌ مِنْهُ . وفي الحديث : هَلَكَ الْمُتَطَّعُونَ ، وَهُمْ الْمُتَعَمِّقُونَ الْمُغَالُونَ فِي الْكَلَامِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِأَقْصَى حُلُوقِهِمْ تَكْبَرًا .

وفي حديث عمر ، رضي الله عنه : لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا عَجَّلْتُمْ الْفِطْرَ وَلَمْ تَنْطَعُوا تَنْطَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَي تَتَكَلَّفُوا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ . وقال ابن الأعرابي : النَّطُّعُ الْمُتَشَدِّقُونَ فِي كَلَامِهِمْ . وَتَنْطَعُ فِي الْكَلَامِ وَتَنْطَسُ إِذَا تَأَنَّقَ فِيهِ وَتَعَمَّقَ (٣) - وقيل : الْمُتَعَمِّقُ : الْمُبَالِغُ فِي الْأَمْرِ الْمُتَشَدِّدُ فِيهِ الَّذِي يَطْلُبُ أَقْصَى غَايَتِهِ " (٤)

- (١) ذكر محقق البيان والتبيين أن الرباني : هو العالم الراسخ في العلم ، أو العالم العامل المعلم .
(٢) انظر البيان والتبيين ١ / ٢٥٤ .
(٣) انظر اللسان مادة (نطع) ٨ / ٣٥٧ .
(٤) نفس المرجع مادة (عمق) ١٠ / ٢٢٠ ، ص ٢٢١ .

نستخلص ما سبق أن للتعمُّقَ معنيين :
المعنى الأول : وهو التعمُّقُ في اخراج / الكلام من مخارجه بصورة يتكلف فيها الفصاحة .

المعنى الثاني : وهو المبالغة في تفتيت الفكرة وتكلف ما يستولد منها وما يتعلق بها ، فهو يتغلغل إلى عمق الفكرة لكي يصل إلى أقصى غاياته ، مما ينتج عنه التعقيد والإبهام في المعنى وفي المخرج ، وهذا هو ما كرهه العرب من البلفاء والفصحاء .

(٤) - التقميع والتقمير :

لقد جمعتُ بين هذين العيبين في موضوع واحد ، وذلك لما لَمَسْتُهُ من تشابه وتطابق في المعنى بين الاثنين . وعند الاطلاع على معنى قعب وقعر في اللسان وجدت أنه قد ذكر بأن معناهما واحد . وبالنظر لما قاله الجاحظ وأورده ، نجد أنه لم يُعرَّف أي منهما ، وإنما كان كلاهما في أمور أخرى ألا وهي حديثه عن " أَنَّ أَقْبَحَ اللَّحْنِ لِحْنُ أَصْحَابِ التَّقْمِيرِ وَالتَّقْمِيبِ ، وَالتَّشْدِيقِ وَالتَّمْطِيطِ وَالجَهْوَةِ وَالتَّفْخِيمِ " .^(١) فهم إلى جانب لِحْنِهِم المشين يُقَمِّرُونَ في كلامهم وَيُقَعِّبُونَ مما أظهر شناعتهم وقبحهم . قال الميساني في هجائه قوما :

وَلِحْنُكُمْ بِتَقْمِيرٍ وَمَدٍّ
وَالْأَمُّ مِنْ يَدِ بُّ عَلَى الْعَفَّارِ^(٢)

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١٤٦/١ .

(٢) البيان والتبيين ٢١٥/٢ .

وذكر الجاحظ في بعض المواضع أن أصحاب التشديق والتقمير والتقميب من الخطباء والبلغاء ، مع ساجدة التكلُّف ، وُسْنُعة التزويد ، أَعْدَرُ من عَمِيٍّ يتكلف الخطابة ، ومن حَصِرٍ يتعرض لأهل الاعتيار والدُّرْبَةِ .^(١) فجدده هنا وقد وصفهم بالتكلف السمج والتزويد الشنيع .

ولقد ذكر الجاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التقميب^(٢) . وذلك لما لاحظته من شناعة كلامهم وتكلفهم ، وهو المعروف عنه بأنه أفصح العرب قاطبة .

قال الشاعر في التقميب :

لَعَسَى لَقَدْ قَعَبْتَ حَمِينَ لَقَيْتَنَا

وَأَنْتَ بِتَقْمِيبِ الْكَلَامِ جَدِيدٌ^(٣)

كما قال خلف الأحمر في زم التقميب :

وَفَرَّقَمِهِنَّ بِتَقْمِيبِهِ كَفَرَقَمَةِ الرَّعْدِ بَيْنَ السَّحَابِ^(٤)

أما عن التقمير فقد أورد الجاحظ قول أبي الحسن : كان غلامٌ يَقَعِّرُ في كلامه ، فأتى أبا الأسود الدؤي لي يلتصق بعض ما عنده ، فقال له أبو الأسود : ما فعل أبوك ؟ قال : "أخذته الحمى فطبخته طبخاً ، وفنّخته فنّاً ، وفضخته فضخاً ، فتركته فرخاً" .

(١) البيان والتبيين ١/١٣٠

(٢) نفس المرجع ٢/١٧٠

(٣) نفس المرجع ٢/٢١٧

(٤) نفس المرجع ٢/٢١٨

فَنخْتَهُ : أضعفته . والفنيخ : الرخو الضعيف . وفضخته :
رَاقَتْهُ . فقال أبو الأُسود : " فما فعلت امرأته التي كانت تُهَارُهُ وتُشارُهُ ،
وتُجَارُهُ وتُزَارُهُ " ؟ قال " طَلَقَهَا ففترَوَّجَتْ غيرَه ، ففرضيت وحظيت ومظيت " .
قال أبو الأُسود : قد عرفنا رضيت وحظيت ، فما بمظيت ؟ قال : حرف من
الغريب لم يبيلفك . قال أبو الأُسود : يا بُني كلُّ كلمة لا يعرفها عمك
فاستترها كما تستر السنور جمرها " . (١)

فالذي يؤخذ من كلام الجاحظ هو أن التعقيب والتعكير
من العيوب التي يكرهها الفصحاء والبلغاء ولذلك عاب عليهم الرسول صلى
الله عليه وسلم ذلك .

وجاء في اللسان قوله : " التَّعْقِيبُ في الكلام : كالتَّعْكِيرِ .
قَعَبَ فلانٌ في كلامه وقَعَرَ ، بمعنى واحد " . (٢)

وقال صاحب اللسان : " قَعَرَ في كلامه وتَقَعَّرَ تَشَدَّقَ وتكلم بأقصى
قَعْرٍ فيه ، وقيل : تكلم بأقصى حلقه . والتَّعْكِيرُ في الكلام : التَّشَدُّقُ فيه .
والتَّقَعُّرُ : التَّمَقُّقُ .. يقال : هو يتَّقَعَّرُ في كلامه إذا كان يتنحى وهو
لَحَّانُهُ وَيَتَعَاقَلُ وهو هُلْبَاجَةٌ " . (٣)

وعلى هذا فإن التعكير والتعقيب والتعمق بمعنى واحد تقريبا .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١ / ٣٧٩ . جمرها ، بمعنى : خرء ها .

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (قعب) ١ / ٦٨٤ .

(٣) نفس المرجع ، مادة (قعر) ٥ / ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥) - التظيط :

لقد أشار الجاحظ إلى التظيط في أثناء حديثه عن اللحن حيث قال : " ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التعمير والتعيب، والتشديد والتظيط والجهورة والتفخيم . وأقبح من ذلك لحن الأعراب النازلين على طرق السابلة ، ويقرب مجامع الأسواق " (١)

فهو هنا لم يُعرّف التظيط أو يُحدّد معناه ، وإنما ذكره عرضاً .

وبالنظر لما جاء في اللسان وجدنا أن المظمطة عنده هو :

مدّ الكلام وتطويله . ومطّ شدّقه : مدّ في كلامه ، وهو المظط^(٢) .

وفي التهذيب : ومظمط إذا توانى في خطّه وكلامه^(٣) .

فيرى الجاحظ هنا أن أقبح اللحن لحن أصحاب التظيط فهم

يظهرون عيبهم إظهاراً قبيحاً وذلك بتطويلهم في الكلام رغم ما يعترى

لسانهم من اللحن الذي لا تُجيزه العربية في أى حال من الأحوال .

فهم يضيفون اللحن إلى سوء النطق ، لذا عدّه الجاحظ أقبح

اللحن .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/١٤٦ .

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (مطط) ٧/٤٠٣ .

(٣) انظر تهذيب اللغة للأزهري ١٣/٣٠٧ .

(٦) - النُّنْحَةُ :

النُّنْحَةُ من عيوب الأُداء يلجأ إليها الخطيب أو المتحدث بقصد تأجيل الكلام أو التهرب منه من أجل فرصة تفكير أو تعبير ذهب عن خاطره ويريد أن يستدركه فالخطيب الجيد الحاضر الفكر الواثق من نفسه لا يشعر بالخوف أو الرهبة فلذلك نجده ثابت القول لا يتلجلج ولا يتنحج .

قال الجاحظ : " وإنما يجترى على الخطبة الفِرَّ الجاهل الماضي ، الذي لا يثنيه شيء ، أو المطبوع الحاذق الواثق بفزارته واقتداره ، فالثقة تنفي عن قلبه كلَّ خاطرٍ يورث اللُّججة والنُّنْحة والانقطاع والبهر والعرق " (١) ، إذا فالثقة بالنفس لازمة للخطيب حتى لا يتلجلج ولا يتنحج .

وجاء في اللسان أن النحيح هو : صَوْتُ يَرُدُّهُ الرَّجُلُ فِي جَوْفِهِ " (٢)

قال الأزهري عن الليث : النُّنْحَةُ ؛ التَّنْحُحُ ، وهو أسهل من السُّعال وهي عِلَّةُ البخيل ، وأنشد :

يَكَادُ مِنْ نَحْنَحَةٍ وَأَحٍّ يَحْكِي سَعَالَ الشَّرْقِ الْأَبْحِ " (٣)

فقوله " وهي عِلَّةُ البخيل " يعني به أن البخيل إذا سُئِلَ

-
- (١) البيان والتبيين للجاحظ ١/٣٤٠ .
(٢) انظر اللسان مادة (نح) ٢/٦١٢ .
(٣) انظر تهذيب اللغة للأزهري ٣/٤٤٩ .

تنحنح وسعل ليعطي نفسه فرصة التفكير في كلام وتَعِيلَةً يُضْرَفُ بِهَا
السائل وهذا يشهد لما قدمنا من أن الشخص يلجأ إليها ليستدرك مافات
عن ذهنه من تعبير أو فكرة . قال الشاعر :

(١)
ومن الكبائرِ مِقْوَلٌ مُتَتَمِّعٌ جَمُّ التَّنْحَنَحِ مُتَعَبٌ مَبْهُورٌ

قال الجاحظ : وأنشدني سحيم بن حفص ، في الخطيب الذي
تَعْرِضُ لَهُ النُّحْنَحَةُ وَالسُّعْلَةُ ، فقال :

نُعَوِّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِهْمَالِ وَمِنْ كَلَالِ الْغَرْبِ فِي الْمَقَالِ
ومن خطيبٍ دَائِمِ السُّعْمَالِ (٢)

وقال الأشمُّ الأُزْرَقِيُّ فِي زَيْدِ بْنِ جَنْدَبِ الْإِيَادِيِّ ، خَطِيبِ
الْأَزَارِقَةِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَا فِي بَعْضِ الْحَافِلِ :

نَحْنَحُ زَيْدٌ وَسَعَلٌ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسَلُ
وَيْلٌ أُمَّهُ إِذَا ارْتَجَلُ ثُمَّ أَطَالَ وَاحْتَفَلُ (٣)

فبالنظر إلى الأبيات السابقة والتي ذكرها الجاحظ ، نجد
أن النُّحْنَحَةَ كانت من العيوب التي تعيبها العرب على الخطيب إذا
ما فعلها ، فلذلك نجدهم يتعوزون منها ويهجون من يلجأ لها ،

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/٤١ ، والمِقْوَلُ : كثير القول .

(٢) نفس المرجع ١/٤٠ . وَالْكَالُ : هو الْعَيْلُ وَالثَّقَلُ .

والغرب : إذا لم يسبق شيئا إلا تكلم به . انظر اللسان مادة
(كلل) و (غرب) .

(٣) البيان والتبيين ١/٤٢ .

ويعذون به من يتجنبها ، قال ثمامة بن أشرس في مدح جعفر بن يحيى : " ما رأيتُ أحداً كان لا يَتَحَبَّسُ ولا يَتَوَقَّفُ ، ولا يَتَلَجَّجُ ، ولا يَتَنَحَّحُ ، ولا يَرْتَقِبُ لفظاً قد استدعاه من بُعِدَ ، ولا يلتصم التخلص إلى معنَى (١) قد تَعَصَّى عليه طلبه ، أَشَدَّ اقْتِدَاراً ، ولا أَقَلَّ تَكَلُّفاً ، من جعفر بن يحيى " .
فالواجب إذا على الخطيب أن يتجنب هذا العيب ويبتعد عنه .

(٧) - الثرثرة :

وهي من عيوب الأداء التي أشار إليها الجاحظ وتعوز منها ، وذلك في قوله : " اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْعَمَلِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّكَلُّفِ لِمَا لَا نُحْسِنُ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعُجْبِ بِمَا نُحْسِنُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ السَّلَاطَةِ وَالْهَذَرِ " . (٢)

والمراد بالهذَرِ هنا هو كثرة الكلام في خطأ ، حيث جاء في اللسان : " الْهَذَرُ : الْكَلَامُ الَّذِي لَا يُعْبَأُ بِهِ . هَذَرَ كَلَامَهُ هَذَرًا : كَثُرَ فِي الْخَطَأِ وَالْبَاطِلِ .

وهذَرَ الرجلُ في منطقهِ يَهْذِرُ وَيَهْذِرُ هَذَرًا ، بالسكون ، وَتَهْذَارًا وهو بناء يدل على التكثير . وَأَهْذَرَ الرَّجُلُ فِي كَلَامِهِ : أَكْثَرَ .

فدلالة هذا التركيب يدل على الكثرة ، وهذا العيب وهو الهذر

أو الثرثرة يدخل ضمن عيوب الأداء الذي لا يكون سببه عضويا .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/١٠٦ .

(٢) انظر البيان والتبيين ١/٣٠٣ .

كلام الجاحظ عن أسباب عيوب النطق وعلاجها :

بعد أن حددنا معاني عيوب النطق في الفصل الأول وحللنا
دخائلها في ضوء ما قاله الجاحظ والمبرد وما جاء في اللسان ، فإننا
سوف نتحدث الآن عن أسباب هذه العيوب وعلاج الجاحظ لها .

وأحب أن أشير إلى أن الجاحظ لم يذكر أسباب كل العيوب
وعلاجها ، وإنما تحدث عن بعضها ، وفي بعض الأحيان نجده يذكر
الأسباب دون ذكر العلاج أو العكس .

وعلى هذا فسوف نجمل ما ذكره عن الأسباب ، ثم نجمل ما ذكره
عن العلاج .

١ - عيوب الحصر وعدم الوضوح :

من أسباب العيِّ والحَصْر التي ذكرها الجاحظ طول الصمت ، قال
عبدالله بن الحسن : " تَحَوَّلْتُ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فَقُلْتُ لَهُ : الصَّمْتُ خَيْرٌ
أَمْ الْكَلَامُ ؟ قَالَ : " أَخْزَى اللَّهَ الصَّمَاكَةُ ، فَمَا أَفْسَدَهَا لِلْبَيَانِ ، وَأَجْلَبَهَا
لِلْحَصْرِ . وَاللَّهُ لِلْمَارَاةِ أَسْرَعُ فِي هَدْمِ الْعِيِّ مِنَ النَّارِ فِي يَبْيِيسِ الْعَرْفَجِ ،
وَمِنَ السَّيْلِ فِي الْحَدُورِ " . قَالَ الْجَاظُ : وَقَدْ عَرَفَ زَيْدٌ أَنَّ الْمَارَاةَ
مَذْمُومَةٌ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : الْمَارَاةُ عَلَى مَا فِيهَا أَقْلٌ ضَرًّا مِنَ الصَّمَاكَةِ الَّتِي
تُورِثُ الْبُلْدَةَ ، وَتَعْمَلُ الْعُقْدَةَ ، وَتُفْسِدُ الْمُنَّةَ ، وَتُورِثُ عِلًّا ، وَتُوَلِّدُ
أَدْوَاءً أَيْسَرُهَا الْعِيُّ . فَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ زَيْدٌ " . (١)

(١) البيان والتبيين للجاحظ ٣١٣/١ - ٣١٤ .

نخلص من هذا إلى أن السبب في العيِّ والحصر هو الصمت ،
فلقد وضع الجاحظ أن الساكنة ينتج عنها أضرار كثيرة أيسرها العيِّ
فهي تسبب العقدة في اللسان ما يترتب عليه عدم الإبانة والإفصاح
في الكلام ، فطول الصمت والسكوت يفسد البيان ويجلب الحصر ،
وقد صرح الجاحظ بذلك السبب للحصر وبعض عيوب عدم الوضوح
فقال : " إذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره ، وتبدلت نفسه ،
وفسد حسه . . . وأية جارحة منعتها الحركة ولم تمرنّها على الاعتمال ،
أصابها من التعقّد على حسب ذلك المنع " (١) . وقال أيضا : " اللسان
إذا أكثر تغلبه رِقّ ولان ، وإذا أقلت تغلبه وأطلت إسكانه جسا وغلظ " (٢) .

وروى بشأن الحُبسة وما إليها قول بكر بن عبدالله المزني :
" طول الصمت حُبسة " (٣) .

وقول مكّي بن سوادة في ذلك :

تسلّم بالسكوت من العيوب فكان السكوت أجلب للعيوب (٤)

وروى بشأن العقلة قول عمر رضي الله عنه : " ترك الحركة عقلة " (٥)

وروى بشأن اللفف وما إليه قول أبي الزحف :

كأن فيه لفظا إذا نطق من طول تحبيس وهنم وأرق (٦)

(١) انظر البيان والتبيين ٢٧٢/١ ، ٢٧٣ ،

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المرجع ٢٧٢/١ ،

(٤) نفس المرجع ٥/١ ،

(٥) نفس المرجع ٢٧٢/١ ،

(٦) نفس المرجع ٣٨/١ ،

" كَانَهُ لَمَا جَلَسَ وَخَدَهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْ يُكَلِّمُهُ ، وَطَالَ عَلَيْهِ ذَلِكَ ،
أَصَابَهُ لَفْفٌ فِي لِسَانِهِ . (١)

وقال الجاحظ : " كان يزيد بن جابر قاضي الأزارقة بعد
المُعَطَّلِ يقال له الصَّموت لانه لما طال صمته ثَقُلَ عليه الكلام فكان
لسانه يلتوى ، ولا يكاد يسيب . " (٢) قال : " وأخبرني محمد بن
الجهم أن مثل ذلك اعتراه أيام محاربة الزُّط من طول التفكير ولزوم
الصَّمت . " (٣)

أما العلاج فيمكن اجمال ما ذكره الجاحظ منه في التدريب
على الكلام وكثرة تقليب اللسان به ، ويؤخذ ذلك من أكثر ما أسلفناه من
أقواله في أسباب تلك العيوب كقوله : " إذا ترك الانسان القول ماتت
خواطره " الخ فإن معناه أن ممارسة القول تمنع ما يترتب على تركه ،
وتعالجه إذا وقع ، وكذلك قوله : " وأية جارحة منعتها الحركة ،
ولم تمرننها على الاعتمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع . " فإن
معناه أن إتاحة الفرصة للجارحة لتتحرك ، وتمرينها على الاعتمال يمنع
اصابتها بالتعقد ، ويعالج ذلك التعقد إذا وقع .

ومن صريح قوله في أسلوب العلاج هذا قوله : " اللسان إذا
أكثر تقلبيه رقّ ولأن " . وقوله " كانوا يروون صبيانهم الأرجاز ،
ويعلّمونهم المناقلات ، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب ، لأن
ذلك يفتق اللهاة ، ويفتح الجرم . " (٤)

-
- (١) البيان والتبيين ١/٣٨٠ .
(٢) نفس المرجع والصفحة .
(٣) نفس المرجع والصفحة .
(٤) نفس المرجع ١/٢٧٢ ، ٢٧٣ .

٢ : اللُّثْفَةُ :

اللُّثْفَةُ هي أن يعدل بحرف إلى حرف بغير عَجْمَةٍ . ولقد تكلم الجاحظ كثيرا عن هذا العيب وبين الحروف التي تدخلها اللُّثْفَةُ وهي : لُثْفَةُ تَعْرِضُ لِلسَّيْنِ فتكون ثاء ، ولُثْفَةُ تَعْرِضُ لِلقَافِ فتكون طاء ، ولُثْفَةُ تَعْرِضُ لِللامِ فتكون ياء ، أو كافا . ولُثْفَةُ تَعْرِضُ لِلراءِ فتكون ياء ، أو ذالا ، أو غينا ، أو ظاء .

ومن الملاحظ أن الجاحظ لم يذكر أسباب هذا العيب ولعل ذلك راجع إلى أن اللُّثْفَةَ تكون خِلْقَةً أوجدها الله في بعض الناس ، وليست راجعة إلى أي سبب من الأسباب ، كما في الحُبْسَةِ والعُقْلَةِ والحَصْرِ واللَّفَفَةِ . أما من ناحية العلاج فنجده أيضا لم يذكره أو يتحدث عنه ، إلا من ناحية اللُّثْفَةِ التي تكون في بعض الناس سهلة يستطيع أن يتغلب عليها إذا ما حاول واجتهد . ومن ذلك اللُّثْفَةُ التي على الغين فهي أيسرها . قال الجاحظ : " فَأَمَّا التي على الغين فهي أيسرهنَّ ، ويقال إنَّ صاحبها لو جَهِدَ نَفْسَهُ جَهْدَهُ ، وَأَحَدَ لِسَانَهُ ، وتكَلَّفَ مَخْرَجَ الرِّاءِ على حَقِّهَا والإِفْصَاحَ بِهَا ، لم يَكُ بعيدا من أن تُجِيبَهُ الطَّبِيعَةُ ، ويؤثِّرَ فيها ذلك التَّعَمُّدُ أَثْرًا حَسَنًا .

وقد كانت لُثْفَةُ مُحَمَّدِ بْنِ شَيْبَةَ الْمُتَكَلِّمِ بِالغَيْنِ ، وكان إذا شاء أن يقول عَمْرُو ، ولعمرى ، وما أشبه ذلك على الصَّحَّةِ قاله ، ولكنَّه كان يستثقل التَّكَلُّفَ والتَّهْيِؤَ لذلك ، فقلت له : إذا لم يكن المانع إلا هذا العُذْرَ فلست أشكُّ أنك لو احتملتَ هذا التَّكَلُّفَ والتَّتَبُّعَ شَهْرًا

واحدًا أن لسانك كان يستقيم". (١)

فهو هنا قد بين أن اللُّثْفَةَ التي على الغين هي أيسر اللُّثْفَاتِ
ويستطيع الشخص المصاب بها أن يعالجها بنفسه ، وذلك بأن يجتهد
ويغالب نفسه ويتكلف حتى يستقيم لسانه . فعلاج هذا الأمر يحتاج
إلى طول تدريب وتحمل حتى يستقيم اللسان . قال الجاحظ :
إن اللُّثْفَةَ التي تكون على الغين "وهي أقلُّ اللُّثْفَاتِ قبحاً وأوجدها
في ذوى الشرف وكبار الناس وبلغائهم وعلمائهم". (٢)

كما ذكر "أن اللُّثْفَةَ في الراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهنَّ
وأوضعهنَّ لدى المروءة ، ثم التي على الظاء ، ثم التي على الذال". (٣)

أما بالنسبة للثْفَةِ واصل بن عطاء فقد ذكر الجاحظ أن واصل
حينما وجد أنه فاحش اللُّثَغِ ، وأنَّ مخرج ذلك منه شنيع أراد أن يُسْقَطَ
الراء من كلامه ، وإخراجها من حروفِ منطِقِهِ ، فلم يزل يُكابِدُ ذلك
ويغالبه ويناضله ، حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمَّلَ". (٤)

وهذا العمل الذي فعله واصل بن عطاء لا يعتبر علاجاً للثْفَةِ ،
وإنما هو حسن تخلص من أمر يكرهه ويشينه وهو على ما هو ممن
مكانة وزعامة .

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/٣٦٠ .

(٢) انظر نفس المرجع ١/٣٧٠ .

(٣) انظر نفس المرجع ١/٣٦٠ .

(٤) انظر نفس المرجع ١/١٤-١٥ .

وبذكرى لهذه القصة أردت أن أبين أن الاجتهاد
والمثابرة على التخلص من عيب من العيوب ممكن لو اجتهد
الشخص في ذلك وناضل ، وهذا الشيء يؤيد ما قاله الجاحظ من
أن على الانسان أن يحاول ويجتهد حتى يتغلب على لشفة الراء التي تكون
بالفين لأنها كما قال : أيسرهن .

ويمكن أن يدخل في العلاج أيضا إلى جانب التدريب على تقليد
اللسان بالكلام ما ذكره الجاحظ عن الثقة بالنفس ، فالتدريب على الكلام
والتزود بالثقافة والفكر ، عامل مهم للثقة بالنفس . وهذا العلاج ينفع
بالنسبة للعيوب التي يسببها الخوف ورهبة موقف الكلام . قال الجاحظ :
" وإنما يجترى على الخطبة الغر الجاهل الماضي ، الذي لا يثنيه شيء
أو المطبوع الحاذق الواثق بفزارته واقتداره ، فالثقة تنفي عن قلبه كل
خاطر يورث اللجلجة ، والنحنحة ، والانقطاع ، والبهر ، والعرق " (١)
فتدريب الشخص الفاقد الثقة بنفسه على الكلام والتزود بالثقافة
والمعرفة يربي لديه حصيلة غزيرة منهما ، فذلك يثبت الثقة في نفسه
فلا يعتريه الخوف الذي يسبب اللجلجة والانقطاع والبهر والعرق والنحنحة .

(١) انظر البيان والتبيين ١ / ١٣٤ .

الفصل الثالث : إضافات الجاهل في كلامه عنه عيوب
النظر .

الفصل الثالث

إضافات الجاحظ في كلامه عن عيوب النطق

لم تقتصر إضافات الجاحظ وجهوده على جانب الأصوات اللغوية فقط بل تعدتها أيضا إلى الإضافات في مجال عيوب النطق . وسيكون الحديث في ذلك مشتملا على أمرين :

الأمر الأول : إضافته بالنسبة للعيوب التي ذكرها ولم يذكرها من قبله .

الأمر الثاني : إضافته بالنسبة للتفاصيل التي ذكرها عن العيوب ولم يذكرها من قبله ، كالتعريف ، والسبب ، والعلاج ، والأثر ، (أي أثر هذا العيب في الكلام والإرلقاء) .

وأول هذه الإضافات هي :

العِيَّ

لقد تعرض الجاحظ للعِيَّ في أكثر من موضع في كتابه البيان والتبيين ، ولقد اعتبرناه من العيوب العامة . وأشرنا إلى أن الجاحظ قد ذكر أسبابه وعلاجه . (١)

أما الأَصْعِي وثابت فلم يذكر العِي ، وإنما ذكرنا بعض الصور التي تنضوي تحته ، كالخَرَس ، والحَكَّة ، واللفف ... وغيرها .

(١) انظر البيان والتبيين ١/٣٩، ٢٧٢ ، وانظره أيضا في رسالتنا هذه

الحصر :

أسلفنا أن الحصر عيب عام يشمل صوراً كثيرة (١) . ونلاحظ أن الأصمعي وثابتا قد ذكرا بعضاً من هذه العيوب أو الصور إلا أنهما لم يشيرا إلى الحصر في كلامهما عن هذه العيوب .

أما الجاحظ فقد تكلم عنه إلا أنه لم يُعرّفه . كما تكلم عن أسبابه وعلاجه (٢) ، وأثره السيء على المصاب من ناحية النطق والتعبير عن الفكرة ، حيث ذكر الجاحظ أن عيوب النطق الأخرى كاللجلججة والتتممة والغافاة . . . وغيرها أفضل من الحصر ، وخصوصاً إذا تكلف صاحبه مقامات الخطباء (٣) . وذلك لأن حصره يمنع من النطق أو التعبير عن الفكرة التي يريد توضيحها .

اللثغة :

ذكرها الأصمعي وثابت ضمن آفات اللسان ، إلا أنهما لم يفصّلا القول فيها (٤) . أما الجاحظ فقد تكلم عنها بالتفصيل وبين الحروف التي تدخلها اللثغة والأشخاص الذين عُرفوا بها . . . إلى جانب ذكول جانب من جوانب العلاج وهو التدريب والاجتهاد في التغلب عليها (٥) .

-
- (١) انظر ما سبق ص ٢٢٦ .
(٢) انظر ما قيل سابقاً عن الحصر في رسالتنا هذه ص ٢٣٣ - ٢٨٤ .
(٣) انظر البيان والتبيين ١/ ٣ ، ٤ ، ١٢٠ .
(٤) انظر ما سبق ص ٢٢٠ .
(٥) انظر البيان والتبيين ١/ من ٣٤ إلى ٣٧ وانظر ما سبق ص ٢٣٦ - ٢٨٧ .

العُقْلَة :

عرّفها الجاحظ بقوله : " ويُقال في لِسَانِهِ عُقْلَة ، إِذَا تَعَقَّلَ عليه الكلام " . ولقد سبق أن ذكرنا أسباب هذا العيب وعلاجه عند الجاحظ . (١)

أما الأُصمعي وثابت فلم يشيرا إليها ولا لاُ أسبابها وعلاجها .

دَقِيقَةُ الصَّوْتِ (الصَّئِي) :

والمراد به دقّة الصوت ، وضعفه ، وعبر عنه الجاحظ بدقّة الصوت ولم يذكر أسبابه وعلاجه ، وإنما اكتفى ببيان كره العرب له وضمهم لصاحبه . (٢)
أما الأُصمعي وثابت فلم يذكر شيئا عنه .

الحُبْسَة :

عرّفها الجاحظ بقوله : " ويُقال في لِسَانِهِ حُبْسَة ، إِذَا كَانَ الكلام يَثْقُلُ عليه ، ولم يبلغ حدَّ الفَأْفَاءِ والتَّمَتُّامِ " . وقد أسلفنا أن الجاحظ قد ذكر أسبابها وعلاجها . (٣) أما الأُصمعي وثابت فلم يشيرا إليها في أثناء حديثهما عن عيوب النطق .

(١) البيان والتبيين ٣٩/١ ، ٢٧٢ ، وانظر أيضا في رسالتنا هذه

ص ٢٤٠ - ٢٨٥ .

(٢) نفس المرجع ٣٩/١ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ٥٧/٢ ، وانظر ما سبق

ص ٢٤٣ .

(٣) نفس المرجع ٣٩/١ ، وانظر ما قيل سابقا ص ٢٤٣ - ٢٨٥ .

الطِّيقُ :

مظهر من مظاهر العيِّ ذكره الجاحظ في قوله : "طَبَّاقًا" ، يقال للبعير إذا لم يُحَسِّن الضَّرَابَ : جملٌ عيَّاياءٌ ، وجملٌ طَبَّاقًا . وهو هاهنا للرجل الذي لا يتجه للحُجَّةَ . (١)

ونجد أن الجاحظ لم يذكر أسبابه وعلاجه .

أما الأُصمعي وثابت فلم يذكر شيئا عنه .

(٢) الفَهْمُ :

ذكره الجاحظ في كتابه البيان والتبيين دون أن يُعرِّفه أو يذكر أسبابه وعلاجه . ولقد قمنا نحن بتعريفه وتوضيح معناه .

أما الأُصمعي وثابت فلم يتعرضا له ولم يشيرا إليه أبدا .

(١) نفس المرجع ٣/١ الى ١٠٩٠٧ . وانظره أيضا في رسالتنا هذه ص ٢٥٤

(٢) نفس المرجع ٣١/١ الى ٣١٠٢٤١٠٣٨/٣٨ . وانظره أيضا في رسالتنا

الرَّطَانَةُ :

ذكره الجاحظ في كتابه دون أن يُعرِّفه وذلك في قوله : "وأهل هذه اللُّغة وأربابُ هذا البيان لا يستدلون على معاني هوء لاء بكلامهم ، كما لا يعرفون رَطَانَةَ الرُّومي والصَّقَلبي". (١)

ولقد قمنا نحن بتعريفه وتوضيح معناه ، (٢) دون ذكر الأسباب والعلاج وذلك لعدم ذكر الجاحظ لها .

أما بالنسبة للأصمعي وثابت فلم يشيرا إليها .

اللفف :

عرّفه القدماء ، إلا أنهم لم يُفصّلوا القول فيه . (٣) أما الجاحظ فقد وضح معناه وفصّل القول في أسبابه وعلاجه وأثره السيء على النطق ، وبيان عدم قدرة صاحبه على الإبانة . (٤)

اللكنة :

عرّفها الجاحظ بقوله : " ويُقال في لسانه لُكْنَةٌ إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب ، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول ". (٥)

-
- (١) انظر البيان والتبيين ١/١٦٢ .
(٢) انظر ما قيل سابقا في رسالتنا هذه ص ٢٦٠ .
(٣) انظر ما قاله الأصمعي وثابت عن اللفف في رسالتنا هذه ص ٢٢١ .
(٤) انظر البيان والتبيين ١/٣٨ ، وانظر ما قيل سابقا عن اللفف ص ٢٦٢ - ٢٨٥ .
(٥) نفس المرجع ١/٤٠ .

ومن الطبيعي أن لا يذكر الجاحظ أسباب هذا العيب وعلاجه ،
لأنه ليس ناتجا عن مرض عضوي أو نفسي .

ونجد أن الجاحظ قد فصل في هذا العيب وذكر الحروف التي
تدخلها اللكنة ، والناس الذين اشتهروا بها . (١)

العجلة :

(٢)
ذكرها الجاحظ مكتفيا بمعنى اسمها عن تعريفها ، وهو يريد بها سرعة
الكلام لدرجة الإبهام وعدم الوضوح . وهي لا ترجع إلى أسباب
عضوية ، ولم يذكر الجاحظ أسبابها وعلاجها .
أما الأصمعي فقد أشار إليها ضمن بيت من الشعر دون أن يعدها
ضمن العيوب كما فعل الجاحظ . (٣)

ونخلص من ذلك كله إلى أن إضافات الجاحظ في هذه العيوب
كانت إما من ناحية ذكره للعيب دون ذكر السابقين له ، أو تعريفه لبعض
العيوب ، أو ذكره للأسباب والعلاج ، أو تفصيله في الكلام عنه دون
غيره من الذين سبقوه وإما من ناحية بيان أثر هذا العيب في النطق
والإلقاء ، ولذلك اعتبرنا هذه العيوب ما أضافه الجاحظ .

-
- (١) انظر ما سبق ص ٢٦٣ .
(٢) انظر البيان والتبيين ١٢/١ ، ٣٩٠ . وانظر ما قيل سابقا عن العجلة
ص ٢٦٨ .
(٣) انظر البيان والتبيين ١٢/١ ، ٣٩٠ .

الفصل الرابع : تقويم كلام الجاهل عن عيوب النظم .

الفصل الرابع

تقويم كلام الجاحظ عن عيوب النطق

نقدم هذا الفصل تقويماً لما ذكره الجاحظ عن عيوب النطق وأسبابها وعلاجها . وسنحتكم في هذا التقويم إلى كلام الرئيس أبي علي الحسين بن سينا (ت ٤٢٨هـ) باعتداده أحد عظماء الأطباء وعلماء النفس في العصور الوسطى ، وإلى كلام علماء النفس المحدثين ، وذلك لنتبين مدى سبق الجاحظ ، وصدق نظراته في مجال الكلام عن عيوب النطق .

أولاً : كلام الرئيس ابن سينا عن عيوب النطق .

تحدث الرئيس أبو علي بن سينا عن عيوب النطق في كتابه (القانون) في معرض حديثه عن الفم واللسان وبيان تشريحهما ، حيث ذكر الآفات التي تصيبهما وعلاجها عنده .

والذي نلاحظه على ابن سينا أنه لم يتحدث عن العيوب النطقية كوحدة واحدة ، بل قسم الأمراض التي تصيب اللسان إلى فصول ، وكل فصل يندرج تحته بعض من العيوب .

وقد قدم قبل ذلك حديثاً عن الفم واللسان وبيان أفضل الألسنة

في الاقتدار على الكلام الجيد الخالي من العيوب ، حيث قال عن الفم :
" هو الوعاء الكلي لأعضاء الكلام في الإنسان والتصويت في سائر الحيوانات المصوتة من النفخ . واللسان عضو منه وهو من آلات تقليب

المضوغ وتقطيع الصوت وإخراج الحروف وإليه تمييز الذوق". (١)
أما بالنسبة لأفضل الألسنة في الاقتدار على الكلام الجيد فقد
قال : " وأفضل الألسنة في الاقتدار على جودة الكلام ، المعتدل في
طوله وعرضه المستدق عند أسلته". (٢)

١ : أمراض اللسان :

قال ابن سينا : " قد يحدث في اللسان أمراض تُحْدِثُ آفة
في حركته إما بأن تبتل أو تضعف أو تتغير . . . وقد يكون المرض سوء
مزاج وقد يكون آليا من عظم أو صغرا أو فساد شكل أو فساد وضع ، فلا
ينبسط أو لا ينقبض ، أو من انحلال فرد وقد يكون مرضا مركبا كأحد الأورام
وربما كانت الآفة خاصة به وربما كانت لمشاركة الدماغ". (٣)

وهكذا نراه يتحدث عن عظم اللسان ، وصغره ، وفساد شكله ووضعه
بحيث لا ينبسط أو لا ينقبض ، باعتدال كل تلك من آفات اللسان .
ولعلنا نلاحظ الصلة الوثيقة بين كلامه عن عظم اللسان وعن
عدم انبساطه وعدم انقباضه ، وبين ما رده الجاحظ كثيرا من الكلام
عن ثقل اللسان وثقل حركته وجساوته وقلة مرونته .

-
- (١) انظر الكتاب الثالث من القانون في الطب لابن سينا ٢ / ١٧٥ .
(٢) نفس المرجع والصفحة .
(٣) نفس المرجع والصفحة .

ولبَّ الكلام هنا هو لبُّه هناك والفرق بينهما أن كلام الجاحظ
كلام أديب وكلام ابن سينا كلام طبيب .

والعيوب النطقية التي تحدث عنها ابن سينا تنقسم إلى
فصول هي :

١ - حديثه عن استرخاء اللسان وثقله وما ينتج عن ذلك
من خلل في الكلام وذلك في قوله : " وقد يبلغ الاسترخاء باللسان إلى أن
يعدم الكلام أو يتعسراً ويتغير ومنه الفأفأ والتتَمَّام ومن الصبيان من
تطول به مدة العجز عن الكلام ومن المتعتم في كلامه من إذا عرض له
مرض حار انطلق لسانه لذويان الرطوبة المتعتم للسان المحتبسة
في أصول عصبه ولمثل هذا ما يكون الصبي ألثغ ، فإذا شبَّ واعتدلت
رطوبته عاد فصيحاً " . (١)

وكلام الرئيس ابن سينا واضح إلا أننا نلاحظ ارجاع بعض أنواع
اللثغة إلى زيادة رطوبة بدن الطفل . ومن ثم لسانه فإذا بلغ واعتدلت
رطوبته فصَّح لسانه .

أسباب الاسترخاء :

لقد ذكر ابن سينا أن الاسترخاء في اللسان وثقله راجع إلى
رطوبة دموية مائية ، قد يكون لسبب في الدماغ ، أو العصبية المحركة

(١) انظر (القانون في الطب) ١ / ١٧٧ .

له الجائية منها إليه . والذي يدل على أن المادة دموية حمرة اللسان وحرارته قد يدل على أن المادة رقيقة مائية كثرة سيلان اللعاب .^(١)

كما ذكر أن " اتصال عصبه اللسان بعدة أعصاب لا يخلو إما أن تكون تلك الأعصاب مواتية لها في الحركة لاتعاوقها فيكون حال أصحاب الكلام ، وإما أن تعاوقها ولا تواتيها بسهولة فيكون التتممة ونحو ذلك وربما وقعت التتممة من العبسة بسبب أن العصب تستقي القوة من عصب آخر فينجس إلى أن يتجه " .^(٢)

العلاج :

لننظرنا إلى العلاج عند ابن سينا لوجدنا أنه يعتمد في علاجه

دائما على :

١ - العلاج الطبي بالأدوية والغراغر والدلك بالمراهم والأدوية ، حيث ذكر بأنه " إذا اشتد الاسترخاء وامتنع الكلام فيؤخذ شي من الاوفريون وكندس ويذام ذلك اللسان وأصله به ، كما توضع على الرقبة أيضا " .^(٣)

٢ - التدريبات والتمرينات للسان ، وذلك بإدامة تحريكه وتديلته . مع إجبار المصاب على الكلام حتى يتعود على الكلام وتحريك اللسان .^(٤)

(١) انظر القانون في الطب ٢/١٧٧ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

٢ : أمراض أخرى :

تحدث ابن سينا عن أمراض أخرى للسان ^{٥٥} تُحَدِّثُ ضَرراً في الكلام منها تشنج اللسان ، وعظمه ، وقصره ، وورمه . . . وقد بيّن لكل من تلك الآفات اللسانية سببها وعلاجها ، وما ذكره من علاج التشنج الفرغرة بأدوية مُعَيَّنة ، ولِعِظَمِ اللسان الدُّكَّ ببعض الأدوية كما ذكره أدوية لورم اللسان . أما قصر اللسان (وهو من أسباب اللثخ) فذكر أن سببه اتصال الرباط الذي تحته برأس اللسان وطرفه فلا يدع اللسان ينبسط ، وأن علاجه يكون بقطع ذلك الرباط من طرفه قليلاً - بحيث يستطيع المريض أن يمد لسانه إلى أعلى الحنك ، وأن يخرج من الفم .
فإن خيف كثرة نزف الدم اكتفى بخرم الرباط بدل قطع طرفه . (١)

٣ : اجمال أسباب أمراض الكلام :

أجمال ابن سينا - في موضع آخر من القانون - أسباب الخلل في الكلام بأنه قد يكون سببه " آفة في الدماغ ، وفي مخرج العصب الجائي إلى اللسان المحرك له ، فقد يكون في نفس الشعبة وقد يكون في العضل نفسها وذلك الخلل إما تشنج وإما تمدد أو تصلب أو استرخاء أو قصر رباط أو تعقد من جراحة أو ورم صلب ، وقد يكون من رطوبة أو يبوسة .

(١) انظر القانون لابن سينا عن تشنج اللسان ١٧٧/٢ ، وعن عظمه

١٧٨/٢ ، وعن قصره ١٧٨/٢ ، وعن ورمه ١٧٨/٢ .

وقد تكون الآفة في الكلام نتيجة قسروح تعرض في اللسان ونواحيه وقد تكون الآفة في الكلام بسبب عضل في الحنجرة إذا كان فيه تمدد واسترخاء^(١).

وبعد ، فإن أهم ما يلفتنا هنا هو تحدث الطبيب ابن سينا عن كثير من عيوب النطق التي ذكرها الجاحظ بعينها ، ثم ذكره في علاج تلك العيوب وسائل ما ذكره الجاحظ كالتدريب الذي ذكره في معالجة استرخاء اللسان ، وكذلك التدليك والغرفة التي ذكرها بالنسبة لعظم اللسان وتشنجه وورمه . والتدليك والغرفة شبيهان بالتدريب والتمرين . وذلك كله يدل على ما كان للجاحظ من بصيرة نفاذة ، وتقدير صائب للأمر في هذا الباب .

ثانياً : كلام علماء النفس المحدثين عن عيوب النطق :

من خلال الاطلاع على ما أُتيح من دراسات علماء النفس المحدثين يتبين أن أكثرهم - على ما قال الدكتور مصطفى فهمي^(٢) - يقسمون اضطرابات الكلام وعيوب النطق إلى قسمين رئيسيين :

(١) انظر القانون ١٢٩/١ .

(٢) الدكتور مصطفى فهمي يُعدُّ من رواد علماء النفس المحدثين في

مجال أمراض الكلام .

- (١) - عيوب ترجع العلة فيها إلى أسباب أو عوامل عضوية ، كوجود عيب في الجهاز الكلامي أو السمعى ، أو النقص في القدرة الفطرية العامة (الذكاء) ، فيحدث نتيجة لذلك عيب في النطق أو احتباس في الكلام أو نقص في القدرة التعبيرية .
- (٢) - عيوب ترجع العلة فيها إلى أسباب وظيفية ، وهنا نجد أن المصاب لا يشكو أى نقص عضوى في الجهاز الكلامي أو السمعى . (١)
- وبما أن هذا التقسيم يتفق إلى حد كبير مع تصنيفنا الأول للعيوب عند الجاحظ ، فسنمرّمًا سريعًا على عيوب النطق التي تناولها علماء النفس المحدثون وتناولها الجاحظ قبلهم .

- (١) انظر كتاب (أمراض الكلام) للدكتور مصطفى فهمي ص ٢٩ ، ط / الثالثة ، دار مصر للطباعة ، وكتاب (سيكولوجية المرضى وذوى العاهات) د . مختار حمزة ص ٢٢٨ ، ط / الثانية ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ج . م . م . ع .
- وهناك تقسيم آخر انظر كتاب (أمراض الكلام) د . مصطفى فهمي ص ٢٩ ، ٣٠ ، ط / الثالثة ، دار مصر للطباعة . وانظر كتاب (علم اللغة النفسى) د . عبد المجيد سيد أحمد منصور . الناشر : عصابة شوون المكتبات - جامعة الملك سعود الرياض عام ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

(أ) - العيوب التي اتفق فيها الجاحظ والمحدثون وهي كالآتي :

العَيْءُ

إن من مظاهر العَيْءِ بعض من عيوب النطق والكلام الناتجة عن نقص في القدرة الذهنية ، أو النقص العقلي . الذي يشتمل على ضعف في قدرة المصاب على اكتساب اللغة مع عجز والتواء في طريقة النطق . وأيضاً يشتمل على عدم الاستعمال الصحيح للغة ، ومحصل الألفاظ اللغوية قليلة ويرجع ذلك إلى أن لديه مجموعة ضئيلة من الأفكار (١) .

ومن مظاهر العَيْءِ أيضاً بعض أنواع الحُبسة أو الأُمَيزيا التي تتصل بفقد القدرة على التعبير بالكلام أو بالكتابة ، أو عدم القدرة على الفهم (٢) .

ويرى الجاحظ أن العَيْءَ يشتمل على العجز عن الكلام بصورة ما ، فهو يعني العجز الحقيقي الكلي عن الكلام لعدة بدنية أو نفسية وقد يطلق أيضاً على العجز غير الحقيقي المؤقت لحرَج أو خجل أو زهاب الفكرة أو العبارة . ويطلق أيضاً على العجز الجزئي ، كالأداء المعيب من لُثْفَةٍ وَحُبْسَةٍ وَتَأْتَاهُ وَفَأْفَاءَةٌ . . . على سبيل المبالغة في وصفها . وعلى هذا فإن العَيْءَ يصلح عنواناً عاماً لكل عيوب النطق والأداء اللغوي (٣) .

(١) انظر (أمراض الكلام) د . مصطفى فهمي ص ٨٢ ، ٨٨ ط / الثالثة .

(٢) انظر نفس المرجع ص ٨٥ ، والصحة النفسية د . حامد زهران ص ١٤٥ .

(٣) انظر ص ٢٢٧ في هذه الرسالة .

أما أسباب العي وواجه فهي نفس أسباب الضعف العقلي باعتباره مظهرا من مظاهر العي^(١) . وكذلك بالنسبة للحبسة .

العُقْلَة :

فَرَفَوْهَا بِأَنَّهَا مَقْدَةُ اللِّسَانِ أَوْ اضْطِقَالَهُ وَاسَاكَهُ بِحَيْثُ يَعْجِزُ الْمَرِيضُ مِنْ تَلْفِظِ الْمَقْطَعِ أَوْ نَطْقِ الْكَلِمَةِ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ^(٢) وَقَدْ مَرَّبْنَا قَوْلَ الْجَاهِظِ فِيهَا " وَيُقَالُ فِي لِسَانِهِ فُقْلُهُ إِذَا تَعَقَّلَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ " .^(٣) وقد أسلفنا أن الجاحظ ذكر سببها من ترك تحريك اللسان بالكلام وما إليه وأن علاجها يكون بتحريك اللسان والإكثار من تقليبه بالكلام حتى يَسْرِقَ ويلين . هذا بينما لم يتعرض المحدثون للأسباب ولا للعلاج . وهذه درجة للجاحظ عليهم .

التلعثم :

وقد فَرَفَوْهُ بِالْتَرْدُدِ فِي نَطْقِ الْحُرُوفِ أَوْ تَكَرُّرِ مَقَاطِعِهَا^(٤) ، وواضح من تعريفها أنها تشمل صوراً ذكرناها باسم التَّعْتَمَةِ وَالْفَأْفَاءِ وَاللَّجَلَجَةِ . وهذا أيضا يؤيد خذ من كلام الجاحظ^(٥) وقد لحظه بعض المحدثين

- (١) انظر (أمراض الكلام) د . مصطفى فهمي ص ٩٨ ، ٩٩ ،
وكتاب سيكولوجية المرض د . مختار حمزة ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .
- (٢) الصحة النفسية د . حامد زهران ١٤٦ .
- (٣) البيان والتبيين ١ / ٣٩ .
- (٤) الصحة النفسية د . حامد زهران ١٤٧ .
- (٥) قال الجاحظ : إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تتمام ، وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفأء (البيان والتبيين ١ / ٣٧) .

ذلك أيضا (١) ، وقد توسع المحدثون في الكلام عنها ، وأرجعوها إلى سببين :
عصبي ونفسي . (٢)

التتمة :

عرفها بعض المحدثين بما يقرب من تعريف القدماء فقالوا :
هي التردد في نطق حرف الفاء والميم (٣) وبعضهم عسها في تكرار
الحروف أي كانت (٤) ، وقد حظي هذا العيب باهتمام علماء النفس
المحدثين . (٥)

الحبسة أو الأفيزيا :

اصطلاح الأفيزيا يشمل صورا كثيرة (٦) منها صور عرفناها في
كلام الجاحظ ينطبق عليها تعريف الحبسة وتشمل الرتة واللجاجة
والتتمة والفاقة . وهي من العيوب التي حظيت باهتمام المحدثين . (٧)

العقدة :

إن إرجاع المحدثين سبب العقدة إلى حالة الحبال التي تربط
اللسان بموه خرة قاع الفم (٨) يذكرنا بما قاله ابن سينا من اللثفة .

-
- (١) انظر سيكولوجية المرضى وذوى العاهات د . مختار حمزة ط/٢ ، ٢٢٩٠ .
 - (٢) انظر علم اللغة النفسي د . عبد المجيد سيد أحمد منصور ص ٢٨٨ .
 - (٣) انظر الصحة النفسية د . حامد زهران ١٤٧٠ .
 - (٤) انظر سيكولوجية المرضى وذوى العاهات ٢٤٤٠ .
 - (٥) انظر مثلا المرجع السابق ٢٤٤-٢٤٩ .
 - (٦) انظر (أمراض الكلام) د . مصطفى فهمي ٨٥ ، والصحة النفسية
د . حامد زهران ١٤٥٠ .
 - (٧) انظر (أمراض الكلام) ٥٨-٦٧ ، والصحة النفسية د . حامد زهران
 - (٨) انظر سيكولوجية المرضى وذوى العاهات د . مختار حمزة ٢٣١ .

الْفَأْفَاءُ :

قَرَفُوها - كالتقدمات - بالتردد في نطق الفاء (١) وجعلها
بعضهم من صور التلعثم. (٢)

اللَّجَلَجَةُ أَوِ التَّهْتِهَةُ :

قَرَفُوها بأنها التردد في الكلام وأنه لا يكاد يخرج من الفم (٣)
وهذا يتفق مع تعريف القدمات ، ولكن المحدثين توسعوا في دراستها
تشخيصا وطلاجا حتى صارت هناك نظريات متعارضة فيها (٤) . وقد
توسع د. مصطفى فهمي في الكلام عنها ، وما طالعجه من حالاتها. (٥)

الْلَفَفُ :

قَرَفُوها كما قَرَفُوها الجاحظ بتداخل الكلام بعضه في بعض (٦) إلا
أنهم لم يعرضوا لأسبابه وللعلاجه ، بينما عرض الجاحظ لذلك كما
مَرَّبْنَا. (٧)

-
- (١) الصحة النفسية د. حامد زهران ١٤٧٠ .
(٢) انظر علم اللغة النفسي د. عبدالمجيد منصور ٢٨٨٠ .
(٣) الصحة النفسية د. حامد زهران ١٤٦٠ .
(٤) انظر (أمراض الكلام) د. مصطفى فهمي ١٢٩ وما بعدها .
(٥) انظر المرجع السابق ص ١٤٢-١٥٦ ثم الى ١٨٨ .
(٦) انظر الصحة النفسية د. حامد زهران ١٤٧٠ .
(٧) انظر ص ٢٨٥ في هذه الرسالة .

شبه اللثغة :

وهي من عيوب إبدال الحروف ، وقد توسع المحدثون في تناولها كما توسع الجاحظ ، إلا أنهم أضافوا حروفا ، يقع فيها الإبدال لم يذكرها الجاحظ كإبدال السين شيئا أو دالا ، والمهمزة عينا ، والراء همزة ، والكاف تاء ، والغين خاء ، والراء تاء ، والصاد تاء^(١) كما أنهم خصوا إبدال السين تاء أو شيئا أو دالا باسم الثأثة^(٢) . وقد ذكر الجاحظ إبدال القاف طاء ، واللام كافا ، والراء زالا ، وأوظا^(٣) ولم يذكرها المحدثون .

أما عن أسبابها فقد ذكر بعضهم أسبابا ضوئية كالخلل في حجم الأسنان أو انتظامها ، وأسبابا نفسية ، ولم يفتنوا إلى ما ذكره ابن سينا من الأربطة التي تربط اللسان إلى قاع الحنك .

وأما عن العلاج فقد اهتموا به وذكروا منه إزالة ما يكون في الأسنان من تشوه ، كما ذكروا منه التدريب على التحكم في اللسان ، وعلى نطق الحروف موضع اللثغة نطقا صحيحا^(٤) . وكلامهم عن التدريب هذا سبقهم به الجاحظ .

-
- (١) انظر علم اللغة النفسي د . عبد المجيد سيد أحمد منصور ٢٨٩-٢٩٠ .
(٢) انظر الصحة النفسية د . حامد زهران ١٤٦ .
(٣) انظر كلام الجاحظ عن اللثغة في ما سبق هنا ص ٢٣٦ .
(٤) انظر أمراض الكلام د . مصطفى فهمي ١٢٤-١٢٥ ، سيكولوجية المرض د . مختار حمزة ٢٢٩ ، صحتك في فمك وأسنانك ، د . مدحت فريد ٢٢١ ، وقد ذكر د . عبد المجيد سيد أحمد منصور في علم اللغة النفسي ٢٨٩-٢٩٠ أن شيوع الخطأ في نطق الكلمات والحروف كما في الإبدال المرضي هذا راجع إلى تقارب الحروف في المخارج والصفات . وهذا التقارب لا تختص به العربية .

اللُّكْنَةُ :

عرّفها المحدثون بأنها إبدال الحاء هاء والعين همزة (١) .
ويوضح قصور هذا التعريف أن الجاحظ عرّفها بما هو أشمل وأدق ، يقال
في لسانه لُكْنَةُ إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب ، وجذبت
لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول (٢) فهي ما يقع للعجم في
نطقهم العربية وما ذكر منها إبدال الجيم زايما في مثل الزمّل (أي الجمل) ،
والزاي سينا في مثل سورق (زورق) والسين شينا والطاء تاء ، في مثل
الثلثان (السلطان) ، والشين سينا في مثل ما سعرت (أي ما شعرت) ،
والقاف كافا في كلت لك (قلت) ، والذال دالا في مثل الجسر دان
(الجردان) بل وتشمل الخطأ في نطق الحركات أحيانا كقوله تلد بفتح
اللام بدل كسرهما. (٣)

وإذا كان سبب اللُّكْنَةُ يوه خذ من تعريف الجاحظ لها وهي
انجذاب لسان الأعجمي - عندما ينطق العربية - إلى ما اعتاده في نطق
لفته الأولى ، وعلاجها يوه خذ ما ذكره عن كثرة التدريب والتمرين ، فإن
هذا يُعَدُّ سبقا له لم يلحقه فيه المحدثون حيث لم يتعرضوا لأسباب
اللُّكْنَةُ أو علاجها .

-
- (١) الصحة النفسية د . حامد زهران ٤٧ ، كما عرّفها أيضا حسين خضري كتاب
علاج الكلام ص ٣٦ .
- (٢) البيان والتبيين ١ / ٤٠ .
- (٣) انظر ما سبق هنا في الكلام عن اللُّكْنَةُ ص ٢٦٣ .

الحُكْلَة وَالصَّيِّ:

ذكر المحدثون من عيوب النطق اضطرابات الصوت " وتشمل هذه الاضطرابات الإخفاق في إخراج الصوت مرتباً مقبولاً وواضحاً حسب ما تتطلبه الظروف، ومثال ذلك خشونة الصوت، والمبحوح منه، أو انخفاضه وضعفه، أو حدته، أو إخراجها عن طريق الأنف^(١) ولم يخصصوا لكل من هذه الاضطرابات اسماً. ومراجعة ما ذكرنا قبلاً عن الحُكْلَة من خفاء الصوت بحيث لا يبين لانخفاضه وضياح بعض مقاطعه يتبين أنها تدخل ضمن ما سموه اضطرابات الصوت، وكذلك الأمر في الصَّيِّ فقد ذكروا من صور هذه الاضطرابات الارتفاع غير الكافي بحيث يعتبر الصوت غير مرتفع بدرجة كافية بحيث يفهم بسهولة في المحادثات العادية.^(٢) وهذا ينطبق على الصَّيِّ جزئياً على الأقل.

وقد فصل المحدثون في أسباب اضطرابات الصوت وعلاجها.^(٣)

الثرثرة :

عرفها المحدثون بأنها: " كلام كثير بدون داع "^(٤) وأدخلوها ضمن اضطرابات كم الكلام. أما الجاحظ فقد عرفها بالهذر، وتعوز من شرها^(٥). والهذر هو كثرة الكلام في خطأ.

-
- (١) انظر سيكولوجية المرض د. مختار حمزة ٢٢٩.
 - (٢) نفس المرجع ٢٣٤ بتصرف.
 - (٣) انظر سيكولوجية المرض د. مختار حمزة ٢٢٨-٢٣٤.
 - (٤) انظر الصحة النفسية د. زهران ص ١٤٦.
 - (٥) انظر ما قيل سابقاً ص ٢٨٣.

الغَمَمَةُ :

عَرَّفَهَا المحدثون بقولهم : " الغَمَمَةُ هي عدم تبيان مقاطع الحروف " (١) وعدوها ضمن اضطرابات الصوت .
أما الجاحظ فقد عدَّها من اللهجات . (٢)

*

(ب) - العيوب التي انفرد بها الجاحظ وهي كالآتي :

الرتة : (٣)

تحدث عنها الجاحظ ضمن عيوب النطق ، إلا أنه لم يذكر أسبابها ولا علاجها .
أما المحدثون فلم يذكروا هذا العيب ، كما لم يذكروا أسبابه وعلاجه .

(١) انظر الصحة النفسية د . زهران ص ١٤٧ .

(٢) انظر ما قاله الجاحظ في المبيان والتبيين ٣ / ٢١٢ - ٢١٣ . وانظر رسالتنا هذه ص ٢٧٠ .

(٣) انظر نفس المرجع ١ / ١٢٠ . وانظر ص ٢٤٦ في رسالتنا هذه .

الرطانة (١)

وهي من العيوب التي تعرض لها الجاحظ في كتابه البيان والتبيين دون أن يذكر أسبابها وعلاجها ، حيث اكتفى بتوضيح المعنى المراد منها . أما المحدثون فلم يذكروا شيئاً عن الرطانة ولا عن أسبابها وعلاجها .

عَضْبُ الرِّيقِ (٢)

ذكر الجاحظ أن العرب كانوا يمدحون كثرة الريق ، لأنها من الأمور المستحبة التي تساعد اللسان على الحركة بسهولة في الموضع الذي يتطلبه الحرف . ونجد أن الجاحظ لم يذكر أسبابه ولا علاجه ، بل اكتفى بذكر موضوعات أخرى لا تتصل بالأسباب ولا بالعلاج .
أما المحدثون فلم يتعرضوا لها ، ولا لأسبابها وعلاجها .

الطَّبِقُ (٣)

وهو ما يُطلق على الأشياء التي لا يُحسِن المرء فعلها ، والذي يُبتعدُ فيها عن الحجة .

ولقد ذكر الجاحظ هذا العيب إلا أنه لم يذكر أسبابه ولا علاجه .
أما بالنسبة للمحدثين والملاحظ أنهم لم يتكلموا عن هذا العيب ، كما لم يذكروا أسبابه ولا علاجه .

(١) انظر البيان والتبيين ١/١٦٢ ، وانظر ص ٢٦٠ في رسالتنا هذه .

(٢) انظر نفس المرجع ١/١٧٦-١٧٩-١٨٠ . وانظر ص ٢٥٦ في رسالتنا هذه .

(٣) انظر نفس المرجع ١/١٠٩-١٧٦ . وانظر ص ٢٥٤ من رسالتنا هذه .

الفهه : (١)

الفهه من العيوب التي ذكرها الجاحظ دون أن يُعترفه كما أنه لم يذكر أسبابه ولا علاجه .

أما المحدثون فلم يشيروا إلى هذا العيب أبدا .

وهذا يكون الجاحظ قد تميز عن المحدثين بذكر هذه العيوب ، حتى ولو بالتنويه الموجز البسيط .

ج : العيوب التي انفرد بها المحدثون :

لقد حظيت عيوب النطق بمزيد من اهتمام المحدثين ، وأُجريت عليها دراسات موسعة نشير إليها إشارات :

(١) - الألفيزيا (الحبسة) بصورها الأخرى غير التي اتفق فيها الجاحظ والمحدثون . (٢)

(٢) - التأخر في قدرة الأطفال على الكلام . (٣)

-
- (١) انظر البيان والتبيين ١/١٣١-١٣٤١ . وانظر ص ٧٥٨ من رسالتنا هذه .
- (٢) انظر (أمراض الكلام) د . مصطفى فهمي ص ٥٧ وما بعدها . وانظر (الصحة النفسية) د . حامد زهران ص ١٤٥-٤٩١-٤٩٢ وانظر (علم اللغة النفسي) د . عبد المجيد سيد أحمد ص ٣٠٣-٣٠٥ . و (سيكولوجية المرضى) د . مختار حمزة ص ٢٣٩ وما بعدها .
- (٣) انظر (أمراض الكلام) د . مصطفى فهمي ص ٤٢ الى ص ٥٣ ، ص ١١١ .

- (٣) - أثر شلل الألفاظ في عيوب النطق والكلام. (١)
- (٤) - الكلام التشنجي ، ويمثل ذلك في " أن يكون الكلام متفجرا وبطيئا ومملا ، وقد يصحبه اضطراب في التنفس أو حركات لا إرادية ". (٢)
- (٥) - الكلام الطفلي . حيث " يحوى الكلمات الرئيسية دون الباقي ". (٣)
- (٦) - اللغة الجديدة " وهي أن يتفاهم المريض بلغة جديدة يصوغها هو ولا يفهمها إلا هو ". (٤)
- (٧) - قلة الكلام ، " وهو اقتضاب الكلام . ويلاحظ في الإكتئاب ". (٥)
- (٨) - عرقلة الكلام ، " حيث يسكت الكلام ويمتنع ويتوقف سر يانه فجأة ". (٦)
- (٩) - ببطء الكلام " وهو صدور الكلام ببطيئا بدرجة ملحوظة . ويشاهد في الإكتئاب ". (٧)
- (١٠) - النمطية وهي " تكرار كلمات معينة ليس لها قصد واضح ". (٨)

-
- (١) انظر (أمراض الكلام) د . مصطفى فهمي ص ٧٦ الى ص ٨٢ .
- (٢) انظر (الصحة النفسية) د . حامد زهران ص ١٤٥ .
- (٣) نفس المرجع ص ١٤٦ .
- (٤) نفس المرجع والصفحة .
- (٥) نفس المرجع والصفحة .
- (٦) نفس المرجع والصفحة .
- (٧) نفس المرجع والصفحة .
- (٨) نفس المرجع والصفحة .

- (١١) - اجترار الكلام " وهو التكرار النمطي للكلمات والجمل ، والإجابة على كل الأسئلة بإجابة واحدة " . (١)
- (١٢) - المصاداة وهي " تكرار الألفاظ والكلام المسوع بطريقة آلية " . (٢)
- (١٣) - السلبية والامتناع عن الكلام . (٣)
- (١٤) - اضطرابات أخرى في الكلام وهي :
- أ - الاندفاع في الصراخ والسباب والكلام البذيء . (٤)
- ب- التحدث مع النفس . (٥)

وبهذه الموازنة بين كلام الجاحظ عن عيوب النطق وبين كلام ابن سينا عنها من ناحية ، ثم بين الجاحظ وبين علماء النفس وأمراض الكلام المحدثين من ناحية أخرى ، يتم هذا الفصل بعد أن تبينا ما سبق به الجاحظ ابن سينا والعلماء المحدثين سواء في تناول عيوب النطق أو في بيان أسبابها وعلاجها . أما ما أضافه هو " لا " بعد الجاحظ فلا يحسب لهم عليه لأنه نتاج قرون متطاولة تلت الجاحظ ، وواجب البحث العلمي أن لا يتوقف ، فإن كانوا أتوا واجبه فإن الجاحظ يظل محتفظاً بدرجة السبق في ما سبقهم إليه .

-
- (١) انظر (الصحة النفسية) د . زهران ص ١٤٦ .
- (٢) نفس المرجع والصفحة .
- (٣) نفس المرجع والصفحة .
- (٤) نفس المرجع والصفحة .
- (٥) نفس المرجع والصفحة .

انجام شد

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.
وبعد : فموضوع هذا البحث (دراسة الأصوات وعيوب النطق عند الجاحظ) .
وقد كان هدف هذه الدراسة مايلي :

أولا : بيان ما أسهم به الجاحظ في مجال دراسة الأصوات اللغوية ، ودراسة عيوب النطق ، وقد اقتضى تحقيق بيان ما أسهم به في المجالين تمييز ما أضافه فيهما ، وتتبع ذلك عرضا سريعا لما أنجز في كل من المجالين قبل الجاحظ ، كما اقتضى بيان قيمة إضافاته إلقاء نظرة سريعة على ما استجد بعده في مجال عيوب النطق خاصة ، لأن هذا المجال حظى بمن أولاه اهتماما خاصا وكانت له فيه إضافات قيمة ، وهوابن سينا المتوفي بعد الجاحظ بأقل من قرنين - فألقينا نظرة على عمل ابن سينا استتبعت نظرة على عمل المحدثين . أما دراسة الأصوات اللغوية فقد ظلت تدور في نطاق ما وضع بين الخليل والجاحظ فلم يكن هناك وجه للموازنة في هذا المجال .

وفي ضوء هذا الهدف ومقتضياته حققت هذه الدراسة مايلي :

أولا - بيان مفصل لما تعرض له الجاحظ في مجال دراسة الأصوات اللغوية . ومن خلال هذا البيان استخلص البحث ما أضافه الجاحظ في هذا المجال ، وقد تعثرت تلك الإضافات فيمايلي :

بالنسبة لأعضاء الجهاز الصوتي :

- ١ - التصريح بدور الحنجرة في إخراج الصوت اللفوي (وذلك في صفحة ٣٢) .
- ٢ - الربط بين حالة أعضاء جهاز النطق الإنساني من حيث سلامتها وكمالها أو إصابتها ونقصها - وبين حالة النطق اللفوي من حيث كونه سليما أو معيبا . فذكر (أثر سرعة الحنجرة ، الحلق ، الفم ، الأشداق ، طول اللسان وقصره ومرونته ، سلامة الأُسدان واستوائها أو سقوطها واختلاف نهبتها حالة الشفتين ، حالة الخياشيم) .
- ٣ - إبراز دور ما سمي - فيما بعد - الصناديق الرنانة (تجوييف الحلق ، والفم) . (من ص ٣٣ الى ص ٥٠) .
- ٤ - بيان أثر مرونة أعضاء الجهاز الصوتي وحسن التدريب في تحسين الأُداء . (ص ٥٣ الى ص ٥٥) .

بالنسبة للأصوات اللفوية كانت الإضافات في :

- ١ - كلمته عن الضاد (ص ١١٦) .
- ٢ - ما تختص به العربية من الأصوات (ص ١١٧) .
- ٣ - تنافر الكلمات (ص ١١٨) .
- ٤ - إمكانات الجهاز الصوتي الإنساني (ص ١١٨) .
- ٥ - الحروف الأكثر دورانا في اللغة ومنهج إحصاء هذه الحروف (ص ١٢٣) .
- ٦ - الامتحانات الصوتية (ص ١٣٨) .

- ٧ - بعض الدراسات المقارنة في الأصوات (ص ١٤٠) .
 - ٨ - إحصاءات الأصوات (ص ١٤٢) .
 - ٩ - تحليل تنوع الأصوات اللغوية وكثرة الألفاظ (ص ١٤٤) .
 - ١٠ - العلة في صعوبة بعض اللغات وسهولتها (ص ١٤٦) .
 - ١١ - أثر التدريب في تعلم اللغة (ص ١٤٨) .
 - ١٢ - اهتمام الجاحظ بأصوات الحيوانات (ص ١٥١) .
 - ١٣ - دراسة الجاحظ للصوت دراسة طبيعية (ص ١٧٤) .
 - ١٤ - وضعه لأسس علم الأداء الصوتي (ص ١٨٢) .
- ثانيا - بيان مفصل لما تناوله في مجال عيوب النطق .
ومن خلال هذا البيان استخلص البحث ما أضافه الجاحظ في
هذا المجال وتمثلت تلك الإضافات فيما يلي :

- ١ - ذكره للعيوب دون غيره من السابقين .
- ٢ - إضافته بالنسبة للتفاصيل التي ذكرها عن العيوب ولم يذكرها
من قبله ، كالتعريف ، والسبب ، والعلاج ، وأثر هذا العيب في
الكلام والإلقاء .

فبالنسبة للعيوب العامة :

- المعي - وتمثلت الإضافة هنا في ذكره لهذا العيب ، وفي ذكر بعض
أسبابه وعلاجه (ص ٢٢٧ - ٢٨٤) .
- الحصر - ذكره الجاحظ وذكر أسبابه وعلاجه وأثره السيء على المصاب من
ناحية النطق والتعبير عن الفكرة (٢٣٣ - ٢٨٢) .

العيوب العضوية :

اللُّثْغَةُ - تمثلت الإضافة هنا في تَفْصِيلِهِ لهذا العيب ، وذلك ببيانه للحروف التي تدخلها اللُّثْغَةُ والأشخاص الذين عُرِفُوا بها ، إلى جانب

ذكره لجانب من جوانب العلاج (ص ٢٣٦ - ٢٨٧) .

العُقْلَةُ - وتمثلت الإضافة هنا في تعريفها وذكر أسبابها وعلاجها .

(ص ٢٤٠ - ٢٨٥) .

دقة الصوت (الصَّوْتِي) - والإضافة هنا متعلقة في ذكره لهذا العيب (ص ٢٤٢) .

العيوب الوظيفية :

الحُبْسَةُ - عرفها الجاحظ وذكر أسبابها وعلاجها (ص ٢٤٣ - ٢٨٥) .

الطَّبْق - إضافته هنا من ناحية ذكره لهذا العيب (ص ٢٥٤) .

الفَهْمُ - الإضافة هنا من ناحية الذكر لهذا العيب (٢٥٨) .

الرَّطَانَةُ - الإضافة هنا من ناحية الذكر أيضا (ص ٢٦٠) .

اللَّفْفُ - وتمثلت الإضافة في توضيح معناه وتَفْصِيلُ القول في أسبابه وعلاجه ،

وأثره السيء على النطق وعدم الإبانة (ص ٢٦٢ - ٢٨٥) .

اللُّكْنَةُ - عرّفها الجاحظ ، وقَصَّلَ في ذكرها وذكر الحروف التي تدخلها

اللُّكْنَةُ والناس الذين اشتهروا بها (ص ٣٦٣) .

العَجَلَةُ - ذكرها الجاحظ مكتفيا بمعنى اسمها عن تعريفها (ص ٢٦٨) .

أما بالنسبة للموازنات التي كانت بين الجاحظ وبين ابن سينا والمحدثين ،

فقد تمثلت الإضافة فيما يلي :

أ - سبق الجاحظ ابن سينا في :

١ - حديثه عن ثقل اللسان وعظمه ورقته وثقل حركته وقساوته وقلة

مرونته (ص ٢٩٩) .

٢ - سبقه في الحديث عن كثير من عيوب النطق كالفأفة ، والتتمة ،
والتتعة ، واللثة ، والحبسة ، وقد ذكر في علاج تلك العيوب
وسائل ما ذكره الجاحظ كالتدريب (ص ٣٠٠ - ٣٠١) .

ب - طماء النفس وأمراض الكلام المحدثون سبقهم الجاحظ وأضا فاني :

- ١ - حديثه عن الحصر وعن أسبابه وعلاجه (ص ٣١٢) .
- ٢ - حديثه عن الرثة (ص ٣١٢) .
- ٣ - حديثه عن الرطانة (ص ٣١٣) .
- ٤ - حديثه عن عصب الريق (ص ٣١٣) .
- ٥ - حديثه عن الطبق (ص ٣١٣) .
- ٦ - حديثه عن الفه (ص ٣١٤) .

ومن خلال ما سبق استطعنا أن نثبت أن دراسة الجاحظ في
هذين المجالين ، مجال الأصوات اللغوية وعيوب النطق كانت رائدة ،
حيث أنه اكتشفها عن طريق دقة الملاحظة والاطلاع .

ولا شك ان إضافات ابن سينا والمحدثين في كلامهم عن الأسباب
والعلاج بالنسبة لبعض العيوب راجع إلى كون ابن سينا والمحدثين
أطباء معالجين أما الجاحظ فقد كان أديبا استنبط هذه الأمور من
خلال ملاحظاته واطلاعه كما أن إضافات المحدثين راجعة أيضا إلى
تقدم العلوم الطبية والنفسية ، وإلى ظهور الاختراعات الحديثة التي
سهلت من الكشف والعلاج . وكل هذه الأمور لا تنقص من فضل الجاحظ
وسبقه في هذين المجالين .

وبعد :

أحمد الله وأثنى عليه لما أمدني من عون طيلة السنين التي
قضيتها في البحث والدراسة بما أحطه من علم يسيّر مستعينة بفضل
الله مسترشدة بكل ناصح حمل لي مشعلاً أضاً لي طريق بحثي . راجية
من كل هذا العمل والجهد رضا الله ورسوله متمنية أن يكون لبنسة
مفيدة لكل من يطلع عليه ، سائلة من الله سبحانه وتعالى أن يهتدي
الجميع إلى سواه السبيل .

الفهارس

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
المقدمة	أ - ز
الجاحظ : اسمه ، موته ، لفاته ، تاريخ وفاته	ح - ط
<u>الباب الأول</u> : الكلام عن أعضاء الجهاز الصوتي قبل الجاحظ وعند .	
الفصل الأول : الكلام عن أعضاء الجهاز الصوتي قبل الجاحظ .	
أ - أعضاء الجهاز الصوتي عند الأصمعي وثابت بن أبي ثابت	٤
١ - الغلصمة	٥
٢ - الحنجرة	٧
٣ - الحلق	٨
٤ - الفم	١٠
٥ - الحنك	١١
٦ - اللسان	١٢
٧ - الأسنان	١٤
٨ - الشفتان	١٦
٩ - الخياشيم	١٧
ب - أعضاء الجهاز الصوتي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه	١٩
١ - الحلق	١٩

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٢	٢ - الفم
٢٢	٣ - الحنك
٢٤	٤ - اللسان
٢٦	٥ - الأسنان
٢٧	٦ - الشفتان
٢٨	٧ - الخياشيم
الفصل الثاني : الكلام عن أعضاء الجهاز الصوتي	
عند الجاحظ	
٣١	١ - الحنجرة مع الفلصة
٣٢	٢ - الحلق
٣٤	٣ - الفم
٣٧	٤ - اللسان
٤٠	٥ - الأسنان
٤٦	٦ - الأشداق
٤٩	٧ - الشفاه
ما أضافه الجاحظ في مجال الكلام عن أعضاء الجهاز	
٥٢	الصوتي :
	أولا - بيان أترحالة أعضاء الجهاز الصوتي في الأداة
٥٢	اللغوي وتحقيق وظيفة اللغة
	ثانيا - بيان مرونة أعضاء الجهاز الصوتي متمثلة في القدرة
٥٣	على المحاكاة

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
ثالثا - بيان أثر التدريب في تحسين أداء أعضاء الجهاز الصوتي	٥٥
<u>الباب الثاني : الكلام عن الأصوات اللغوية قبل الجاحظ وعند.</u>	
الفصل الأول : الكلام عن الأصوات اللغوية قبل الجاحظ.	
دراسة الأصوات اللغوية مفردة :	٥٩
أولا - منهج الوصول إلى الحقائق الصوتية	٦١
ثانيا - مخارج الأصوات اللغوية	٦١
ثالثا - الكلام عن الصفات عند الخليل	٦٧
١ - الطلاقة	٦٧
٢ - النضاعة	٦٨
٣ - البحة	٦٩
٤ - اللين والهشاشة	٦٩
٥ - الهبة أو الهته	٧٠
٦ - الهوائية	٧٠
٧ - الصلابة والكزازة	٧٢
٨ - الخفوت	٧٢
٩ - الانحراف	٧٣
١٠ - صفة الذلاقة	٧٤
١١ - الإطباق	٧٥
١٢ - الحروف الصتم	٧٥
صفات الأصوات اللغوية عند سيويه	٧٧

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٨٠	رابعاً - الحروف الفرعية
	خامساً - ما ذكر من اختصاص العربية ببعض الأصوات اللغوية (٨١)
	سادساً - الدراسة التركيبية (الفونولوجية) للأصوات قبل الجاحظ
٨٢	
٨٥	تنافر الحروف :
٨٥	أولاً - بالنسبة للجذور الثلاثية
٨٦	ثانياً - بالنسبة للجذور الرباعية فما فوق
	الفصل الثاني : الكلام عن الأصوات اللغوية عند الجاحظ
	أولاً - منهج الجاحظ للوصول إلى الحقائق والمعلومات في مجال الأصوات
٨٨	
٩٥	ثانياً وثالثاً - المخارج والصفات
٩٩	رابعاً - الأصوات الفرعية
١٠١	خامساً - ما تختص به العربية من الأصوات اللغوية
	سادساً - دراسة الأصوات منتظمة (الدراسة التركيبية للأصوات) (١٠٤)
١٠٤	أولاً - تنافر الحروف
١٠٦	ثانياً - تنافر الكلمات
	الفصل الثالث : إضافات الجاحظ في مجال دراسة الأصوات اللغوية
١١٦	١ - كلمته عن الضاد .
١١٧	٢ - ما تختص به العربية من الأصوات

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١١٨	٣ - تنافر الكلمات
١١٨	٤ - إمكانات الجهاز الصوتي الإنساني
	٥ - الحروف الأكثر دورانا في اللغة ومنهج إحصاء هذه الحروف
١٢٣	
١٢٤	أولا - المنهج الذي اتبعه الجاحظ
١٢٦	ثانيا - المنهج الذي اتبعه المحدثون
	ثالثا - المقارنة بين المنهجين لمعرفة المنهج الأفضل
١٢٨	والأدق لمعنى الدوران
	رابعا - ذكر بعض الإحصاءات القديمة التي أحصت ما في القرآن الكريم من حروف
١٣١	
١٣٨	٦ - الامتحانات الصوتية
١٤٠	٧ - بعض الدراسات المقارنة في الأصوات
١٤٢	٨ - إحصاءات الأصوات
١٤٤	٩ - تحليل تنوع الأصوات اللغوية وكثرة الألفاظ
١٤٦	١٠ - العلة في صعوبة بعض اللغات وسهولتها
١٤٨	١١ - أثر التدريب في تعلّم اللغة
١٥١	١٢ - اهتمام الجاحظ بأصوات الحيوانات
١٥١	أ - ما يتأتى في أصوات الحيوانات من الحروف
١٥٧	ب - تسمية الحيوانات بأصواتها
١٦١	ج - تقليد الحيوانات للأصوات
١٦٦	الإنسان
١٦٢	الببغاء
١٦٢	الغراب

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٦٣	د - أثر الأصوات في الحيوانات وفهمها لها
١٦٣	الإبل
١٦٤	الأسد
١٦٤	الأيل
١٦٥	الدب
١٦٥	السمك
١٦٦	الطير
١٦٧	عناق الأرض
١٦٨	الفروج
١٦٨	الفهد
١٦٩	الفيل
١٧٠	القرود
١٧١	الكلب
١٧٢	اليعنر
١٧٤	١٣ - دراسة الجاحظ للصوت دراسة طبيعية
١٧٥	أ - وحدة الصوت وغلظه
١٧٦	ب - قوة الصوت (أو شدته) وضعفه
١٧٩	ج - جمال الصوت وقبحه
١٨٠	د - سرعة الصوت
١٨٢	١٤ - وضع الجاحظ للأسس علم الأداة الصوتي
١٨٣	وحدة المنطوق وانسجامه

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٨٧	تنوع الأراء
١٩٣	التزمين وسرعة الكلام
١٩٦	معينات الأراء
١٩٦	١ - الإشارة أو الحركة الجسمية
٢٠٠	٢ - الهيئة العامة للمتكلم
٢٠٢	٣ - اكتساب الأراء

الباب الثالث : الكلام عن عيوب النطق قبل الجاحظ وعنده .

الفصل الأول : الكلام عن عيوب النطق قبل الجاحظ.

٢١١	١ - البكم
٢١٣	٢ - التتمة
٢١٣	٣ - الجلجال
٢١٤	٤ - الحكة
٢١٥	٥ - الخرس
٢١٥	٦ - الرته
٢١٦	٧ - عصب الريق
٢١٧	٨ - العقد
٢١٨	٩ - الفأنة
٢١٩	١٠ - الفداصة
٢٢٠	١١ - اللثغة
٢٢٠	١٢ - اللجلة

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٢١	١٣ - اللفف
٢٢٢	١٤ - اللقمة
٢٢٣	١٥ - اللوث
الفصل الثاني : كلام الجاحظ عن عيوب النطق .	
٢٢٦	عيوب النطق العامة :
٢٢٧	- السعي
٢٢٣	- الحصر
٢٣٥	عيوب النطق الخاصة :
٢٣٥	- عيوب النطق العضوية : أولا
٢٣٥	١ - الخرس
٢٣٦	٢ - اللثغة
٢٤٠	٣ - العقلة
٢٤١	٤ - الحكلة
٢٤٢	٥ - دقة الصوت (الصئي)
٢٤٣	- عيوب النطق الوظيفية : ثانيا
٢٤٣	١ - الحبسة
٢٤٤	٢ - العقدة
٢٤٦	٣ - الرتة
٢٤٨	٤ - التعمعة
٢٥٠	٥ - اللجلة
٢٥٢	٦ - التتمة

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٥٣	٧ - الغافاة
٢٥٤	٨ - الطباق
٢٥٦	٩ - عصب الريق
٢٥٨	١٠ - الفهية
٢٦٠	١١ - الرطانة
٢٦٢	١٢ - اللفف
٢٦٣	١٣ - اللكنة
٢٦٨	١٤ - العجلة
٢٧٠	١٥ - الغنمة
٢٧١	ثالثا - عيوب الأداة :
٢٧١	١ - التخلل باللسان
٢٧٢	٢ - التشادق
٢٧٦	٣ - التعمق
٢٧٧	٤ - التعميب والتعمير
٢٨٠	٥ - التمطيط
٢٨١	٦ - النحنة
٢٨٣	٧ - الشرثرة
٢٨٤	كلام الجاحظ عن أسباب عيوب النطق وعلاجها
٢٨٤	١ - عيوب الحصر وعدم الوضوح
٢٨٧	٢ - اللثغة

الموضوع الصفحة

الفصل الثالث : إضافات الجاحظ في كلامه عن
عيوب النطق

٢٩١	- العسي
٢٩٢	- الحصر
٢٩٢	- اللثفة
٢٩٣	- العقلة
٢٩٣	- دقة الصوت (الصنى)
٢٩٣	- الحبسة
٢٩٤	- الطبق
٢٩٤	- الفهه
٢٩٥	- الرطانة
٢٩٥	- اللفف
٢٩٥	- اللكنة
٢٩٦	- المعجلة

الفصل الرابع : تقويم كلام الجاحظ عن عيوب النطق.

٢٩٨	- كلام الرئيس ابن سينا عن عيوب النطق	أولا
٢٩٩	- أمراض اللسان	١
٣٠٠	أسباب الاسترخاء	
٣٠١	العلاج	
٣٠٢	- أمراض أخرى	٢
٣٠٢	- اجمال أسباب أمراض الكلام	٣

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٣٠٣	ثانيا - كلام علماء النفس المحدثين عن عيوب النطق
٣٠٥	العيوب التي اتفق فيها الجاحظ والمحدثون
٣٠٥	- العي
٣٠٦	- العقلة
٣٠٦	- التلعثم
٣٠٧	- التتمة
٣٠٧	- الحبسة أو الألفيزيا
٣٠٧	- العقدة
٣٠٨	- الفأنة
٣٠٨	- اللجلة أو التهتهة
٣٠٨	- اللف
٣٠٩	- اللثغة
٣١٠	- اللكنة
٣١١	- الحكلة والصئي
٣١١	- الشرثرة
٣١٢	- الغمغمة
٣١٢	ب - العيوب التي انفرد بها الجاحظ
٣١٢	- الحصر
٣١٢	- الرتة
٣١٣	- الرطانة
٣١٣	- عصب الريق
٣١٣	- الطباق
٣١٤	- الفهه

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٣١٤	ج - العيوب التي انفرد بها المحدثون
٣١٤	١ - الأفيزيا (الحبسة)
٣١٤	٢ - التأخر في قدرة الأ* طفل على الكلام
٣١٥	٣ - أثر شلل الأ* طفل في عيوب النطق والكلام
٣١٥	٤ - الكلام التشنجي
٣١٥	٥ - الكلام الطفلي
٣١٥	٦ - اللغة الجديدة
٣١٥	٧ - قلة الكلام
٣١٥	٨ - عرقلة الكلام
٣١٥	٩ - بط* الكلام
٣١٥	١٠ - النمطية
٣١٦	١١ - اجترار الكلام
٣١٦	١٢ - المصاداة
٣١٦	١٣ - السلبية والامتناع عن الكلام
٣١٦	١٤ - اضطرابات أخرى في الكلام :
٣١٦	أ - الاندفاع في الصراخ والسباب والكلام البذى*
٣١٦	ب - التحدث مع النفس .
٣١٨	الخاتمة
٣٢٦	فهرس الموضوعات
٣٣٩	فهرس المراجع

فهرست المراجع

فهرس المراجع

- ١ - أبو زكريا الفراء، ومذهبه في النحو واللغة
للدكتور أحمد مكي الاتصاري - مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية
الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م
- ٢ - أجزاء الحيوان لرسطو طاليس
ترجمة يوحنا بن البطريق - تحقيق د / عبدالرحمن بدوي ،
الطبعة الأولى ١٩٧٨م - الناشر وكالة المطبوعات - الكويت.
- ٣ - إحصائيات جذور معجم تاج العروس (باستخدام الكمبيوتر)
للدكتور علي حلمي موسى - مطبوعات جامعة الكويت - الكويت.
- ٤ - إحصائيات جذور معجم الصحاح (باستخدام الكمبيوتر)
للدكتور علي حلمي موسى - مطبوعات جامعة الكويت سنة ١٩٧٣م
الكويت.
- ٥ - ارتشاف الضرب من لسان العرب
لمحمد بن يوسف أبي حيان النحوي . تحقيق وتعليق د / مصطفى
النحاس - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م
- ٦ - الإصابة في تمييز الصحابة
لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي - تحقيق علي محمد البجاوي
دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة .
- ٧ - الأصوات اللغوية
للدكتور ابراهيم - الطبعة الرابعة ١٩٧١م - ملتزمة الطبع
والنشر مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.

- ٨ - أصوات اللغة العربية دراسة نظرية وتطبيقية
للدكتور محمد حسن حسن جبل - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ /
١٩٨٢م - القاهرة.
- ٩ - أمراض الكلام
للدكتور مصطفى فهمي - الطبعة الثالثة دار مصر للطباعة
القاهرة.
- ١٠ - بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز
لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى - تحقيق محمد
علي النجار - الكتاب الرابع - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة أحياء التراث الإسلامي ١٣٨٣هـ / القاهرة.
- ١١ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة
للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم - الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م -
دار الفكر .
- ١٢ - البيان والتبيين
لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام محمد
هارون - الطبعة الرابعة - دار الفكر بيروت .
- ١٣ - تاج العروس من جواهر القاموس
لمحمد مرتضى الزبيدي - تحقيق عبد الستار أحمد فراج -
إصدار وزارة الإرشاد والأناباء - الكويت .
- ١٤ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام
للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي -
دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .

١٥- التطور النحوي للغة العربية

لبرجستراسر - تصحيح وتعليق د / رمضان عبد التواب - مكتبة
الخانجي القاهرة.

١٦- تهذيب اللفظة

لمحمد بن أحمد الأزهري - تحقيق رشيد عبد الرحمن العسيري
الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٩٧٣ م / القاهرة

١٧- الحيوان

لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق د / عبد السلام محمد
هارون - المجمع العلمي العربي الاسلامي منشورات محمد
الداية - بيروت لبنان .

١٨- الخصائص

لأبي الفتح عثمان بن جني - تحقيق محمد علي النجار -
الطبعة الثانية دار الهدى للطباعة والنشر بيروت - لبنان .

١٩- خلق الإنسان

لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي - نشره وعلق عليه
د / أوجست هفتر المطبعة الكاثوليكية - بيروت .

٢٠- خلق الإنسان

لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت - تحقيق عبد الستار أحمد
فراج - إصدار وزارة الارشاد والاخبار في الكويت ٩٦٥ م
الكويت.

٢١- دراسة الصوت اللغوي

للدكتور أحمد مختار عمر - الطبعة الأولى - عالم الكتب .

- ٢٢- سر صناعة الإعراب
لأبي الفتح عثمان بن جني - تحقيق د / حسن هنداوي -
دار القلم دمشق .
- ٢٣- سيكلوجية المرضى وذوى العاهات
للدكتور مختار حمزة - الطبعة الثانية دار المعارف بمصر .
- ٢٤- صحتك في فمك وأسنانك
للدكتور مدحت فريد الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م
القاهرة .
- ٢٥- الصحة النفسية والعلاج النفسي
للدكتور حامد عبد السلام زهران - عالم الكتب ١٩٧٤ م .
- ٢٦- علم اللغة المبرمج
للدكتور كمال إبراهيم بدري - الناشر عمادة شؤون المكتبات
جامعة الطك سعود بالرياض ١٤٠٢ هـ
- ٢٧- علم اللغة النفسي
للدكتور عبد المجيد سيد أحمد منصور - الناشر عمادة شؤون
المكتبات جامعة الطك سعود الرياض عام ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م
- ٢٨- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده
لأبي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي حققه وفصله وعلق
حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد - الطبعة الخامسة - دار
الجيل للنشر والطباعة ، بيروت لبنان ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ٢٩- المعين
للخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق عبدالله درويش -
مطبعة الهاني - بغداد عام ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .

٣٠- العيين

للخليل بن أحمد الفراهيدي - تحقيق د / محمد مهدي

المخزومي ، د / ابراهيم السامرائي - وزارة الثقافة والاعلام

دار الرشيد للنشر - العراق ١٩٨٢ م

٣١- غريب الحديث

لابن قتيبة عبدالله بن مسلم - تحقيق عبدالله الجبوري

مطبعة العاني - بغداد ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

٣٢- الغريب المصنف (مخطوطة)

لابي عبيد .

٣٣- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية

للعلمة الشيخ سليمان الجمل - مطبعة شركة دار الكتب العربية

الكبرى على نفقة الشيخ فدا محمد الكتبي ، ومصطفى البابي الحلبي بمصر .

٣٣ مكرر- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،

رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فواد عبد الباقي ، قام بإخراجه وتصحيح

تجاربه محب الدين الخطيب ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت

لبنان .

٣٤- فقه اللغة .

للدكتور علي عبد الواحد وافي - دار نهضة مصر للطبع والنشر ،

القاهرة .

٣٥- الفهرست

لابن النديم - الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان .

٣٦- القانون في الطب

للحسين بن عبدالله ابن سينا - الطبعة الثالثة - المطبعة

الأميرية القاهرة ١٣٩٤ هـ .

٣٧- الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف

لابي العباس المبرد - تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر -

الناشر مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م القاهرة .

٣٨- الكتاب

لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ (سيهويه) -
تحقيق عبد السلام محمد هارون عالم الكتب للطباعة والنشر
والتوزيع - بيروت .

٣٩- لسان العرب

للامام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور -
دار صادر بيروت .

٤٠- المخصص

لابي الحسن العلي بن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي
المعروف بابن سيده - تحقيق لجنة إحياء التراث العربي
في دار الأفاق الجديدة - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت .
٤٠ مكرر- مروج الذهب للمسعودي .

٤١- المزهرفي علوم اللغة وأنواعها

للعامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي - شرحه وعلق
عليه محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو
الفضل ابراهيم - دار الفكر .

٤٢- معاني القرآن

للأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة) تحقيق فائز فارسي
الطبعة الثانية - الكويت .

٤٣- معاني القرآن

لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء - تحقيق أحمد يوسف نجاتي
محمد علي النجار الطبعة الثانية - الهيئة المصرية العامة للكتاب

٤٤- معجم الآداب

لياقوت (شهاب الدين) أبو عبد الله بن عبد الله الرومي -
راجعته وزارة المعارف العمومية - الطبعة الأخيرة - مطبوعات
دار المأمون - القاهرة .

٤٥- الملاح الآدائية عند الجاحظ في البيان والتبيين

للدكتور عبد الله ربيع محمود - الطبعة الأولى عام ١٤٠٤هـ

٤٦- وفيات الأعيان وأنباؤه الزمان

لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن
خلكان - تحقيق د. احسان عباس - دار صادر - بيروت .

The Human Body in Relife ,

- ٤٧

Relife Tables (Nova , Rico , Florace) ,
Chart 036.

